

يوسف عدوي

من روض المقال

الجزء الأول

فلسطين حكاية وطن وذاكرة شعب

الإهداء

إلى

كل شهيد سقط من أجل فلسطين

إلى

كل جريح ومبعد وأسير ومشرّد ومدافع
ومعذب ومرابط وصابر ومصابر من أجل
فلسطين

أهدي كتابي هذا

تصدير- كلمة مركز السنايل للدراسات والتراث الشعبي

الكتاب: مِنْ رَوْضِ الْمَقَالِ (الجزء الأول: فَلَسْطِينُ.. حِكَايَةُ وَطَنٍ وَذَاكِرَةُ شَعْبٍ)

الكاتب والباحث: يوسف عدوي

إصدار: مركز السنايل للدراسات والتراث الشعبي

أهمية الإصدار وأهدافه

يأتي هذا الإصدار ليجمع المقالات الرصينة التي نُشِرَتْ عبر أعداد مجلة الإسراء التي تصدر عن دائرة الافتاء في السلطة الوطنية الفلسطينية بين دفتي كتاب واحد : " مِنْ رَوْضِ الْمَقَالِ (الجزء الأول: فَلَسْطِينُ.. حِكَايَةُ وَطَنٍ وَذَاكِرَةُ شَعْبٍ)، ليكون مرجعاً وثائقياً هادفاً هادياً للقراء والأكاديميين والباحثين والدارسين، والمهتمين وإضافةً نوعية وثريّة للمكتبة المحلية والعربية. كما يهدف الإصدار إلى تقديم الدعم والإسناد للكتاب والأدباء والمفكرين وتشجيعهم على نشر نتائجهم العلمي والفكري، فضلاً عن كونه مرجعاً وثائقياً يطرح حلولاً ورؤى واقعية لقضايا مجتمعية وحضارية مهمة.

يطيب لـ د. إدريس جرادات أن يتقدّم بأجزل كلمات الشكر والتقدير والعرفان للكاتب والباحث يوسف عدوي؛ ابن قرية زكريا ومخيم الدهيشة - مخيم الصمود والإرادة- ونحن إذ نبارك هذا المنجز المتميز، نتطلع بشغف إلى درّة نفيسة أخرى من نتاجه الفكري المبارك.

إنّ الشكر والتقدير للكُتّاب والمبدعين ثقافةٌ راقيةٌ وسلوكٌ أصيلٌ، والتكريم واجبٌ لمن يستحقّه؛ ولذا يَمنح الحاج الدكتور إدريس جرادات – مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي الكاتب الباحث يوسف عدوي شهادة الإبداع والتميز الأدبي تقديراً لجهوده المباركة وعطائه الثقافي المتواصل في الكتابة والنشر حيث نشر أحد عشر كتاباً مطبوعة ورقياً، وهي:

1. المجد للعراق، الصخرة للطباعة والنشر، سنة 2000م.
2. مليون ونصف شهيد عراقي، وماذا بعد، الصخرة للطباعة والنشر، 2001م.
3. في ذكرى النكبة، ط1، مؤسسة إبداع، مطبعة الجراشي، 2002م.
4. في ذكرى النكبة، ط2، مؤسسة إبداع، مطبعة الجراشي، 2003م.
5. عالم المسابقات الثقافية عن فلسطين وفي الثقافة العامة، ج1، دار البيان للنشر والتوزيع، 2004م.
6. عالم المسابقات الثقافية، ج2، مطبعة بابل الفنية، 2004م.
7. عالم المسابقات الثقافية، ج3، دار البيان للنشر والتوزيع، 2005م.
8. فلسطين والعراق في القلب، دار البيان للنشر والتوزيع، 2005م.
9. عالم المسابقات الثقافية، ج4، دار البيان للنشر والتوزيع، 2006م.
10. عالم المسابقات الثقافية، ج5، دار البيان للنشر والتوزيع، 2007م.
11. عالم المسابقات الثقافية، ج6، الصخرة للطباعة والنشر، 2011م.

مع تحيات

د. إدريس جرادات

مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي

2026-9-10م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] (الإسراء : 1)

لقد قام برنامج الحركة الصهيونية ومخططاتها على احتلال فلسطين، وتهجير أهلها وأصحابها، وعلى نزع محبتها والانتماء إليها من الفلسطينيين، حتى يأتي جيل فلسطيني وعربي لا يعرف شيئاً عن فلسطين، وليس هكذا فحسب، بل تكون فلسطين منطلقاً لاحتلال الوطن العربي والسيطرة عليه باستقبال الشعوب العربية للجيش الصهيوني بالورود، كما يقول بعض القادة من الكيان الإسرائيلي المحتل .

فلسطين ليست مجرد وطن وأرض محتله فحسب، ولا قضية تختصرها الأخبار والعناوين؛ إنها بوصلة ضمير العالم، إنها حكاية وطن يسكن الذاكرة، وتاريخ شعب تشبث بأرضه، وظل يحمل مفاتيح بيوته، وأسماء قراه ومدنه جيلاً بعد جيل، إنها أعدل وأصدق قضية عرفها التاريخ، ولم يتعذب ويعاني شعب كما تعذب وعانى شعبها الفلسطيني الأصيل الذي علم العالم كله معنى حب الأرض والانتماء إليها، والتضحية بكل ما يملك من أجلها .

من هنا جاءت هذه المقالات التي أضعها بين يدي القارئ، وهي مجموعة من ستة وعشرين مقالاً تتناول جوانب مختلفة من فلسطين؛ أرضاً، وإنساناً، وتاريخاً، وقضية، بعضها يأخذنا إلى قرى فلسطينية هجر أهلها سنة النكبة 1948م، تلك القرى التي غابت عن الجغرافيا السياسية، لكنها لم تغب عن ذاكرة أبنائها، ولا عن وجدان الفلسطينيين، فلكل قرية حكاية، وفي كل حارة فيها حياة وحركة ومحبة، ولكل بيت أصحاب، ولكل عين

ماء وشجرة زيتون، ومسجد، ومقبرة، وخابية، وتاريخ وتراث شاهد على حياة كانت نابضة قبل أن تعصف بها العصابات الصهيونية شتيرن والهأغاناة والأرغون؛ لتحل عليها لعنة النكبة المدمرة.

وتنتقل بنا المقالات إلى مدن عزيزة على القلب إلى القدس التي تصبو إليها كل العيون، وتهفو قلوب المؤمنين إليها بلهفة؛ لاحتلالها مكانة استثنائية في التاريخ والدين والأدب، فكتبت مقالات عنها في عيون الشعراء، وحضورها مع أقصاها في منهاج اللغة العربية الفلسطيني، وإلى الخليل بتاريخها العريق، ومكانتها الدينية والحضارية، وإلى بيت لحم مهد المسيح عليه السلام، وإلى غزة المنبعثة من تحت الرماد، التي أصبحت رمزاً للصمود، والصبر، والتشبث بالأرض والحياة.

ولأن فلسطين ليست قضية مكان فحسب، فقد كان للإنسان الفلسطيني نصيب من هذه الصفحات، فتناولت قضية اللاجئين بما تحمله من ألم اللجوء، ومرارة الاقتلاع، والتشريد، والتهجير، وبما تخزنه من أمل العودة، وحق إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. وتوقفت عند الأسرى، وأدب السجون، وتجربة الأسر، حيث تحولت الزنازين رغم قسوتها إلى فضاء للكلمة والإرادة، والصبر، وأصبح القلم وسيلة لمقاومة النسيان والانكسار، فكتبت عن أسرانا وأدب السجون، وضرورة تحريرهم، وعدم نسيانهم، وعن تجربتي القصيرة الخاصة في معتقلات الاحتلال.

لم أنس المعلم الفلسطيني ودوره العظيم في حياتنا، فكتبت مقالاً عن معلمنا الفلسطيني الأكثر معاناة وتضحية في الحياة الفلسطينية، كذلك كتبت عن بعض الأدباء والعلماء الفلسطينيين، وعن القضاء العشائري في فلسطين.

وقد حاولت في هذه المقالات أن أمزج بين المعلومة التاريخية، واللمسة الإنسانية، وبين التوثيق والتأمل؛ لأنني أؤمن بأن الكتابة عن فلسطين ليست ترفاً أدبياً، وإنما هي نوع من الوفاء للأرض والإنسان والذاكرة، وما أكثر ما تحتاج فلسطين اليوم إلى من يوثق أسماء قراها، ويحفظ حكايات أهلها المهجرين في أصقاع الأرض، ويتابع أبناءهم وأحفادهم، حيث إن عدد اللاجئين الفلسطينيين المهجرين سنة 1948م حوالي مليون شخص، لم يتبق منهم الآن سوى أقل من (50000) شخص، ولكن أبناءهم وأحفادهم يفوق اليوم عددهم (8) ملايين شخص لاجئ، ويعرف الأجيال الجديدة بتاريخ مدنها، وقراها، وأماكنها، ومعالمها حتى لا تتحول الذاكرة إلى حكايات بعيدة، أو تصبح الأسماء مجرد كلمات في كتب التاريخ.

ولعل أجمل ما يمكن أن تقدمه الكلمة لفلسطين أن تحفظ ما يحاول المحتل الصهيوني والمتوطنون والمتآمرون طمسه، وإخفائه أو إقصائه، وأن تصل الماضي بالحاضر، وأن تضع أمام الأجيال القادمة شيئاً من حقيقة المكان والإنسان، وصدق الرواية، فالأوطان تحمي بكل ما يمتلكه الإنسان، وما يستطيع الوصول إليه من: قوة، وعلم، وعمل، وكلمة، وذاكرة. وما هذه الصفحات إلا محاولة متواضعة للإسهام في حفظ جزء من الذاكرة الفلسطينية، وإبقاء الحكاية حية في النفوس، والتأكيد على أن فلسطين مهما طال الزمن ستبقى حاضرة في العقل والوجدان وفي دماننا، وأن القرى التي هجر أهلها عنها سنة 1948م ستظل بأسمائها وبيوتها وذكرياتها جزءاً أصيلاً ومهماً من التاريخ الفلسطيني.

لقد كتبت الخواطر والمقالات في عدة صحف ومجلات محلية، خاصة في مجلة صوت الجماهير، ومجلة العربي التي كان يحررها الدكتور ناصر اللحام، ومجلة جامعة القدس المفتوحة، وصحيفة القدس، وصحيفة الحياة، وصحيفة الشعب،

ولكن كان نصيب الأسد من كتاباتي ومقالاتي في مجلة الإسراء التي تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية حيث نشرت لي المجلة أكثر من مئة مقال عبر حوالي ثلاثين سنة، واخترت منها ستة وعشرين مقالاً كما أسلفت عن فلسطين؛ لتكون في كتاب يشكل الجزء الأول من الكتب التي سأصدرها تباعاً إن شاء الله أتناول فيها قضايا فلسطينية، ولغوية، وتربوية، ودينية. وكان هذا اقتراح من بعض الأصدقاء من الأدباء والكتاب والباحثين الأكاديميين في الجامعات الفلسطينية والأردنية.

أرجو أن يجد القارئ في هذه المقالات التي اعتمدت في كتابتها على أسلوب علمي منهجي قائم على الاستعانة بالوثائق التاريخية القيمة، والمراجع الهامة، والرجال كبار السن الذين عاشوا في هذه القرى قبل النكبة وخلالها وبعدها، وما زالت أعينهم على أراضيهم التي لا يتوقفون عن الحديث عنها، وعن حقهم في العودة إليها، أن يجد متعة المعرفة، ودفء الذكريات، وصدق الانتماء، وأن تكون هذه الصفحات نافذة تطل على فلسطين الإنسان، والمكان، والتاريخ والقضية . والله أسأل أن يحفظ فلسطين وأهلها، وأن يرحم شهداءها، ويشفي جرحاها ومرضاها، ويفرج كرب أسراها، ويعيد اللاجئين والمشردين والمهجرين إلى ديارهم، ويحفظ القدس وغزة وسائر مدنها وقراها، وأن يكتب لهذه الأرض المباركة الأمن والحرية والكرامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الكتب

يوسف عدوي

م 2026/9/1

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتية

يوسف خليل عدوي

كاتب وباحث ومربّ فلسطيني ولد في مخيم الدهيشة في 11\6\1965م، ويقيم في المخيم الذي ولد فيه، متزوج وله بنتان وابن، اهتم منذ سنوات مبكرة بالتعليم والثقافة والكتابة، وجعل من الكلمة وسيلة للتعبير عن حبه لوطنه، وشعبه، وتوثيق جوانب من تاريخ فلسطين، وتراثها، وذاكرتها الشعبية.

عمل في مجال التربية والتعليم أكثر من أربعين عاماً، في التدريس المدرسي والجامعي، وترك خلال مسيرته التعليمية أثراً طيباً في نفوس طلابه، وظل على صلة بالكثير منهم حتى بعد تخرجهم وانخراطهم في حياتهم العملية، وهو ما يعكس إيمانه بأن رسالة المعلم لا تنتهي بانتهاء الحصة الدراسية، أو بتقاعدته، بل تمتد أثراً وتوجيهاً وعطاءً.

ويرتبط الأستاذ يوسف عدوي منذ نحو ثلاثة عقود بمجلة الإسراء التي تصدرها دار الإفتاء الفلسطينية، حيث أسهم في إثرائها بمقالاته وكتابه المتنوعة في المجالات الدينية، والثقافية والاجتماعية والوطنية، إلى جانب كتابات عن فلسطين ومدنها وقراها وتراثها وشخصياتها.

وقد حظي خلال مسيرته بعلاقات واسعة جداً مع المعلمين والطلاب والأطباء والأدباء والباحثين والشخصيات الثقافية والاجتماعية في فلسطين والوطن العربي والعالم، وكان

حريصاً على تكريم أصحاب العطاء، والاحتراف بهم، وتقديم الشكر والتقدير لكل من أسهم في خدمة العلم والثقافة والمجتمع والإنسانية.

ويؤمن يوسف عدوي بأن الكتابة أمانة قبل أن تكون موهبة، وأن توثيق الذاكرة الفلسطينية مسؤولية تجاه الأجيال القادمة؛ لذلك يحاول من خلال مقالاته وكتبه أن يحفظ شيئاً من صورة فلسطين في المكان والإنسان والتاريخ، وأن يقدم للقارئ مادة تجمع بين المعرفة والثقافة والانتماء، وتظل تجربته في الكتابة والتعليم والتوثيق امتداداً لرسالة واحدة؛ خدمة الإنسان، وحفظ الذاكرة، وتعزيز الانتماء، وإبقاء فلسطين حاضرة في الكلمة والوجدان.

• أبرز محطات سيرة يوسف عدوي الذاتية بشكل مختصر:

المؤهلات العلمية

- دبلوم في اللغة العربية من معهد المعلمين بمرام الله سنة 1985م بتقدير جيد جداً .
- بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيت لحم مع مرتبة الشرف سنة 1994م .
- دبلوم عالٍ في التربية الثانوية، أساليب تدريس اللغة العربية من جامعة بيت لحم سنة 1994م تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .
- ماجستير في التربية، تخصص أساليب تدريس اللغة العربية من جامعة القدس في أبو ديس سنة 1999م بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى .
- شهادة في أحكام التجويد وترتيل القرآن الكريم سنة 2008م بتقدير جيد جداً .

الخبرات

- العمل في مجال الصحافة سنة 1985م إلى سنة 1987م .
- العمل في مدرسة ذكور الدهيشة من سنة 1985م حتى التقاعد سنة 2025م .
- العمل في التدريس الجامعي كمحاضر غير متفرغ في كل من :
 - . جامعة بيت لحم من سنة 2002م – 2020م .
 - . جامعة القدس المفتوحة من سنة 2000م – 2013م .
 - . كلية طاليتا قومي سنة 2014م .

الدورات

التحق بعشرات الدورات التي تتراوح مدة الدورة فيها ما بين الأسبوع والسنتين، وأبرز هذه الدورات :

- دورة تدريب معلمي اللغة العربية مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي مدتها خمسة شهور سنة 1991م .
- دورة في أساليب تدريس اللغة العربية مع وكالة الغوث الدولية مدتها سنة ونصف، 1993م إلى 1995م .
- دورة في التنقيف المدني في مجال التطور الديمقراطي في فلسطين مدتها ثلاثة شهور سنة 1997م .
- دورة متقدمة في برنامج تطوير المعلمين القائم على المدرسة والتخصص لمعلمي اللغة العربية من الصف السابع حتى الثاني عشر (التوجيهي) سنة 2017م مدتها عام .

النشاطات والفعاليات

عمل وشارك في المئات من الأنشطة والفعاليات، أهمها :

- المشاركة في العشرات من ورشات العمل في مجال اللغة العربية والتربية الإسلامية، والنواحي الإنسانية والاجتماعية والتربوية والثقافية .
- المشاركة الفاعلة في وضع برامج ومواد التعليم المساند العلاجي في فلسطين سنة 2001م مع مجموعة من الخبراء في اللغة العربية وفي مقدمتهم البروفسيور محمود أبو كته .
- المشاركة والإعداد والتنفيذ للعشرات من المسابقات الثقافية والفكرية مع مؤسسة إبداع، ومؤسسة خيمة، ومؤسسة حوار، ووزارة الشباب، ومؤسسة سبافورد، ووزارة الثقافة، ووزارة التربية والتعليم، والانتلاف الشبابي الثقافي في محافظة بيت لحم، ومكتب التربية والتعليم في الخليل بوكالة الغوث، ومؤسسة دارنا للمتقاعدين في مخيم الدهيشة .
- ترأس لجان التحكيم في عدة مسابقات في التعبير عن النكبة الفلسطينية خاصة مع مركز حفظ التراث في بيت لحم سنة 2007م .
- مشرف ميداني على معلمي اللغة العربية في عشر مدارس خاصة وحكومية ووكالة في المشروع الإسباني لتحسين نوعية التعليم بمشاركة الجميع .
- مؤسس ورئيس لجنة مناصرة العراق الشقيق في محافظة بيت لحم من سنة 1992م إلى سنة 2003م .
- عضو اللجنة التربوية في مخيم الدهيشة من سنة 1996م إلى سنة 2006م .

- عضو اتحاد العاملين العرب بوكالة الغوث، ومسؤول ملف المعلمين في الضفة الغربية من سنة 1996م إلى سنة 1999م .
- رئيس اللجنة المشرفة على جمع مليون قلم رصاص لأطفال العراق الشقيق المحاصر سنة 1997م .
- المشاركة في إعداد وصياغة التعليم الشعبي خلال الانتفاضة الأولى من سنة 1987م إلى سنة 1993م .
- تقديم محاضرات في عدة مؤسسات أكاديمية ومدنية في المجتمع المحلي بفلسطين، وخارج الوطن .
- مراجعة وتدقيق أكثر من (40) رسالة ماجستير وأطروحة دكتوراه وأكثر من (200) بحث تخرج لطلبة دائرة اللغة العربية وكلية التربية في جامعة بيت لحم وجامعة القدس المفتوحة .

الجوائز والتكريم

- الفوز ثلاث مرات كمعلم متميز في مسابقات إلهام فلسطين على مستوى محافظتي بيت لحم والخليل.
- التكريم خمس مرات كمعلم متميز من وكالة الغوث (1995م، 2009م، 2016م، 2018م، 2020م).
- الفوز بجائزة مؤسسة التعاون للمعلم المتميز على مستوى الوطن والشتات سنة 2018م.
- التكريم من حوالي (130) مؤسسة محلية وعربية ودولية ومن وزير التربية والتعليم الأسبق الدكتور صبري صيدم مرتين.

الأبحاث والمطبوعات والكتب

- أكثر من (150) مقالاً في مجالات متنوعة منشورة في مجلات وصحف محلية.
- كتاب المجد للعراق سنة 2000م.
- كتاب مليون ونصف شهيد عراقي وماذا بعد ؟ سنة 2001م.
- كتاب في ذكرى النكبة (1000) سؤال وجواب عن فلسطين سنة 2002م.
- كتاب عالم المسابقات الثقافية ستة أجزاء.
- كتاب فلسطين والعراق في القلب سنة 2005م.
- مؤسس ورئيس تحرير مجلة (فلسطين) المطبوعة الصادرة عن اللجنة الثقافية في مدرسة ذكور الدهيشة منذ تأسيسها سنة 1993م حتى سنة 2002م، وتم إصدار عشرة أعداد.

قريتي زكريا المنكوبة والمهجرة سنة 1948م

المقدمة

لعل أجمل وأنسب ما أبدأ به كلامي في موضوعي عن قريتي زكريا، المدمرة والمهجرة والمنكوبة سنة 1948، قول الله تعالى: [وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {١٣٩} إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْخٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْخٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {140}]. (آل عمران : 139 – 140)

بلدتي قطعة فسيفساء نادرة ... لؤلؤة من حلي العقد الذي يزين صدر الحساء أرض كنعان، التي سميت فيما بعد فلسطين ... ومنذ أن وصل المنطقة أول شيخ من بني كنعان هو وأحفاده، وأجالوا أنظارهم في التلال والوهاد هناك، ثم اختاروا (تل زكريا) ليؤسسوا فوق قمته بلدتهم، والتي دعوا (عزيقة) برزت قريتنا إلى الوجود، ولسنا ندري لم اختار الشيخ الكنعاني هذا الاسم لقريته، ولكننا نعلم أن المنطقة خلبته بجمالها الطبيعي، فاستوطنها ... والمنطقة خلابة حقاً. فقال لي أحد الأشخاص الذين يحسنون التمتع بجمال الطبيعة أنه جاب فلسطين من الناقورة إلى رفح ، فلم يجد أجمل من تلك المنطقة التي تقع بين باب الواد وبيت جبرين ... وهناك قريتنا.⁽¹⁾

الاسم والموقع

تقع زكريا إلى الشمال الغربي من مدينة الخليل، على طريق بيت جبرين، باب الواد، القدس، ترتفع (250-300) متر

عن سطح البحر، وأقرب قرية عليها عجور، وزكريا معناه من يذكر الله، ولا علاقة لاسم القرية، بالنبي زكريا عليه السلام، والقرية موقوفة على الحرم الإبراهيمي، دمرها الأعداء، وشتتوا سكانها سنة 1948م. أقام عليها الصهاينة سنة 1950م مستعمرة " كفار زخرياه " مكان القرية، وفي سنة 1955م بنوا مستعمرة "سدود ميخا"⁽²⁾. يحدها من الشمال قرية البريج، ومن الشمال الشرقي بيت الجمال، ويحدها من الجنوب بيت جبرين، ومن الجنوب الغربي عجور، ومن الشرق بيت نتيف، ومن الغرب مغلس وتل الصافي.

المساحة

مساحة القرية (70) دونماً، ومساحة أراضيها (15320) دونماً ، منها (9) للطرق والوديان، ولا يملك اليهود فيها شيئاً، وغرس الزيتون في (440) دونماً.

المناخ

تقع زكريا على الحد الفاصل ما بين منطقة السهل والجبال في فلسطين، فالجانب الشرقي منها تابع للمنطقة الجبلية، والجانب الغربي منها يقع في المنطقة السهلية ، فهي تجمع ما بين مناخ الجبل والسهل، وتقع القرية ذاتها على السفوح الغربية لهذه الجبال.

السكان

يقدر عدد سكان القرية عشية اللجوء حسب الباحث أبو ستة ليصل إلى (1369) شخصاً، ويقدر عددهم عام 1998م

(8406) مسجل منهم في سجلات وكالة الغوث الدولية
(8334) شخصاً، ويتوزع هؤلاء السكان على ستة حمائل
رئيسة مرتبة هنا حسب تعداد السكان لهذه العائلات:
1- الفاراجة 2- الشمارخة 3- العيسة 4- عدوي
5-أبولين 6- الخمور.

أما من حيث تبعية زكريا إدارياً، فقد كانت تابعة قديماً إلى
القدس، ثم تحولت إلى الرملة زمن الانتداب البريطاني، ثم
ألحقت في النهاية إلى منطقة الخليل⁽³⁾. ويقول الباحث
والعالم الفرنسي (كليمون جانو) في كتاب (Reculd
Archeologie , volin , parts 11-16 page 250) في
مقالة اسمها "الشعب الزكراوي" : " إن الشعب الذي ورد اسمه
في بردية جولينشيف، والشعب الزكراوي يشكل جزءاً من
السكان الذين كانوا يعيشون في فلسطين قبل مجيء اليهود إليها،
ومن الظاهر أنه عاش على الساحل قرب الكرمل ".⁽⁴⁾

زكريا والانتداب

عرف عن أهالي القرية حماسهم في مقارعة الانتداب
البريطاني الذي كان يحمي اليهود، عبر قوافل من دباباته،
ساعدت على بناء المستعمرات، وكان أهل القرية قد هبوا
مشاركين بفاعلية كبيرة مع القرى المجاورة في النضال
الوطني، رغم أن الأحزاب السياسية التي كانت سابقاً في
فلسطين لم يكن لها أي نشاط في زكريا، ومع ذلك فقد انخرط
أبناء القرية في إضراب عام 1936م، وكانت لجنة من
المناضلين تقوم بالإشراف على عملهم ، وقد اشترى القادرون
من أهل القرية السلاح من أموالهم الخاصة، وقامت كل حاملة

بجمع أموال من أفرادها؛ لشراء السلاح، والبعض كان فقيراً، لم يكن عنده نقود، فيضطر لبيع فراشه، ومقتنيات بيته البسيطة، ليدفع لجابي الحمولة المبلغ المطلوب منه.⁽⁵⁾

أصبحت أراضي القرية ملقاة للثوار، وشارك أبناء القرية في الكثير من المواجهات مع قوات الانتداب البريطاني، والمنظمات اليهودية التي كانت تحميها وتدافع عنها، الأمر الذي أوقعهم تحت ظلم الاحتلال بممارساته القمعية على الأهالي، وفرض منع التجول عام 1936م عدة مرات، ومطالبة الجميع بالخروج من بيوتهم ، وكانوا يجمعون أهل القرية في منطقة " الجرون" ثم يدخل جيش الانتداب إلى البيوت، ويفرغ أكياس الخزين من طحين، وقمح، وشعير، وسكر، وذرة، وتمر، ويضعها فوق بعض، ثم يأتي بالزيت والغاز، والماء، ويصبونه فوقها، ثم يعتقل العديد من أبناء القرية. وفي عام 1939م استشهد أحمد مصطفى عدوي، في أثناء معركة شرسة دارت رحاها في منطقة وادي بولص بعد أن نصب الثوار كميناً لقافلة من قوافل جيش الانتداب البريطاني، ثم قامت قوات الاحتلال بفرض منع التجول على القرية، ونكلت بأهلها، واعتقلت معظم الشباب الذين تواجدوا في القرية، ثم أطلقت سراحهم بعد أن أصابهم شيء من التعذيب في سجون الانتداب⁽⁶⁾ ومن شهداء القرية عام 1948م: يوسف عبد الحميد شاهين، وبدوان محمد، وإبراهيم يوسف العيسة، ومحمود إسماعيل فرارجة، وطه أحمد الكواملة، وعبد الفتاح علي الكواملة، وعبد الله جفال، وإبراهيم عليان، ومحمد عطير، وأم علي العماش، وعبد الكريم سميرين، وإبراهيم المغربي، وإسماعيل محمد عدوي، وأحمد محمد عدوي.⁽⁷⁾ ومن شهداء القرية بعد النكبة، خاصة خلال

الانتفاضة الأولى والثانية (1987م ، 2000م) رفيدة خليل أبو لبن، ونبيل محمد أبو لبن، ومصطفى محمود فرارجة، وعبد القادر أبو لبن، وناظم جمعة أبو جودة، ومن الشهداء سنة 1967م مصطفى عبدالغفار الخمور، ومحمود عيد أبو عبيد فرارجة سنة 1970م، ومالك شاهين سنة 2015م، وعمر يوسف مناع سنة 2022م، وعمر خالد الخمور سنة 2023م.

احتلال القرية

بعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عام 1948م، حاول المقاتلون الفلسطينيون تثبيت خط دفاعي لهم في منطقة القرية، والقرى المجاورة لها على الجبال الواقعة جنوب وادي الصرار، فامتد ذلك الخط من ديربان إلى قرية البريج. وساهمت قرينتا في حماية هذا الخط، وتحصينه، والدفاع عنه، وكان الجيش المصري قد أرسل بعض المدربين إلى القرى في المنطقة، ولكن هذا الخط ما لبث أن تداعى أمام الهجوم الإسرائيلي الصهيوني الذين شن على المنطقة في 14/10/1948م، والمدعوم بالمصفحات والمدفعية، فسقطت قرية ديربان، وجراش، وبيت الجمال، وبيت نتيف، والبريج، واستيقظ سكان قرينتا على هذه الفاجعة، بعد أن أخذت راجمات القنابل تقصف القرية، ونتيجة لأسباب متعددة بدأ تشرد أهل القرية في 15/10/1948م، حيث تشتت شملهم مثل سائر القرى التي سقطت، ومن المخيمات التي لجأوا إليها، وما يزالون يعيشون فيها: مخيم الدهيشة، والعروب، وعين السلطان، وعقبة جبر، والنويعمة، والكرامة، وقلنديا في الضفة الغربية. ومخيمات شنلر (حطين)، والبقة، والوحدات، والزرقاء في الأردن. ومخيم اليرموك في سوريا. وهناك من يعيش في مدن،

مثل: بيت لحم، وبيت جالا، والقدس، ورام الله، كذلك في قرى متعددة، وفي دول كثيرة: كالأردن وأميركا، والسعودية والإمارات، وكندا، وفنلندا وغيرها.⁽⁸⁾

الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية

المدرسة: تأسست مدرسة زكريا سنة 1929م بجهود أهل القرية، وكانت عبارة عن غرفتين يدرس فيها حتى الصف الثالث الابتدائي، تعلم الذكور والإناث، وأطلق عليها اسم مدرسة "زكريا الأميرية" وفي نهاية العام الدراسي 1940/1941م قرر أهالي القرية التوسع في المدرسة، وفعلاً أضيف إليها غرفة أخرى للصف الرابع الابتدائي. وقبل النكبة كانت المدرسة قد تطورت إلى الصف السادس، وقدر عدد طلاب المدرسة بـ(30) طالباً وطالبة، وكان الطلاب الذين يريدون مواصلة تعليمهم يذهبون إلى الخليل أو إلى القدس.⁽⁹⁾

المساجد

- كان في القرية مسجدان، هما:
(1) المسجد العمري، ولعله أقدم بنيان القرية، ويعتقد أنه أحد المساجد التي بناها الفاتحون المسلمون، وهذا المسجد كان خراباً، ومهدماً، ولم يبق من آثاره سوى بقايا المئذنة، وبعض الجدران.
(2) مسجد النبي زكريا عليه السلام، وكان يطلق على اسم حرم سيدنا زكريا عليه السلام، ويقع المسجد في منتصف القرية، مبني من الحجر، وله مئذنة مربعة تعلوها قبة صغيرة، وتقدر مساحة المسجد بحوالي (200) م². وكان في البلدة زاوية للدراويش، ومن المقامات التي كانت موجودة في القرية مقام الشيخ حسن، ومقام فاطمة

السايحة، ومقام الشيخ حسن علاوة، ومقام الصالحي، وأهل
القرية سنيون شافعية.

المضافات (الحارات)

يطلق اسم الحارة على الديوان أو المضافة في زكريا،
وبعض المناطق يسمونها ساحة، ولكل بلد مسمياتها، ففي العهد
العثماني كان لكل حمولة في القرية حارة تلمهم، حيث يجتمع
فيها رجال الحمولة في أوقات فراغهم، وخصوصاً المساء، لكن
في عهد الانتداب البريطاني ازداد عدد السكان، واتسعت
القرية، وكثرت حاراتها، ومن المعروف عن أهالي زكريا أنهم
كرماء، وحاراتهم هي الملتقى لأهل القرية اليومي، وملتقى
الضيوف، وعابري السبل، والباعة المتجولين، وقيل أن تلك
الحارات أو الدواوين أو المضافات كانت مفتوحة على الدوام؛
لاستقبال الضيوف والزائرين، ولم يكن وقت من أوقات النهار
أو الليل يخلو منها الطعام، وربما كان بعضها بلا أبواب؛ حتى
لا يجد الضيف حرجاً في الدخول إليها، وكانت الحارات تعمل
على تماسك الحمولة مع بعضها بعضاً.⁽¹⁰⁾

مصادر المياه

- تقع في أراضي القرية الآبار الآتية:
 - (1) بئر السفلاني: هي مصدر مياه الشرب للقرية، وسقاية
الماشية، ويبدو أنها إحدى الآبار الموجودة منذ القدم،
وحتى الآن ما زالت تشاهد فيه بقايا الماء.
 - (2) بئر المزيرعة: كانت تستخدم لسقي المواشي، وللشرب
في أيام الحصاد.
 - (3) بئر الصرارة: للسقي والشرب.⁽¹¹⁾
 - (4) بئر وادي الجظم، لسقي الحيوانات والشرب في أيام
الحصاد، هذا بالإضافة إلى عدد كبيرة من الآبار التي

حفرت في الصخر لجمع مياه الشتاء للشرب، وكثير من الأغراض الأخرى.⁽¹²⁾

الحمد لله الذي منّ علي في إتمام هذا الموضوع، المتعلق بقريتي التي هجر عنها جدي وأبي، وعلى الرغم أنني لم أزرها إلا مرتين اثنتين، إلا أنها تعيش في داخلي، وتزورني وأزورها كل يوم، بل كل لحظة، ولا تفارقني، فهي تعيش في داخلي، ولا بد يوماً أن نعود إليها ولتلتئم شملنا، فجزورها مغروسة ومتأصلة فيّ حتى النخاع، ونقول لدافيد بن غوريون سقطت وفشلت مخططاتك ومقولتك سنة 1948م "الكبار يموتون والصغار ينسون" فنقول له: "الكبار سلمونا مفاتيح بيوتنا في قرانا، وكواشين أراضينا والطابو، وعلمونا كيف نصمد، ونصبر ونحب أرضنا ونتمسك فيها، وسنعود إليها عاجلاً أم آجلاً.

الهوامش

1. محمود الخطيب، جريدة القدس، 10/1/1996م، ص16.
2. محمد شراب، معجم بلدان فلسطين، ص432.
3. صلاح أبو شيخة، بحث عن قرية زكريا غير منشور، جامعة بير زيب، ص6، 2000م.
4. عيسى محمد عدوي، بحث منشور عن زكريا، ص9، 2005م.
5. مقابلة مع محمود الخطيب (80) سنة أجراها الكاتب في 15/5/1998م.
6. عباس نمر، قرية زكريا، الحلقة الثالثة، جريدة القدس، 24/9/2001م.
7. محمود الخطيب، مرجع سابق.
8. عيسى محمد عدوي، مرجع سابق.
9. عباس نمر، مرجع سابق.
10. صلاح أبو شيخة، مرجع سابق، ص9.
11. مقابلة مع الحاج خليل عدوي، (78) سنة، 7/4/2004م.
12. وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص165- ص166.

الفالوجة المنكوبة والمهجرة سنة 1948م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد الذي بدأ الله بنفسه وبملائكة بالصلاة عليه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين وبعد.

بعد مرور ثمانية وستين عاماً على اللجوء والنكبة والتهجير، ما زال اللاجئين الفلسطينيون على موعد العودة إلى أراضيهم التي هجروا منها قسراً، وبقوة السلاح عام 1948م، وتعويضهم عن هذه السنين التي لقوا فيها أشد أنواع العذاب، والمهانة، والمعاناة، وعن استغلال أراضيهم الخصبة والخيرة من قبل الاحتلال الصهيوني، وعن ما خسروه من ثروات متنوعة خلال الطرد والتهجير من قراهم المنكوبة والمدمرة عام 1948م، وكل هذه التعويضات التي تقدر بمئات المليارات من الدولارات، والتي يتحمل مسؤوليتها المحتل الصهيوني، والمجتمع الدولي، ورأيت أن أكتب في الذكرى الثامنة والستين على النكبة عن قرية الفالوجة القرية المهمة في موقعها، وتاريخها، وسكانها، والتي بدأت مقاومة متميزة وكبيرة عام 1948م.

معنى الفالوجة

الفالوجة من فَلَج الشيء: شقه نصفين، والفَلَج: القسم. والفَلَج هو النهر الصغير، والفالج، هو المكيال، وشلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً، والفُلْج: الظفر والفوز بالمطلوب، والفلوجة: الأرض الطيبة المصلحة للزرع، والجمع فلاليج، ومنه سمي موضع في الفرات فلوجة، والفَلَج، أيضاً الصبح.⁽¹⁾

أصل التسمية

كانت تسمى هذه القرية بزريق الخندق، وتحولت فيما بعد إلى اسم الفالوجة، وهي تحريف لكلمة (الفلوجة) وهي بلد مشهورة في العراق، فتغيير الاسم مرتبط بأحد أسياذ الطريقة الصوفية، المعروف بسيدي أحمد الفالوجي القادم من الفلوجة العراقية، وجاءت الرواية كما يأتي: "قام (السيد) وهي كلمة عراقية تعني الانتساب إلى أهل البيت برحلة حج إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، وقد كانت مثل هذه الحجة تستغرق شهوراً طوالاً، وقد تقارب السنة، إذا ما أراد أن يعرج على بيت المقدس، لما كانوا يسمونه تقديس الحجة، وحسب بعض المعتقدات أن من لا يكحل عينيه بأولى القبلتين، ويصلي في حرمة تكون حجته ناقصة. وحرصاً من السيد أحمد الفالوجي على أن تكون حجته كاملة مستوفية الأركان، قام بزيارة المسجد الأقصى، وفي طريق عودته لدياره العراق أصيب بحمي ألزمت رحله على النزول في أرض هي بأشبه بلاده؛ للاستشفاء والراحة من وعناء السفر، وكان يرافقه في رحلته للحج جمع من أبنائه ومريديه وأتباعه المؤمنين بطريقته ومذهبه. كان بين هؤلاء أحمد وعيسى الفلوجي، وقد شكلا ومن معهما من ذريتهما شكلا من قاعدة بشرية السكان بلدة الفلوجة الفلسطينية بعد وفاة الإمام أحمد الفالوجي، الذي دفن في هذه الأرض المباركة من حول المسجد الأقصى، وعز على مريديه مغادرة المكان، وترك سيدهم في أرض قفر بلا جليس، ولا ونيس، فعزموا على البقاء إلى جواره، ولذا أخذوا يفكرون في الاشتغال بما يقيم أودهم، ولما لم يكن أحد منهم يجيد سوى حرفتي الزراعة وصناعة الفخار؛ لذا شرعوا بمزاولة هاتين الحرفتين، وهما حرفتان لا زال أهل فلوجة العراق يزاولونها، مما يؤكد صحة تواتر الرواية. وأما ممن هو من غير هاتين العائلتين فكانوا يسمون (الغربية)⁽²⁾ وأحمد الفالوجي من سلالة الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني شيخ الطريقة القادرية، ولحب

الناس للشيخ أحمد بنوا بيوتهم حول مقامه، ودعوا القرية الجديدة باسمه (الفلوجي)⁽³⁾ ويسمىها الصهاينة الآن كريات غات. ويقول مصطفى مراد الدباغ في كتابه (بلادنا فلسطين) أن البلدة يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثامن الهجري، وذلك أن الرجل الصالح والولي الصوفي شهاب الدين أحمد الفلوجي أتى إلى فلسطين من بلدة (الفلوجة) بالعراق، فنزل بادئ أمره قرية (بيت عفا) ومنها انتقل إلى موقع (زريق الخندق) وفيها أخذ يدعو الناس لاتباع الطريقة القادرية الصوفية، ولما توفي الشيخ دفن في الجهة الجنوبية من (زريق الخندق) ولحب الناس له، وتمكنه من قلوبهم، أخذوا يبنون حول مقامه بيوتهم، ومع الزمن تغير اسم القرية إلى الفلوجة، وللتخفيف أخذوا يلفظونها الفالوجة.

موقع القرية وأهميته

تقع الفالوجة بين قريتي كرتيا وعراق المنشية إلى الشمال من مدينة غزة، وتتبع قضاءها، وتبعد عن المجدل (18) كم، وعن غزة (30) كم، ولوقوع البلدة بين السهل والجبل والبدو، جعلها مركزاً تجارياً هاماً، فأنشئ فيها سوق عمومي في كل أسبوع من يومي الأربعاء والخميس، يأتيه التجار من مختلف القرى والبلدان المجاورة.⁽⁴⁾ وترتفع الفالوجة 100م عن سطح البحر، وتشكل المدخل الشمالي للنقب، وتقع في منتصف المسافة بين مدينتي عسقلان في الغرب، والخليل في الشرق. ويقول حسين روجي الخالدي في كتابه (المختصر في جغرافية فلسطين): "إنها تتبع قضاء المجدل، وعدد سكانها سنة 1922م 2482 نسمة"⁽⁵⁾ وجعل الموقع أرضها مناسبة لزراعة الحبوب والخضار، وأشجار الفاكهة، وتعتبر حلقة وصل بين مدن فلسطينية مهمة: كالنقب، وغزة، وعسقلان، والخليل مما أكسبها أهمية إستراتيجية سياسياً وعسكرياً.

مساحتها والقرى المحيطة بها

بلغت مساحتها حوالي (38) ألف دونم، ومنها (696) دونماً للطرق والوديان، ولا يملك اليهود فيها شيئاً، ومساحة بناء القرية (517) دونماً، ويحيط القرية قرى عراق المنشية، وجسير، وحتا، وكرتيا، وعراق سويدان، وبربر، وكوكبا، وأراضي قبيلة الجبارات⁽⁶⁾.

السكان

بلغ عدد سكان القرية سنة 1945م (5670) نسمة من العرب المسلمين. ومن عائلاتها المشهورة: أولاد أحمد وينسيون إلى السيد الفالوجي، وحمولة أولاد عيسى ويسمون السماقة، وحمولة السعافين، وحمولة النشاشين والسرادين، والعقيلة، والمطرية، والبايض، والنجار، وغبن، والكرنز. ويقدر عدد سكانها اللاجئين عام 1998م بـ(33000) نسمة، وكان سكان القرية قبل الاحتلال يعملون في الزراعة، والتجارة، ويعملون في تربية الحيوانات، والدجاج، وفي طحن الحبوب، والتطريز، والحياكة، وصناعة الفخار. وكان في الفالوجة مصبغة تستقطب الزبائن من أرجاء المنطقة كافة.⁽⁷⁾

المجلس المحلي في القرية

تشكل المجلس المحلي في الفالوجة سنة 1936م، وكان يتألف من رئيس وتسعة أعضاء، ويعنى بالأمور الصحية، والإنارة، والمياه، وإدارة السوق العام، وبناء المدارس وغيرها، وبلغت واردات المجلس بالجنهيات الفلسطينية سنة 1944م (11,265) جنيهًا فلسطينيًا، وبلغت نفقاته (10,076) جنيهًا.⁽⁸⁾

جامع القرية ومدرستها

يوجد في القرية جامع قديم، دفن في أحد غرفه الشيخ أحمد الفالوجي، ويتألف من ثلاثة أروقة، وعلى الباب رخامة نقش عليها انه أنشئ في زمن عيسى العادل الأيوبي سنة 621 هـ، وهدمت سلطات الاحتلال الصهيوني هذا المسجد الذي يعتبر معلماً تاريخياً ودينياً هاماً وشاهداً على النكبة خلال الانتفاضة الثانية (أيلول 2000م).⁽⁹⁾ وأنشئت مدرستها سنة 1919م وفي سنة 1941م أصبحت ابتدائية كاملة، وفي سنة 1947م أنشئ الصف الأول الثانوي، وكان عدد طلاب المدرسة (522) طالباً يعلمهم (13) معلماً. وفي سنة 1940م أقيمت مدرسة للبنات على حساب المجلس المحلي، ثم أصبحت حكومية عام 1943م.⁽¹⁰⁾

احتلال القرية

لقد أبلى سكان الفالوجة في حرب 1948م بلاءً حسناً في الدفاع عن قريتهم وأرضهم، وصمدوا في أثناء الحصار الذي تعرضت له حامية من الجيش المصري في القرية طوال ستة شهور، وكان معهم جمال عبد الناصر، الرئيس المصري الأسبق، وأخيراً أسفرت المفاوضات عن انسحاب الجيش المصري، وخروج السكان من بلدتهم، فدمرها الأعداء الصهاينة تدميراً كاملاً، وزرعوا في موقعها أشجار الكينا، وأقاموا مستعمرتي (شحر، ونيرحن). لهذا لفللوجة في تاريخ النضال الفلسطيني قصة مشرفة، فلاحية موقعها حاول الصهاينة احتلالها منذ وقت مبكر، فجاهد أهلها وصبروا، ودافعوا عن قريتهم قبل دخول القوات المصرية، وألفوا لجنة قومية من أهل القرية ومن أهل القرى المجاورة وعهد إليها بإدارة شؤون القتال في قطاع الفالوجة. ومن أعضاء اللجنة: الشيخ محمد عواد، رئيس البلدية، ومن أعضاء المجلس البلدي:

عبد المجيد الحصان، ورشدي الحاج إسماعيل، ومن المخاتير: أحمد حرب، ومحمد رمضان. ومن وجوه البلدة: حسين مصطفى، ورشدي رصرص.

وقد حصن الفالوجيون قريتهم، بعد أن نسف اليهود مبنى البلدية. فوصلت القوات المصرية إلى الفالوجة في 1948/5/22م، وصمد أهل القرية مع قوات الجيش المصري في حصار طويل دام (130) يوماً. فقد بدأ الحصار في 1948/10/14م، وخرج الجيش والأهلون بعد إقرار اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في 1949/2/4م. وقد اعترف القائد العام للقوات المصرية في فلسطين، اللواء أحمد فؤاد صادق باشا، بما بذله أهل الفالوجة من التضحيات في برقية أرسلها إلى الشيخ محمد عواد رئيس بلدية الفالوجة، في 1949/3/18م، حيث قال: " أحبي بطولة أهل الفالوجة، وأشد برباطة جأشهم وعظيم إخلاصهم وحسن تعاونهم ".⁽¹¹⁾

وكانت قوات الاحتلال الصهيوني قد حاولت في 1948/3/13م قبل وصول القوات المصرية بالهجوم بقوات كبيرة على القرية، تساندها الدبابات والطائرات بالهجوم على القرية، إلا أن هذا الهجوم باء بالفشل، وقد بلغت خسائر العدو المنهزم (25) قتيلاً وعدداً مماثلاً من الجرحى، وغنم المجاهدون غنائم كثيرة، واستشهد منهم ثلاثة، وجرح أربعة. وفي اليوم التالي، حاولت قافلة يهودية بحراسة المصفحات المرور عنوة طريق الفلوجة إلى مستعمرة (نقبة) إلا أن المجاهدين ردوها على أعقابها، ولم يمكنوها من الوصول إلى المستعمرة بعد أن قتلوا منهم تسعة.⁽¹²⁾

لم تسقط الفالوجة في حرب 1948م، ولم تستسلم، رغم سقوط المئات من الشهداء والجرحى، ونفاد الدواء والغذاء، وكانت القرية تخوض قتالاً بطولياً يومياً، حيث صمد أهلها من

تشرين الأول/1948م حتى شباط 1949م، وقاوموا الغزاة الصهيونية وكان إلى جانبهم لواء مصري يخدم فيه الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، وقتل من الصهيونية أكثر من (350) جندياً.

تسليم القرية بعد الهدنة

سلمت القرية إلى الكيان الصهيوني بموجب اتفاقية الهدنة بين مصر والكيان الصهيوني، ونقض الصهيونية بنود الاتفاق كعادتهم، وهجروا أهلها بالقوة، وأقيمت على أراضيها مستعمرات: قريات غات، وشحر، ونيرحن، بعد أن دمرها اليهود تدميراً كاملاً، وأزالوا معالمها العربية والإسلامية من الأساس، وتعرف بقعتها لدى اليهود باسم (pelugot) بمعنى الجيوش.

الفالوجة وحركة الضباط الأحرار في مصر

بدأ الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر بالتخطيط بتشكيل حركة الضباط الأحرار، والثورة والانقلاب على الحكومة المصرية، حكومة الملك فاروق، وهو محاصر في الفالوجة، حيث حوصر فيها عدة أشهر، فيقول في كتابه فلسفة الثورة عن الحصار والحرب: " في فلسطين جاءني صلاح سالم، وزكريا محيي الدين، واخترقا الحصار إلى الفالوجة، وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة، ولا نهاية. وكان حديثنا الشاغل وطننا الذي يتعين علينا أن نحاول إنقاذه ... وأنا أذكر أيام كنت أجلس في الخنادق وأسرح في ذهني إلى مشاكلنا. كانت الفالوجة محاصرة، وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً مروعاً، ها نحن في هذه الجحور محاصرون، لقد غرر بنا، ودفعنا إلى معركة لم نعد لها، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات، وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح، وحين كنت أصل إلى هذا الحد من تفكيري

كنت أجد خاطري تتفزع فجأة عبر ميادين القتال، وعبر الحدود، إلى مصر، وأقول لنفسى: هذا هو وطننا هناك، إنه فالوجة أخرى على نطاق كبير ... وأعود إلى الذي كنت أقوله بأن الاستعمار هو القوة الكبرى التي تفرض على المنطقة كلها حصاراً قاتلاً غير مرئي، أقوى وأقسى مئة مرة من الحصار الذي كان يحيط بخنادقنا في الفالوجة، وبجيوشنا جميعاً، وحكوماتنا في العواصم التي كنا نتلقى منها الأوامر" (13)

نلاحظ من قول جمال عبد الناصر أن بؤرة وأفكار ثورة الضباط الأحرار في مصر قد انبثقت من مغاور وخنادق وحصار الفالوجة، فكانت خلايا الضباط الأحرار تجتمع وتدرس وتبحث وتخطط في هذه الخنادق والمراكز للثورة، والتغيير، والتمرد، والقنابل، والصواريخ تدكهم، وتذك تحصيناتهم، فمن الفالوجة بدأت حركة الضباط الأحرار في مصر وثورتهم. فكانت ثورة (23/تموز/1952م) التي أطاحت بالملك فاروق.

أهل القرية اليوم

يقدر عدد سكان أهل قرية الفالوجة في هذه الأيام حوالي (40) ألف نسمة، وحالهم كحال سكان وأهالي سائر القرى والمدن الفلسطينية المهجرة سنة 1948م والذي يزيد عددها على (500) قرية ومدينة مشتتون في أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي الأردن، وسوريا، ولبنان، والخليج العربي، وأوروبا، وكافة بقاع الأرض وأصقاعها، وهم على أمل العودة إلى أراضيهم وبيوتهم. وما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم شأنهم شأن كافة اللاجئين الفلسطينيين البالغ عددهم حالياً أكثر من ثمانية ملايين نسمة.

هذه هي الفالوجة الفلسطينية العريقة الأصيلة التي تسبح مع الفلوجة العراقية القابضة على الجمر في فلك واحد، فلك الجهاد

والتصميم على مقاومة المحتل الغازي الأجنبي، الذي ما انفك يتربص بنا الدوائر، ليحاربنا في ديننا، وثرواتنا، ووجودنا، وتراثنا، ولا بد أن يعود الحق لأصحابه، ولا بديل عن عودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم التي هجروا عنها عام 1948م وتعويضهم عن خسائرهم، ومعاناتهم من سنة 1948م حتى الآن. فحق العودة حق فردي لكل لاجئ فلسطيني، ولا يسقط بالتقادم مهما كانت الظروف والأحوال، وهذا ما تكفله القوانين الدولية للاجئين.

الهوامش

1. ابن منظور، لسان العرب، مادة الفلج.
2. من ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الفالوجة، 2015/8/28م، ومقابلة مع الأستاذ جمال شحادة من قرية الفالوجة في 2015/9/1م.
3. معجم بلدان فلسطين، محمد حسن شراب، ص578-579.
4. معجم بلدان فلسطين، مرجع سابق، ص579.
5. رشاد أبو جودة، مدينة غزة وقراها المنكوبة والمدمرة سنة 1948م، ص42.
6. حسين روجي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص109.
7. أمل عدوي، قرية الفالوجة، بحث غير منشور، ص5، 2011م.
8. أمل عدوي، مرجع سابق، ص6.
9. جمال شحادة غبن، مرجع سابق.
10. معجم بلدان فلسطين، مرجع سابق، ص580.
11. معجم بلدان فلسطين، مرجع سابق، ص581.
12. بلادنا فلسطين، مرجع سابق، ص228.
13. فلسفة الثورة، جمال عبد الناصر، ص14-15.

قرية جراش المنكوبة والمهجرة على 1948م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن استنّ بسنته
إلى يوم الدين، وبعد؛

يُحيي الفلسطينيون وأنصارهم والمتضامنون معهم في جميع
أرجاء العالم ذكرى النكبة الفلسطينية التي حدثت في العام
1948م مؤكدين تمسّكهم بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين
جميعهم إلى مدنها، وقراهم، وبيوتهم التي هجروا عنها قسراً،
بقوة السلاح، وتعويضهم عن الظلم، والمعاناة، والخسائر
الناجمة عن الاحتلال، والتهجير. ومن المعلوم أنّ حقّ اللاجئين
في الأعراف والقوانين الدولية لا يسقط بالتقادم، مهما مرّ عليه
من زمن، وعلى قاعدة أن قضية اللاجئين قضية سياسية
ووطنية وقومية وإنسانية.

فبعد مرور (74) سنة على اقتلاع الفلسطينيين، وانتزاعهم
من أراضيهم، وتهجيرهم، وتشيتهم في فلسطين والعالم،
يواصل اللاجئون المطالبة بحقوقهم في العودة إلى بلادهم
الأصلية، واستعادة ممتلكاتهم، حيث تمّ وبقوة السلاح والإرهاب
الذي مارسه العصابات الصهيونية (شتيرن، والهأغانة،
والأرغون) ضد الفلسطينيين من تشريد أكثر من (850) ألف
فلسطيني، وقتل أكثر من (16) ألف مدني فلسطيني، وبلغ عدد
اللاجئين الفلسطينيين حالياً حوالي (8) ملايين لاجئ مشتتين في
أصقاع الأرض، وارتكبت العصابات الصهيونية في فترة النكبة
(1947/12/11 إلى 1949/1/19م) أكثر من (31) مجزرة

مرّوعة ضد الشعب الفلسطيني، فكان هدف الحركة الصهيونية، هو إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يكفله القانون الدولي العام.⁽¹⁾ واعتمدت في ذلك على وعد بلفور (1917/11/2م) ودعم المؤسسات الدولية لها، وتيقّن الصهاينة أنه لا تتحقّق سيطرتهم على فلسطين واغتصابها من أهلها إلاّ بطرد سكانها الأصليين منها. انظروا، ماذا يقول أحد القادة الصهاينة وهو إسرائيل زانغويل سنة 1905م أي قبل وعد بلفور باثنتي عشرة سنة " يجب على اليهود أن يطردوا العرب من فلسطين إلى الخارج، أو سيضطرون إلى التخبّط في عدد كبير من سكان العرب"⁽²⁾ وفي ذلك الوقت لم تكن نسبة اليهود في فلسطين تتجاوز 3% من مجموع عدد السكان. وفي سنة 1939م يقول الزعيم الصهيوني جابوتنسكي " يجب أن يخلي العرب المكان لليهود في أرض إسرائيل، وما دام أمكن نقل شعوب البلطيق يمكن أيضا نقل الفلسطينيين العرب."⁽³⁾

في إحصاء جرى سنة 2006م يقول المؤرّخ والباحث اليهودي إيلان بابيه في كتابه التطهير العرقي في فلسطين صفحة (290) "أعرب 86% من اليهود الإسرائيليين في استقصاء للرأي جرى حديثا عن رغبتهم في رؤية الفلسطينيين مرّحلين عن فلسطين". ومن هذا المنطلق، جدير بنا أن نذكّر المهرولين، والمطبّعين من العرب والمسلمين قائلين لهم: بدلاً من التطبيع، والتذلّل للصهاينة، والرّكوع لهم، ودعمهم، وتقديم فلسطين لهم عربون العلاقات الأخوية والودية والتحالفية الاستراتيجية عليكم محاربة الصهاينة المحتلين، وتحرير فلسطين الأرض المقدسة المباركة التي حظيت بالتكريم والقدسيّة من ربّ العالمين في الكثير من الآيات، ومن رسوله

الكریم سیدنا محمد (ص) فی أحادیث نبویة کریمة، فقال سبحانه وتعالی: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَائِلَتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] (الإسراء:1) وقال سیدنا محمد (ص): " لا تشد الرجال إلّا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله علیه وسلم، ومسجد الأقصى" (4) إنها دولة احتلال قائمة على عصابات إجرامية، فيعترف ويفتخر أحد قادتها يهودا باراك أنه قتل أكثر من (300) فلسطيني خلال ثلاث دقائق ونصف في الحرب التي شنت على غزة عام (2009) وتعتزف شرطة هذا الكيان أنها أعدمّت أكثر من (200) فلسطيني فيما بين سنة (2015 و 2017م). (5)

لقد تعرّضت فلسطين للعديد من النكبات على مر التاريخ من الفرنجة، والتتار، وغيرهم، وهياً الله لها من يُحرّرها، ويُعيد لها حريتها، ومكانتها. كصلاح الدين الأيوبي، ونور الدين زنكي، وقطرز، والظاهر بيبرس، وغيرهم من القادة العظماء. وفي الذكرى الرابعة والسبعين على النكبة المتواصلة والمستمرة رأيت أن أكتب عن قرية منكوبة ومهجّرة ينتظر أهلها أن تكون هناك نهاية لهذا النفق الطويل المظلم، ولمأساة لجوئهم وعذابهم، إنّها قرية جراش المنكوبة. وإن أجز لي أن أهدي هذا المقال، فأهديه إلى روح الشيخ البحّاث المؤرخ اللاجئ عضو اتحاد المؤرّخين العرب ابن قرية دير أيوب عباس نمر عليان أبي عبد الله عاشق تراثنا الفلسطيني الذي وافته المنية يوم 2021/11/28م حيث كان يتحفنا في كتاباته ومقالاته عن القرى المنكوبة في جريدة القدس صبيحة كل يوم أحد؛ ليجعلها حاضرة في ذاكرتنا، وهويتنا، كذلك أهديه إلى

الباحث الكاتب الأسير المحرّر ابن قرية جراش إسماعيل رمضان مدّ الله في عمره بمناسبة إصدار كتابه (حسن اللاوعي) في تشرين الأول من عام 2021م والذي يُورّخ فيه للمقاومة الفلسطينية بأسلوب جميل متميّز، ويُجسّد من خلاله لأهمية الوعي الفلسطيني في مقاومة رواية الاحتلال الصهيوني وإبطالها، والوصول إلى حالة من النضج الفكري والثقافي، والوعي الذي يُحقّق حتميّة هزيمة الاحتلال.

جراش الاسم والموقع

جَرَش، أو إجرّاش، أو جِراش قرية تزخر بالحياة والرّخاء، ولها تاريخ وذاكرة وطنية خالدة، أعاد الله لها أهلها؛ لينعموا بخيراتها. معنى جَرَش في اللغة، الجَرَش: حَكَّ الشيء الخشن بمثله، وذلك كما تجرش الأفعى أنيابها إذا احتكت أطواؤها تسمع لذلك صوتاً وجرشاً، وجراشة الشيء ما سقط منه جريشا إذا أخذ ما دُقّ منه. والجرش: صوت يحصل من أكل الشيء الخشن.⁽⁶⁾ عرفت القرية باسم جَرَش (بفتح الجيم والرّاء) في الكثير من الموسوعات الفلسطينية. أمّا أهلها، فيقولون (إجرّاش، أو جِراش) بلفظ همزة قطع مكسورة قبل الجيم، أو كسر الجيم. فيقول عن ذلك الباحث عباس نمر: لفظة أهل (جراش) لاسم قريتهم أصلية، وثُقلت بالمشافهة عن آبائهم، وأجدادهم، ويبدو في كتابة اسمها (جرش) في الكتب خطأ مطبعي، والله أعلم.⁽⁷⁾ وتقع القرية على سفح جبل يطل نحو الغرب في جبال القدس، وهي من قرى محافظة القدس، ووجدتُ في كتاب (المختصر في جغرافية فلسطين) لحسين روجي الخالدي الصادر في سنة 1923م أنّها تتبع حسب التقسيمات الإدارية لفلسطين في اللواء الجنوبي، ضمن قرى قضاء الخليل، وتنحصر بين رافدي أبي صليح، وهما وادي الدلبة شمالاً، ووادي المغارة جنوباً، وبهذا اكتسبت القرية موقعا دفاعيا ممتازا من القدم؛ مما سهّل الدفاع

عنها، ومدها بالحماية.⁽⁸⁾ وهناك قرية فلسطينية اسمها قريب من اسم جراش لفظاً، وهي (جريشة) تقع على بعد (5) كم شمال شرق مدينة يافا، وأيضاً جَرَش البلدة الواقعة شمال الأردن، وجَرَش (بضم الجيم وفتح الراء) بلدة عظيمة في عسير من أعمال المملكة العربية السعودية، لم يبق منها إلا الأطلال، وذكرت في كثير من الكتب القديمة.⁽⁹⁾

المساحة والحدود

جراش قرية صغيرة، مساحة الأرض المقام عليها البنيان لا يتجاوز خمسة دونمات، ومساحة أراضيها (3518) دونماً. يحدها من الشرق قرية سفلى، ومن الغرب والجنوب بيت نتيف، ومن الجنوب الشرقي بيت عطاب، ومن الشمال: دير أبان، وهي أكبر القرى المجاورة لها، وأقرب قريتين عليها هما: سفلى، وبيت نتيف. وفي القرية خربة الأسد التي فيها جدران متهدمة، وأساسات مغر منقورة في الصخر، وصهريج له درج، ومعصرة منقورة في الصخر.⁽¹⁰⁾ أقام الصهاينة مستعمرة (زانوح) على أراضيها، وأراضي بيت نتيف.⁽¹¹⁾ وذكر لي كبار السن الذين عاشوا في القرية، ومنهم محمود الزغاري (85) سنة: "أنه يوجد في القرية الكثير من الآبار، وفيها خرب، وهي: خربة السيعري، والبيري، ورزين، وأم العمدان، وسيراً، ونياطة، وفي القرية اليوم بقايا المنازل المدمرة، وركام المصاطب، ويقع إلى الشمال الغربي من القرية أطلال مقبرة، وفي القرية مقام للشيخ عبود، وأهم عين في القرية هي عين الدلبة".

السكان

بلغ عدد سكان القرية في أول إحصاء حديث لفلسطين سنة 1922م زمن الاحتلال البريطاني (115) نسمة⁽¹²⁾. وبلغ عدد السكان (164) نسمة سنة 1931م. و(190) نسمة سنة

1945م، وسنة 1948 (220) نسمة، وسنة 1998م بلغ عدد سكان القرية (1353) نسمة (13).

ويقول المتقدمون في السن من قرية جراش عن طبيعة العلاقة بين الحمانل على أنها كانت علاقة متينة قوية، ومشاكلهم كانت بسيطة، وتحل بشكل سريع، من دون أن تترك أية ضغائن بين الأفراد، وكان لكل حمولة ساحة، أو مَصَافَة كسائر القرى الفلسطينية الأخرى، وهي عبارة عن غرفة كبيرة يجتمع فيها رجال الحمولة في أوقات فراغهم، وسهراتهم، ومناسباتهم، وتقي بأغراض أخرى: منها غرفة للضيوف لكل أفراد الحمولة، ومأوى الغرباء والمسافرين، وللساحة أهمية وقيمة كبيرة عند كل حمولة، لأنها عنوان فخرهم، وعزّتهم وعظمتهم، وتعبير عن وجودهم وكيانهم، وكانت الحمانل تفتخر، وتعتزّ بكثرة ما يفد إلى ساحتها من ضيوف ومسافرين.

وكما يقول كبار السن في قرية جراش، وغيرها من القرى: إن تعدّد الساحات للحمولة الواحدة نفسها يدلّ على الخلافات، والتباعد بين أفراد الحمولة، فكان في بعض القرى الأخرى أكثر من ساحة للحمولة الواحدة، بسبب التنافس على قيادتها، وإدارتها، ولكن في قرية جراش لم يكن هذا موجوداً، فكان لكل حمولة ساحة واحدة، والانسجام بين أفراد الحمولة الواحدة يبلغ أعلى درجات غاياته، كذلك العلاقات بين الحمانل كانت ممتازة، وما زالت. ويقول الحاج محمود الزغاري (85) سنة عن علاقة أهل القرية فيما بينهم: "كانوا يدا واحدة، ويتعاملون مع بعضهم بعضاً بشكل جيد، وكانوا متعاونين، والبلد هادئة، ولا مشاكل تذكر فيها، وكان الغناء يستمر 30 يوماً في الأعراس". (14)

وفي لقائي مع الأستاذ الباحث محمد عطيه رمضان، مدير مدرسة ذكور الدهيشة الأولى من قرية جراش (52)

عاما، والحاصل على ماجستير تاريخ في دراسات مقدسية، قال عن الحمائل والأسر: " تتشكل قرية جراش من ثلاث حمائل رئيسية، وبعض العائلات، وهي: حمولة الزغاري، ومن عائلاتهما: جادالله، والحج، وعبد ربه، ويوسف، وحمولة رمضان، ومن عائلاتهما: سلامة، وعطيه، وسالم، وحمولة سليم، ومن عائلاتهما: شهيل وجودة، ومن العائلات الصغيرة، الفراحين، والنّجار، وصلاح، وقال : اليوم يبلغ عدد أهالي جراش حوالي (4500) نسمة، والكثير منهم خرجوا من تحت الرماد، ونحتوا الصخر، وشقّوه؛ ليحصلوا على مناصب هامة في المجتمع، والعالم، فمنهم رجال الأعمال المعروفين على مستوى الوطن العربي، مثل: خضر رمضان الجراشي، وهو من أكبر رجال الاعمال في فلسطين، ورئيس مجلس إدارة مجموعة شركات الجراشي للاستثمار (مصنع الباطون في بيت لحم، وآخر في الخليل، وشركة مواد بناء، ومحطة غاز، وشركة محروقات، والشركة العقارية) وتقاد مناصب إدارية وفنية كبيرة في الوطن، كذلك محمد رمضان الجراشي صاحب أكبر شركات للمقاولات في محافظة بيت لحم ، وعدنان رمضان عميد شؤون الطلبة في جامعة بيت لحم، واللواء إبراهيم رمضان محافظ محافظة جنين، والكاتب المؤرخ الشاب تامر مهنا الزغاري الذي وضع كتابين، وهما : كتاب (العهد العباسي) صدر سنة 2019م، وهو كتاب شامل يوثق لتاريخ الخلافة العباسية بطريقة جديدة، وكتاب (ملوك فلسطين) صدر سنة 2021م، يتحدث فيه عن (64) ملكاً حكموا فلسطين حكماً مركزياً من فترة ما قبل الميلاد حتى (100) بعد الميلاد.

البناء

يقول الحاج محمود الزغاري (85) سنة عن البناء: "إنّ الدور في القرية تبنى من طين نسميه (الكّالة) نخلطه بالqvص، وكانت الأقواس تزين بيوت القرية، وتألّفت معظم بيوت القرية

من الحجر" واتخذ مُخطَّط القرية شكلا طوليا، حيث سار نموها العمراني نحو الجهتين الشمالية الغربية، والجنوبية الشرقية ثم أخذت المباني تمتد في أواخر فترة الاستعمار البريطاني على شكل محور بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية سفلى المجاورة، بالرغم من ذلك لم تتجاوز مساحتها حتى عام 1945م خمسة دونمات إلى جانب البيوت السكنية التي قدر عددها في أواخر فترة للاستعمار البريطاني بنحو (50) بيتا، وكان في القرية بعض الدكاكين الصغيرة، وافتقرت القرية للمرافق، والخدمات العامة، لذا اعتمدت على قرية دير أبان المجاورة، في تلبية بعض حاجات سكانها، أما فيما يتعلق بمياه الشرب، فحصل الناس عليها من آبار جمع مياه الأمطار، ومن عين الدلبة المجاورة.⁽¹⁵⁾

الزراعة والثروة الحيوانية

تعتبر الزراعة الشريان الرئيس لقرية جراش، فهي من موارد الرزق الهامة فيها، فمعظم أهل القرية يعملون في الزراعة، وكانت أراضي القرية تزرع بالحبوب من فول، وعدس وكرستة، وسمسم، وحمص، وقمح، وشعير في بطون الأودية والمنخفضات، وبأشجار الزيتون والعنب على سفوح المنحدرات الجبلية، وإلى الشرق من القرية تمتد الأشجار والأعشاب الطبيعية، في مساحات واسعة فوق قمم الجبال، وعلى منحدراتها، وهي مصادر غنية لرعي الحيوانات وللحطب، واعتمدت الزراعة والنباتات الطبيعية على مياه الأمطار التي تهطل بكميات كافية سنويا. وفي القرية أشجار الخروب، والتين، واللوز، والزيتون، والبلوط، والبطم، والسريس، والصبر الذي تغنى سكان جراش بطعمه اللذيذ، وتميزه عن سائر الصبر في القرى المجاورة.

في السنوات الأخيرة قبل النكبة كانت جراش من ضمن (15) قرية، والتي تعرف بقرى منطقة عرطوف؛ لأن مركز البوليس الإنجليزي لهذه القرى كان اسمه مركز عرطوف تستلم مؤنها من مختار قرية ديرابان حسن أبو هدبا، والذي كان يذهب إلى القدس كل يوم إثنين، ويُحضر المؤن، ثم يقوم بتوزيعها على هذه القرى، والتي من ضمنها قرية جراش، فكانت حصة الفرد (3) كغم من الطحين، وبعض السكر، والحلاوة، والشاي، والذرة المصرية، والقماش، وكان يتسلم لأهالي جراش السيد محمود عبدالقادر محمود، وسلامة أحمد حسن.⁽¹⁶⁾ وكان أهالي القرية يربون الأغنام، والأبقار، والجمال.

احتلال القرية

إن الملفات التي جمعتها دائرة الاستخبارات التابعة للهاغاناة في الحركة الصهيونية السرية تشكّل الأساس في احتلال القرى، وتهجير أصحابها، إذ أعدّ ضباط الاستخبارات ملفًا خاصًا عن كل قرية فلسطينية، وكان عددها ألف قرية. وبدأت عملية إعداد الملفات عام 1940 م واستغرقت سبع سنوات، واحتوت على معلومات مفصلة جدا عن كل قرية.⁽¹⁷⁾ واعتبروا أنّ نجاح المشروع الصهيوني في فلسطين، وإقامة دولته لن يكون ما لم يُستولَ على الأرض، ويُسيطر عليها كهدف معلن، مع تفكيك العلاقة والارتباط بين الأرض والفلسطيني.⁽¹⁸⁾

تمّ شريد سكان قرية جراش وتهجيرهم ما بين 19 و21/10/1948م، حيث أغارت العصابات الصهيونية على القرية في عملية عسكرية أطلق عليها (ههار) وكانت القوة الأساسية المشتركة في هذه العملية هي لواء (هرئيل) والوحدة المسؤولة عن احتلال القرية الوحدة السادسة من هذا اللواء، وتطرّق الباحث والمؤرخ الفلسطيني وليد الخالدي في كتابه

(كي لا ننسى) عن تفاصيل احتلال القرية. ومن المعروف أنّ الهدنة الأولى والثانية بين الصهاينة المحتلين والعرب قد خرقتها العصابات الصهيونية، واحتلت بهذا الخرق عشرات القرى الفلسطينية فيما عرف بعملية (حيرام). ويقول عارف العارف في كتابه (النكبة والفردوس المفقود) في الملحق العاشر: " إن العرب أضاعوا (32) قرية من قضاء القدس باتفاقية الهدنة بين إسرائيل والدول العربية، وذكر من ضمنها قرية جراش موضوع بحثنا. ومن قضاء بيت لحم أضاعوا (7) قرى، ومن قضاء الخليل أضاعوا (16) قرية.

جراش في الشعر الفلسطيني:

كتب الكثير من الشعراء والأدباء عن المدن والقرى المنكوبة والمهجّرة عام 1948م ومنهم الشاعر عبد الكريم الكرمي أبو سلمى الذي أصدر ديوان (المشرد) سنة 1953م، والشاعر خليل زقطان ابن قرية زكريا الذي أصدر ديوان (صوت الحياض) سنة 1953م، وغيرهم الكثير من الشعراء. وكتب الشاعر الحاج لطفي الياسيني قصيدة شعر جميلة في قرية جراش، أطلق عليها (بكائية على قرية جراش المدمرة).

وهذا مقطع من القصيدة:
جرش السلبية كيف أنساها؟
من يوم نكبتنا وذكرها
ما زلت... رغم البعد أحياها
أشتاق من سقطوا ضحاياها
أت لقريتنا لأرهاها
وأبيد... من سرقوا خباياها
سأعود... كي أحيا بقريتنا
روحي فداها كيف أنساها؟ (19)

الهوامش

1. اللاجئين والمهجرون الفلسطينيون وقضيتهم وحقوقهم، بديل المصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ص22، سنة210.
2. التطهير العرقي في فلسطين، إيلان بابيه، ص39.
3. المرجع السابق نفسه، ص321.
4. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم الحديث (1189) ص245.
5. الدهيشي، عيسى قراقع، ص70.
6. لسان العرب، ابن منظور، ج6، ص272.
7. جريدة القدس، قرية إجراش المنكوبة، عباس نمر، 2017/3/5م، العدد (17086) ص17.
8. معجم بلدان فلسطين، محمد شراب، ص253- ص254.
9. بلدانا فلسطين، ج8 مصطفى الدباغ، ص188.
10. مدينة القدس وقرائها المنهوبة والمدمرة عام 1948م، رشاد أبو جودة، سنة 1999م.
11. الموسوعة الفلسطينية الميسرة، ناصر الدين الأسد وآخرون، ص166.
12. المختصر في جغرافية فلسطين، حسين روجي الخالدي، ص111، سنة 1923م.
13. قرى القدس المدمرة، أ.د. حنا عيسى، دنيا الوطن 2020/7/23م أمكن الرجوع اليه في 2021/12/7م.
14. محمود الزغاري (85) سنة، جذور مقدسية، جرش المهجرة، فضائية القدس سنة 2020م.
15. <https://ar.wikipedia.org/wiki> أمكن الرجوع اليه في 2021/12/5م جرش، القدس.
16. قرية دير ابان، عبد العزيز أبو هدبا، ص312.
17. الفلسطينيون المنسيون، إيلان بابيه، ص33.
18. في معنى الأرض استعادة الذات الفلسطينية، د. بلال سلامة، ص18.
19. <https://pulpit.alwatanvocie.com/content.216586.htm> أمكن الرجوع اليه في 2021/12/20م.

قرية عّجور المنكوبة والمهجرة

المقدمة

إنّ خطة احتلال فلسطين بدأت قديماً، حيث دبّرها رجال ما يدعى "الوطن القوميّ اليهوديّ"، ومنّ والاهم من رجال الاستعمار في الغرب، وأتباعه في الشرق، من عرب وغيرهم، وشرعوا في صياغتها وحكها في أوائل القرن العشرين على قاعدة " إنّ فلسطين بلد من غير سكّان، يجب أن يعطى إلى شعب بلا وطن" وكان لبريطانيا الانتدابية الدور الأكبر بعد الحرب العالميّة الأولى عندما احتلّت فلسطين، ووضعتها في ظروف سياسيّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة، وعسكريّة من شأنها تسهيل إنشاء الوطن القوميّ اليهوديّ فيها، والجميع ممّا يعلم ما فعله فينا وعد بلفور الظالم (1917/11/2م) فكانت النتيجة المؤكّدة والحتميّة هي أن راح اليهود الصّهاينة يهاجرون، ويُهجّرون إليها من كل حذب وصوب من بلاد العالم، ويقبضون على أرضها كيانهم الاحتلاليّ الإحلاليّ الذي قوي وتجبّر بسبب التّشردم، والضعف العربيّ، والخيانة المفزوعة من بعض القيادات العربيّة، ونوم الضّمير العالميّ، ولا ننسى أنّ من سلّم وطننا فلسطين للصّهاينة الغاصبين المجرمين سنة 1948م هي بريطانيا الغدّارة.

نعيش هذه الأيام ذكرى مرور (75) سنة على نكبتنا المستمرّة، والتي ذاق فيها الشّعب الفلسطينيّ المظلوم المكلوم ويلات من العذاب، والتّشريد، والقتل، والمجازر، والظّلم، والحصار، والنّفي، والإبعاد، والإغلاقات، والاسر، وهدم البيوت والمساجد.⁽¹⁾ ومصادرة الأراضي، واقتلاع الأشجار، ومنع دخول القدس، ومنع الصّلاة في الأقصى، وفي مساجد الله، أمام أعين العالم أجمع، ولا رادع لهذا الكيان الصّهيوني، ومعظم العالم ساكت وراض عمّا يحصل لنا، ممّا شجّع

الصَّهْيَانَةِ أَنْ يَمْعَنُوا فِيْنَا مَا يَفْعَلُونَ وَزِيَادَةً، وَلَا رَادَعَ لِهَذَا الْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ الَّذِي تَشَكَّلَ مِنْ عَصَابَاتِ الْإِجْرَامِ (شَتِيرِن وَالْأَرْغُونِ وَالْهَاجَانَاةِ) مَنْقَذَةً الْمَجَازِرَ ضَدَّنَا خَاصَّةً سَنَةَ 1948م، وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْعَصَابَاتُ حَتَّى كِتَابَةِ هَذِهِ السَّطُورِ تَمَارَسَ يَوْمِيًّا عَلَيْنَا كُلَّ أَشْكَالٍ وَصَنُوفٍ الْقَتْلِ، وَالذَّبْحِ، وَتَحْرِمُنَا مِنْ أَبْسَطِ حَقُوقِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَكُنْنَا صَامِدُونَ وَصَابِرُونَ وَمُرَابِطُونَ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ قَرِيبًا جَدًّا لِمُنْتَصِرُونَ، وَكَفَانَا فَخْرًا أَنَّنَا ضَمِيرُ الْأُمَّةِ الْبِقِطْ، وَنَذَكِّرُ كِيَانَ صَهْيُونِ بِمَا كَتَبَهُ الْكَاتِبُ الصَّهْيُونِيُّ الشَّهِيرُ (آرِي شَبِيْت): "إِنَّنَا نَوَاجِهَ أَصْعَبَ شَعْبٍ عَرَفَهُ التَّارِيخُ، وَلَا حَلَّ مَعَهُمْ سِوَى الْإِعْتِرَافِ بِحَقُوقِهِمْ، وَإِنْهَاءِ الْإِحْتِلَالِ، وَأَنَّنَا لَمْ نَجْتَرِ نَقْطَةَ الْإِلَاعُودَةِ بَعْدَ، وَيُمْكِنُ أَنَّهُ مَا زَالَ بِالْإِمْكَانِ إِنْهَاءُ الْإِحْتِلَالِ، وَوَقْفُ الْإِسْتِيطَانِ، وَإِعَادَةُ إِصْلَاحِ الصَّهْيُونِيَّةِ، وَإِنْقَازُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، وَتَقْسِيمُ الْبِلَادِ".⁽²⁾

عَجَّور موقع وتاريخ

تقع قرية عَجَّور شمال غرب مدينة الخليل، وتتوسط المسافة بين قريتي زكريا ودير الدَّبَّانِ، وترتفع بين (250-275) متراً عن سطح البحر، ودُعيت بهذا الاسم نسبة إلى عرب (العاجرة) الَّذِينَ سَكَنُوهَا، وَعَجَّورُ هُوَ اسْمُهَا الْعَرَبِيُّ الْإِسْلَامِيُّ الْفِلَسْطِينِيُّ، وَاسْمُهَا الْعَرَبِيُّ الْكَنْعَانِيُّ (أَجُور) وَعُرِفَتْ فِي الْعَهْدِ الرُّومَانِيِّ بِاسْمِ (عَجَنْجُور) وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ بَيْتِ جَبْرِين.⁽³⁾ وَعَجَّورُ الْحَدِيثَةُ كَمَا يَقُولُ وَلِيدُ الْخَالِدِيِّ: أُنْشِئَتْ فِي الْأَعْوَامِ الْأُولَى مِنْ حُكْمِ الْفَاطَمِيِّينَ (909-1171م) وَكَانَتْ سَنَةَ 1596م قَرْيَةً فِي نَاحِيَةِ غَزَّةَ، وَعَدَدُ سَكَّانِهَا (193) نَسْمَةً.⁽⁴⁾

ووقوع عَجُور على الحد الفاصل بين منطقة السهل والجبل في فلسطين حيث الجانب الشرقي منها تابع للمنطقة الجبلية، والجانب الغربي يقع في المنطقة السهلية جعلها تجمع ما بين مناخ الجبل والسهل.

واللعلم توجد في فلسطين قرية أخرى باسم عَجّور تقع في الجنوب من قراوي الفوقا على الطريق العام المؤدية من نابلس إلى أريحا، وبلغ عدد سكّانها سنة (1961م) 2021 نسمة.⁽⁵⁾

مساحة عَجّور والقرى المحيطة بها

بلغت مساحة القرية (58074) دونما، منها (23) للطرق والوديان، ولم يملك اليهود فيها شيئا قبل النكبة. يحيط بالقرية من الشرق: أراضي قرى دير نخاس، وأم برج، ونوبا. ومن الغرب: أراضي قرى سجد، وجليا، والبريج، ومغّلس. ومن الشمال: أراضي قرى بيت نتيف، وزكريا. ومن الجنوب: أراضي قرى دير الذّبان، وكدنا.⁽⁶⁾

المواقع الأثرية التي تقع ضمن أراضي عَجّور، وفي جوارها

تشمل أراضي عَجّور على أكثر من (60) خربة، وتعتبر من أكثر القرى الفلسطينية التي توجد ضمن أراضيها أو بالقرب منها الخرب والمواقع الأثرية، ومن هذه الخرب: خربة الصّورة، وعقبر، والرّسم، وعسقلون، وقيافا، وقيليديا، والنويطف، والعدس، وجنّابا الفوقا، وجنّابا اللّحتا، وشويكة، والمسعود، وقنيا، والخان، وأمّ البصل، وأمّ تونس، وسبع، والرّبة، وأمّ العمدان، وأمّ اللّوز، وابن زيد، والمنيا، والشيخ المذكور، وهذه الخرب تحتوي على مقامات، ومغر، وبقايا معاصر زيتون، وأثار رومانية وإسلامية، وجدران وعقود مهتمة، وأعمدة، وطرق قديمة، ومدافن منقورة في الصّخر.⁽⁷⁾

المغتصبات المقامة على أرض القرية

أقام الاحتلال الصّهيوني على أراضي القرية القلاع والمستوطنات الآتية: أغور، وزافريريم سنة (1950م)

ولوزيت، ومسوا سنة (1955م) وجفعات يشعياهو،
وروجيليت، وأدريت سنة (1958م).⁽⁸⁾

معركة أجنادين وعجّور

وقعت على أرض عجّور معركة أجنادين في جمادى الأولى سنة 13 هجرية، الموافق تمّوز سنة (634) ميلاديّة، وكانت هذه المعركة بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص، والرّوم بقيادة شقيق هرقل زعيم الرّوم، ووقعت في زمن الخليفة أبي بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - وهُزم فيها الرّوم هزيمة كبيرة، وبهزيمتهم أصبحت فلسطين كلّها مكتشفة أمام المسلمين، ومن الشّعور الذي قيل في هذه المعركة، ما قاله زياد بن حنظلة:

ونحن تركنا أرطبون مطردا إلى المسجد الأقصى وفيه حسور

عشيّة أجنادين لما تتابعوا وقامت عليهم بالعراء نسور

تولّت جموع الرّوم تتبّع إثره تكاد من الذّعر الشّدّيد تطير

ومن الصّحابة الذين استشهدوا في هذه المعركة: عبد الله بن الزّبير بن عبد المطلب، وعمرو بن سعد بن العاص، والحارث بن هشام بن المغيرة، وغيرهم العشرات من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.⁽⁹⁾

السّكان والحمائل في عجّور

ذكر المؤرخ حسين روجي الخالدي⁽¹⁰⁾: "عجور تقع ضمن قضاء الخليل، وبلغ عدد سكّانها حسب إحصاء سنة 1922م (2072) نسمة" في حين ذكر شراب⁽¹¹⁾: "بلغ عدد السّكان في عجّور سنة 1945م (3730) نسمة، والقرية مأهولة بالسّكان

منذ القدم؛ لكثرة الخرب الأثرية في منطقتها، كخربة عسقلان،
والعدس، والشوكة.

كان يقسم سكان عَجّور إلى ثلاثة أثلاث (الثُلث هي الحمائل
والعائلات التي تدفع في الدّم، وتوزع عليها أراضي القرية
المشاع) وكل ثلث يقسم إلى عدّة حمائل، وكلّ حمولة تقسم إلى
عدّة أفخاذ، وكلّ فخذ يقسم إلى عدّة عائلات، وكل عائلة تقسم
إلى مجموعة من الأسر، وهذه الأثلاث هي: ثلث العجّارمة،
وثلث المحارمة، وثلث السّراحنة. وسأحاول عرض هذه
الأثلاث، وأفخاذها، وعائلاتهما بشيء من التفصيل:

(1) ثلث العجّارمة: ويتكوّن هذا الثُلث من حمولتين كبيرتين،
هما: حمولة العجّارمة، وحمولة السّرابطة. وتقسم حمولة
العجّارمة إلى خمسة أفخاذ، وكلّ فخذ يقسم إلى عدّة
عائلات، وهذه الأفخاذ هي: فخذ زين بن عجرم الزبيون،
وفخذ دار أبو حسن، وفخذ السّلاق، وفخذ أبو موسى، وفخذ
الخواجا والمشيّة. وحمولة السّرابطة تتشكّل من ثلاثة
أفخاذ، وهي: فخذ العفافشة، وفخذ الجبالية، وفخذ
أبو سليم، ودار تيم، ودار طرق، ودار البرق.

(2) ثلث المحارمة: ويقسم هذا الثُلث إلى ست حمائل رئيسية،
وهي: حمولة المحارمة، وحمولة المصري، والجودة،
والمصاروة، وحمولة الخورة، وحمولة الجواعير
القواسمة، وحمولة الصّلاحات، وحمولة العودة.

(3) ثلث السّراحنة: ويقسم إلى ثلاث حمائل، وهي: حمولة
السّراحنة، وتقسم إلى فخذين، هما: فخذ دار عيسى، وفخذ
دار الأقرع، وحمولة الحاجرة، وتقسم إلى ثلاثة أفخاذ،
هي: فخذ دار بنات، وفخذ الشّوارة، وفخذ البكيرات،
وحمولة الهبرة، وتقسم إلى أربعة أفخاذ، وهي: فخذ

العناتي، وفخذ أبو دية، وفخذ دار شريخة، وفخذ دار أبو
فضة (12)

الوافدون إلى قرية عَجُور

وفد في بداية القرن العشرين إلى القرية الكثير من العائلات،
أهمها: العزة، وأبو غيث، والبشيتي، والأسطة، والمنوي،
والحمدين، والغزاوي، والبهلول، والشيشي، والقنطار، ومحمود
الخطيب، وإعبيد، والعبي، والإسكافي، واللهواني.

كانت العلاقة بين الحمائل متينة جدا تسودها المحبة والوئام
والأخوة، وكانت مشاكل القرية قليلة جدا، وتحلّ بشكل فوري
بطريقة عشائرية دون أن تترك أي ضغائن بين الأفراد، والاسر
والحمائل. ولكلّ حمولة ساحة أو مضافة يلتقي فيها أبناء
الحمولة، وعادات القرية وتقاليدها كسائر القرى الفلسطينية
الأخرى خاصة المرتبطة بالزواج، والعلاقات الأسرية،
والجيران، وما يتعلّق بمواسم الحصاد، وقطف الزيتون،
والطهور، والعونة، وغيرها. وكانت علاقة أهالي عَجُور بسكان
القرى المحيطة بهم علاقات جيّدة تسودها المحبة، والتعاون
خاصة مع أهالي قرية زكريّا والتي تربطها مع عَجُور
علاقات متميزة، ونسب، ومصاهرة، وهناك الكثير من
الطرائف تروى عن القريتين على سبيل المزاح، والمناكفة بين
الزكاروة والعاجرة، كطرفة قراءة المكاتب، وتقسيم البئر،
والسلام على الشجرة، والراعي الفصيح والمختار، وغيرها
الكثير من الطرائف، حتّى بعد اللجوء وبالتحديد في مخيم
العروب وطرفة الاشتراك بين أهالي القريتين في بناء المسجد،
وكتابة الآية التي فيها ذكر لسيدنا زكريّا عليه السلام: قال
تعالى: [كَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا] (ال
عمران: 37).

لقد عاش أهالي عَجّور سعداء في قريتهم، فكانوا يزرعون القمح والشّعير، والذرة البيضاء، والبندورة، والخيار، وغيرها من المزروعات، وشجر الزيتون يستحوذ على مساحات شاسعة من أراضي القرية، وكسائر القرى الفلسطينية اعتنت القرية بتربية المواشي على اختلاف أنواعها، ومن أكالات العجاجة المفضلة: المفتونة، وهي عبارة عن خليط خبز الشراك مع الحليب والسمن البلدي، والمجدرة المكونة من الأرز والعدس، وفي الأعراس كان أهل العريس يمشون (15) ليلة، وهم في حالة احتفال دائم، وأطلقوا على تلك الليالي (اللعيلة) فيؤدون الدبكة الشعبية، والأغاني الفلوكلورية على أنغام الشبابة واليرغول، أما الألعاب الشعبية التي كان يمارسها أهل البلد فهي كثيرة، منها ألعاب الذكور التي تتجه وجهة ذات علاقة بأعمال الذكور الكبار، مثل: الصيد، والفروسيّة، أما ألعاب الإناث تتجه وجهة تتعلق بدور المرأة (الأمومة) والعناية بالبيت. ومن ألعاب الذكور لعبة (المقلاع) وهو عبارة عن شريط ينسج من الصوف أو من قماش عادي يثنى بشكل طولي، ويحمل عمودياً بعد وضع حجر صغير في وسطه، ويقذف الحجر لأغراض الصيد، أو توجيه الماشية، وإصابة هدف يرصد على مسافة معقولة ومعينة، واستخدام المقلاع فيما بعد كوسيلة من وسائل مقاومة الاحتلال الصهيوني، كذلك لعبة السّيجة، وهي لعبة شعبية تحتاج إلى قدرات ذهنية، ومهارات معينة، ويلعبها الرجال عادة وهم جالسون تحت الأشجار، وهي لعبة شبيهة بالشطرنج تستخدم فيها الحصى والحجارة، ولعبة القناطر، وذلك بتكوين قناطر ترابية، ثم قذفها بالحجارة الصغيرة، وهي شبيهة بلعبة الدّيمانو هذه الأيام. ومن الألعاب التي كانت تمارسها البنات: لعبة نطّ الحبل، والحجلة، ولعبة الأم والصغار. (13)

كانت المرأة في قرية عَجّور تلبس الثّياب الطويلة المطرزة بالحرير من عمل يديها وتفصيلها، وتنزّين الثّياب برسوم

هندسيّة رائعة تسمّى (العروق) ومن هذه العروق: عرق الدّالية، وعرق البطّة، وعرق الجخّة، وعرق السّنبلّة، وتلبس المرأة على رأسها شاشة يُقال لها (غدفة) وتحتها (عرّاقية) عليها ريالات عثمانية فضيّة، وتلبس في يدها أساور من الفضة، وخواتم فضيّة، وحلقا ذهبيّا، وتتمنطق بحزام من الصّوف الأحمر يسمّى (قشمير) ونوعيّة اللّباس تميّز المرأة المتزوّجة من المرأة العزباء، حيث كانت الفتاة غير المتزوّجة يتدلّى على جبينها قطعة فضيّة مستديرة تسمّى (ريال أبو ريشة أو ريال أبو عبّود) وتحمل في عنقها قطعة تماثلها أيضا، أمّا المتزوّجة فينتدلّى تحت عنقها قطعة ذهب تسمّى (محكمة أو مخمسيّة) صغيرة الحجم، وتلبس البنت قبل البلوغ قطعة رقيقة بدل العرّاقية. (14)

وقد أخبرني الكثير من كبار السّن من أهالي عجّور أنّه كان يُقام في القرية سوق الجمعة على رقعة واسعة إلى الشّرق من القرية، وكانت هذه السّوق تجذب النّاس والتّجار من مختلف مدن فلسطين وقراها.

مسجد القرية ومقاماتها

في عجّور مسجدان: الأول قديم أنشئ زمن الفاطميّين، والآخر حديث تعاونت حمائل القرية على بنائه على أرض مشاع في منتصف القرية تماما، وفي البلدة عدّة مقامات، منها : مقام الشّيخ رمضان، ومقام الشّيخ عبد الله، ومقام الشّيخ تميم، وكان إمام المسجد قبل النّكبة الشّيخ سعد العجارمة. (15)

التّعليم في القرية

كان الشّيخ سعد العجارمة يدرّس الطّلاب في المسجد على الحصير، يعلّمهم الكتابة، وقراءة القرآن، ويتقاضى راتبه من الأهالي، وهو عبارة عن قليل من الحبوب (قمح أو ذرة أو

شعير) على الرّغم أنه كان في عَجّور مدرستان: مدرسة أبي حسن الخاصّة، وأوّل من درّس فيها هو الشّيخ عبد الفتّاح الفالوجي إمام المسجد في ذلك الوقت، ومدرسة ثانية فتحت أبوابها سنة 1934م وكان أبناء القرى الأخرى المجاورة لعجور يؤمّون مدرستي عَجّور.⁽¹⁶⁾

يُقال أنّ أعلى صف كان في عَجّور قبيل النّكبة هو الصّف الخامس، ويعتبر هذا الصّف متقدّماً قياساً مع قرى أخرى في فلسطين، وكانت المدرسة مكوّنة من سبع غرف دراسيّة وإداريّة، والكاّتب بصفته كمتابع وباحث في شؤون اللاجئين الفلسطينيين لاحظ اهتمام أهالي عَجّور الكبير بالتّعليم قبل النّكبة، ووجود المدارس في القرية يدلّ على ذلك، وكذلك نسبة المتعلّمين، وحملة الشّهادات الجامعيّة المتوسّطة، والعليا، كالماجستير، والدكتوراة في مختلف العلوم والتّخصصات يشير إلى استمرار ومدى حب أهل عجور وعشقهم للتّعليم واهتمامهم به، ومساهمة المتعلّمين والمتقّفين من عَجّور بعد النّكبة في تأسيس التّعليم في مخيمات اللّجوء الفلسطينيّة في مخيم الدّهيشة، والعروب، والبقعة، والزّرقاء، وازدياد اهتمام أهل القرية بالتّعليم بعد النّكبة، واستعداد العائلة بأنّ تضحيّ بكل ما لديها من أجل تعليم أبنائها يدلّ على دور العلم والتّعليم عند أهالي عَجّور، والشّعب الفلسطيني، وعلى وجه الخصوص اللاّجئون منهم، حيث أنّهم أصبحوا لاجئين بلا بيوت، ولا أراضي، ولا مصدر رزق؛ فتوجّهوا بقوة نحو التّعليم أكثر من السّابق، ومن القرية علماء ومخترعون ومبدعون، منهم على سبيل المثال لا الحصر: المهندس المبدع حسن عبد الحميد حمّاد الحاجارة، والدكتور فادي محمود أبو فضة، والدكتور غسان إبراهيم حمّاد، والدكتور فادي ثلجي حجاجرة، والدكتور الباحث جهاد حمّاد، والدكتور جاد المصريّ، والدكتور هيثم سرابطة، والدكتور نزيه أبو دية، والدكتور معاذ المصريّ، وغيرهم الكثير من المبدعين في مجالات تخصّصاتهم المختلفة.⁽¹⁷⁾

وخلال لقاء الكاتب بجهاد حماد⁽¹⁸⁾ أطلعته على الكثير من الوثائق والصّور المتعلّقة بقرية عَجّور خاصّة فيما يتعلّق بالتّعليم، والزّراعة، والحياة الاجتماعية بالقرية، وهذا كلّه يشير إلى تقدّم القرية وتطوّرها باستمرار. ومن هذه الوثائق: وثيقة فتح شعب دراسيّة جديدة في المدرسة، ووثيقة تتعلّق بتعيين معلّمين جدد في المدرسة على حساب أهل القرية، ووثيقة تشير إلى مشروع بناء سكن للمعلّمين في عَجّور بمبلغ (1550) جنيه فلسطين، ويعتبر هذا المبلغ كبيراً جداً في ذلك الوقت، والوثيقة تتضمّن الاتفاقية، والعطاء، واطلعت على وثائق وصور تتعلّق بالدورة الزّراعية.⁽¹⁹⁾

احتلال القرية

تُعدّ نكبة فلسطين عام 1948م وصمة عار في جبين العرب والمسلمين والعالم أجمع، العالم الذي يدّعي الإنسانيّة، ويتغنّى بحقوق الإنسان، كذلك هذه النكبة المستمرّة منذ خمس وسبعين سنة تشكّل ضعفاً لدى مجلس الأمن والهيئات الدوليّة التي أصدرت عشرات القرارات المتمثّلة بحق العودة والتّعويض، وما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة، والمجازر، والظلم الذي يتعرّض له الشّعب الفلسطينيّ منذ أكثر من مئة سنة، ممّا دفع الكثيرين إلى اتّهام مجلس الأمن الدّوليّ بالكيل بمكيالين، والمطلّع على قضايا العالم يعرف ذلك، وقرية عَجّور حالها حال أكثر من (500) قرية تمّ تدميرها وتهجير أصحابها عنها بقوّة السلاح والإرهاب من العصابات الصّهيونية المجرمة.

قام لواء غفعاتي التّابع لجيش الاحتلال الصّهيونيّ، تنسيقاً مع يواف، وتسمى أيضاً عمليات الضربات العشر، وهي عملية عسكرية إسرائيلية، نفذت في الفترة من (22-15/10/1948م)، في الجزء الشمالي والأوسط من صحراء النقب خلال حرب 1948م، وكان هدف العملية إبعاد القوات المصريّة المتواجدة

في وسط وجنوب فلسطين وصولاً إلى الساحل الجنوبي لفلسطين عن طريق بئر السبع، والخليل، والقدس، وقرية عجور تقع ضمن هذه المنطقة، لهذا كانت مستهدفة، وقاد عملية يوأف قائد الجبهة الجنوبية إيفال آلون.⁽²⁰⁾ ويشير تقرير العصابات الصهيونية أنه باحتلال عجور تمّ توحيد العمليات على الجبهتين الجنوبية والوسطى. وكانت المقاومة في القرية لا تمتلك العتاد الكافي للاستمرار في مجابهة العصابات الصهيونية المدججة بكل أنواع الأسلحة، كذلك انسحاب الجيش المصري قبل الهجوم الصهيوني بأيام. وارتكب الصهاينة بقيادة أرئيل شارون في القرية مذبحه ذهب ضحيتها (176) شهيدا من الرجال والنساء والأطفال والمستنئين.⁽²¹⁾

شعر قيل في عجور

نظم الكثير من الشعراء شعرا جميلا في قرية عجور المنكوبة والمدمرة، منهم الشاعر جميل العرباني الذي نظم قصيدة بعنوان (عجور بنت فلسطين) يقول فيها:

عجور يا أحرار للعيش أحلى دار
طين وحجر هالدار والسقف من بربار

* وفي قصيدة أخرى له بعنوان (أحبك عجور) يقول فيها:
سوف أبقى أحبك طول الزّمن وحبك في القلب منذ القدم

* ونظم الشاعر محمود عجور قصيدة بعنوان (يا ريت ترجعي) يقول فيها:

يا ريت ترجعي وحيطان الدّار تزهرة وتولّي عنا أحرانه

* والشاعر زهير أبو قطّام يقول في قصيدة نظمها بعنوان (عجور):

عجور يا درّة تزهو بأعيننا يا بهجة الرّوح يا أغلى أمانينا
يا طالب المجد في عجور مورده عذب معين يروي غلّه فينا

كان هذا البحث تأكيداً لصدق الرواية الفلسطينية، ولربط الجيل الفلسطيني الناشئ بأرضه وتعريفه بها، وليكون بينه وبينها ارتباط فكري، وتراثي، ووجودي، وتذكيراً للعالم أن نكبة فلسطين ما زالت مستمرة، وأن الشعب الفلسطيني يتعرض يومياً للظلم، والإرهاب، والقتل، وأن حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة لا يسقط بالتقادم، ولا بد يوماً أن يرجع اللاجئين المهجرون إلى قرية عجور، وسائر المدن والقرى التي هجروا عنها.

الهوامش

1. ذكرت قناة الجزيرة الفضائية يوم الاثنين 2023/1/30م في تقرير لها عن الاحتلال الصهيوني أن عدد البيوت الفلسطينية التي هدمها الاحتلال سنة 1948م حتى الآن بلغ (170000) منزلاً.
2. جريدة هآرتس العبرية، مقالة إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة، الأربعاء 2022/12/10م.
3. خليل أبو دية، الخليل وأكنافها عبر التاريخ الفلسطيني، ص337، ومحمد حسن شراب، معجم بلدان فلسطين، ص520.
4. وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص171.
5. محمد حسن شراب، معجم بلدان فلسطين، ص521.
6. رشاد أبو جودة، مدينة الخليل وقراها المنهوبة والمدمرة سنة 1948م، ص13، وانظر الخليل وأكنافها عبر التاريخ الفلسطيني، ص338.
7. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ص269- ص274.
8. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ص274.
9. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ص274- ص280.
10. حسين روجي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص111.
11. محمد حسن شراب، معجم بلدان فلسطين، ص520.
12. لمعرفة تفاصيل حمائل وعشائر وعائلات وأسر عجور يمكن الرجوع إلى كتاب الخليل وأكنافها، ص338- ص341.
13. كمال المصري (61) سنة، عضو رابطة عجور، بيت لحم، المقابلة في 2023/1/3م.

14. <http://waggad.7lom.org/t258-topic>، أمكن الرجوع إليه في 2023/1/2م.
15. مقابلة مع الأستاذ وائل بنات (42) سنة، من عجور، المقابلة في 2023/1/12م.
16. وليد الخالدي، كي لا ننسى، ص171، وكمال المصري (عجور) مقابلة في 2023/1/3م.
17. مقابلة مع الأستاذ وائل بنات، مرجع سابق.
18. د. جهاد حماد محاضر وباحث في جامعة القدس المفتوحة، مقابلة في 2023/1/4م.
19. د. جهاد حماد محاضر وباحث في جامعة القدس المفتوحة، مقابلة في 2023/1/4م.
20. عملية يوآف ar.wikipedia.org/wiki، أمكن الرجوع إليه في 2023/2/22م.
21. خليل أبو دية، مرجع سابق، ص347.

قرية مغّس المنكوبة والمهجّرة سنة 1948م

المقدمة

الحمد لله ناصر عباده المؤمنين، ومذلّ الكافرين الظّالمين المحتلّين، والصّلاة والسّلام على إمام الانبياء والمرسلين، حبيبنا وشفيّعنا وقائدنا ومعلّمنا وقدوتنا محمّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن استنّ بسنّته إلى يوم الدّين، وبعد؛

فيحيي الفلسطينيّون وأنصارهم والمتضامنون معهم بالمليارات في أرجاء العالم الذّكرى (76) على النّكبة والاحتلال والتّشريد، ونكبة أخرى تفوق نكبة سنة 1948م تحدث في فلسطين خاصة العدوان البربريّ الهمجّي المتوحّش على قطاع غزّة الحبيب الّذي تشنه حكومة الاحتلال بدعم ومشاركة أميركيّة غربيّة لا محدودة، حرب إبادة وتجويع وحصار على مرآى العالم المتحضّر وسمعه، وترتكب عصابات جيش الاحتلال آلاف المجازر البشعة الّتي لا يتحمّلها أو يستوعبها عقل بشر، وخرج مئات الملايين من شعوب العالم في مظاهرات ومسيرات مندّدة بهذا العدوان والمجازر، واستشهد في هذا العدوان حتى كتابة هذا البحث في الأول من أذار عام 2024 أكثر من (31000) فلسطينيّ مدنيّ، وأصيب أكثر من (75000) آخرين، معظمهم من الأطفال والنساء، وتمّ تدمير أكثر من (150000) وحدة سكنيّة، وكلّ ما يقوم به الصّهاينة يؤكّد الفكر العنصريّ المتوحّش القائم على القتل والفساد والتّدمير الّتي ينطلقون منه، ويشير إلى ذلك مفكروهم وقادتهم السّياسيّون والعسكريّون، فيقول الدّكتور الصّهيونيّ اليهوديّ آرنون سوفير أستاذ الجغرافيا في جامعة حيفا في 2004/5/10م: "إذا أردنا أن نبقي أحياء علينا أن نقتل ونقتل طوال اليوم، وفي كل يوم، إذا لم نقتل سينتهي وجودنا،

والانفصال من جانب واحد لن يضمن سلاماً، وإنما دولة صهيونية يهودية ذات أغلبية ساحقة يهودية". (1)

ما زال الفلسطينيون مؤكدين تمسّكهم بحق عودة جميع اللاجئين الفلسطينيين إلى قراهم ومدنهم وبيوتهم التي هجّروا عنها قسراً بقوة السلاح، والمجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية المجرمة (شتيرن والهأغانة والأرغون) ويجب تعويض اللاجئين عن الظلم والمعاناة والخسائر الناجمة عن الاحتلال والتّهجير المستمرّ منذ 76 سنة. وحقّ اللاجئين لا يسقط بالنّقاد، مهما مرّ عليه من زمن، على قاعدة أنّ قضية اللاجئين قضية سياسية دينية وطنية قومية إنسانية عالمية.

ما زالت النّكبة مستمرة بصورة أبشع ممّا حصل سنة 1948م رغم عظم ما حصل آنذاك من تشريد أكثر من (900) ألف فلسطيني، واستشهاد أكثر من (16000) من المدنيين، وإصابة أكثر من (30000) آخرين. ويبلغ عدد اللاجئين حالياً حوالي (9 ملايين) لاجئ فلسطينيّ مشتتين في شتّى أصقاع الأرض، وعودتهم إلى أراضيهم قريبة إن شاء الله، وفي هذه الذّكري رأيت أن أكتب عن قرية منكوبة ومهجّرة، ينتظر أهلها أن يكون نهاية لعذاباتهم المستمرة، إنّها قرية أمي وأخوالي مغّلس الحبيبة المنكوبة.

الاسم والموقع والمساحة

مغّلس قرية صغيرة (15) دونماً، تقع في الشّمال الغربيّ من الخليل، وترتفع (200) متر عن سطح البحر، وهي آخر أعمال الخليل من الشّمال، أقرب قرية لها إنذبة من أعمال الرّملة، وتحيط بها قرى: تلّ الصّافي، وعجّور، وإنذبة، والبريج. وللقرية أراضٍ مساحتها (11456) دونماً. (2) ويقول الباحث أحمد أبو عجمية (89) سنة من قرية مغّلس: " تقع قرية مغّلس إلى أقصى الشّمال الغربيّ من مدينة الخليل، وتبعد عنها

(30) كم، وهي آخر بلدة في قضاء الخليل، وكانت تتبع قبل ذلك قضاء الرملة، ولكن عام 1939م جرت تقسيمات إدارية جديدة ألحقت بموجها القرية بقضاء الخليل، وألحقت قرية صمّيل التي كانت تتبع قضاء الخليل إلى قضاء غزة، وللقرية حدود مشتركة مع القرى الآتية: قزازة، وسجد، وجليا من الشمال، وإذنبّة من الغرب، وتلّ الصّافي، ودير الذّبان من الجنوب، وعجّور من الجنوب الشرقي، وزكريّا والبريج من الشرق.⁽³⁾

وقرية مغّلس كما ورد في كتاب المختصر في جغرافية فلسطين للخالدي كانت في سنة 1921م تتبع قضاء الرملة الذي يبلغ عدد سكّانه (49000) نسمة آنذاك، وعدد سكان مغّلس حسب إحصائية سنة 1921م (311) نسمة⁽⁴⁾. وتعتبر مغّلس من القرى الموقوفة على مصالح المسجد الإبراهيمي؛ لما له من مكانة مرموقة عند المسلمين، وفي فلسطين (170) موقعا من القرى والمزارع والمدن الموقوفة للمسجد الإبراهيمي، منها: مغّلس، وبني نعيم، وزكريّا، وحلحول، والظاهرية، وأرطاس، ويطّا، وغيرها من المواقع.⁽⁵⁾

أصل التسمية

اسم مغّلس بضمّ الميم وفتح الغين وكسر اللام المشدّدة والسّين، هو الاسم الموروث عن الآباء والأجداد الذين قالوا إنّ هذا الاسم اشتقّ عن الموقع الذي وصل إليه القائد عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عند محاربته الرّومان في آخر الليل، حيث أمر جنده أن يناموا في هذا الموقع عندما أغلس أي سار بغلس، والغلس ظلمة آخر الليل، واللّهجة العاميّة تقول لمن لا يرى في الليل (مغّلس) فيعتقد أنّ هذا الموقع الذي أغلس فيه القائد وجيوشه، ومع الأيّام حوّل الموقع إلى اسم (مغّلس)⁽⁶⁾ ويقول المؤرّخ مصطفى الدّبّاغ صاحب موسوعة (بلادنا فلسطين): "ينسب الاسم إلى أبي الحسن بن المغلس الذي كان

معروفا بالرّهد والورع، وفقّيهما من أهل بغداد، وتوفي في مغّلس سنة (251) هجري، حيث كان قد أقام فيها فترة من الزّمن، ويؤيّد الباحث أحمد أبو عجميّة الرّواية الأولى⁽⁷⁾.

السكّان والعشائر والعائلات في القرية

بلغ عدد سكّان القرية سنة 1923م (311) نسمة، وسنة 1931م (447) نسمة، وسنة 1945م (540) نسمة، وسنة النّكبة 1948م (626) نسمة، وبلغ عددهم سنة 1998م حسب سجّلات وكالة الغوث الدّوليّة (3847)، ويقدر عددهم حالياً بحوالي (6500) نسمة⁽⁸⁾ وبالنسبة لعائلات القرية وعشائرها، هي: عشيرة أبو عجميّة، وعشيرة المغالسة، وعشيرة الصّرابطة، وعشيرة الشّريف، وعائلة الجبالي، وعائلة نهار العجاجة، وعائلة أبو عبيد، وعائلة أبو حديد، وعائلة شعلان، وعائلة الباز، وجميع عشائر القرية وعائلات من طبقة واحدة، وكلّهم ملاكون، وتجمعهم أوامر القربى والنّسب، وهم يد واحدة في السّراء والضّراء، وكانت هذه العشائر والعائلات تسكن في ثلاث حارات، هي: الحارة الشّرفيّة، والحارة الغربيّة، والحارة الجنوبيّة، وجميع الحارات تجمعها مضافة واحدة.

كان لقرية مغّلس في الغالب مختاران، ومركز المختار مهمّ جدّاً، حيث مهام المختار كثيرة، منها الرّسميّة، ومنها الشّعبية، بالإضافة إلى الإصلاح بين النّاس، وبيته كان مجمعا وملتقى رجالات القرية، ومن مختابر القرية في العهد العثمانيّ: الشّيخ حسين إسماعيل أبو عجميّة، والشّيخ نوفل الشّريف، أمّا فترة الانتداب البريطانيّ فكان كلّ من الشّيخ حسن موسى أبو عجميّة، والشّيخ خضر سليمان الشّريف، والشّيخ خليل أبو عجميّة، والشّيخ حسين محمود المغالسة⁽⁹⁾.

خرب القرية

بالرغم من صغر القرية إلا أنها مشهورة بخربها الأثرية، وهذه الخرب تحتوي على أساسات لبيوت قديمة، ومدافن، وصهاريج، وأبراج للحمام، وحجارة مبعثرة، وقبور، ومن هذه الخرب خربة السّمراء، والشّاة، ودير البطم، وعطرية، وفردا، وخربة الصّغير، والعمورية، والقسيس، وأمّ المغر، وغلّوس، والرّسم، والبدّ، والنّعمان.⁽¹⁰⁾

بئر القرية

في القرية بئر مشهورة جدّا ذاع صيتها في فلسطين، تسمّى بئر مغلّس، ويعتقد أهل القرية والقرى المجاورة أنّ مياهها تعمل على إذابة حصى الكلى، فتشفي من هذا المرض المؤلم، ووصل صيت هذه البئر إلى معظم القرى والمدن الفلسطينية، وحدثني خالي موسى إسماعيل شعلان من مغلّس (1915-2002م) أنّه كان يأتي المصابون بمرض الكلى من شمال فلسطين وجنوبها ووسطها قاصدين البئر؛ ليشربوا من مائها، فكلّ من يشكو من أمراض الكلى كان ينصح بالتّوجّه إلى بئر مغلّس، حتّى أنشدوا فيه شعرا، ومّا قالوه فيه:

وبئر ليس في الدّنيا مثل	لها من بين آبار الأنام
ماء فرات، وهو يشفي	لحصر البول من دون سقام

ويطلق على هذه البئر بئر العلم أيضا، ويقول عنها الكاتب المغلساوي أحمد أبو عجميّة: "بئر عجيبة عميقة محفورة في الصّخر، لا يشاركها أيّ بئر أخرى، فماؤها يشفي من حصر البول".⁽¹¹⁾

مسجد القرية ومقاماتها

في القرية مسجد واحد يسمّى مسجد الشّيخ منصور، تُقام فيه صلاة الجماعة، والجمعة، والعيدين، ويعتبر مكان اللّقاء، والتّدريس خصوصاً الكتاتيب، وكان إمام القرية الشّيخ محمود أحمد حسين، وهو الخطيب والإمام والمؤدّن، ويتقاضى راتبه من غلال القرية، والمسجد عبارة عن غرفة واحدة واسعة بدون منذنة، وبجانبه ساحة واسعة، ومقامات القرية هي: مقام الشّيخ منصور، ويقع وسط القرية، ومقام الشّيخ داود، ويقع في الشّمال الغربيّ من القرية، وهو قريب من قرية إدنبّة، ومقام الشّيخ عبد الله، ويقع غرب القرية، ومقام الشّيخ محمّد الأسمر، وهو عبارة عن قبر صغير، ومقام الشّيخ عمّار، وهو عبارة عن مغارة.⁽¹²⁾

الحياة الاقتصاديّة

كان خالي موسى شعلان رحمة الله عليه يحدثني عن قريته المولود فيها سنة 1915م، وكان عمره سنة النّكبة (33) سنة، فيخبر القرية، وتفاصيل الحياة فيها جيّداً، فكان أهالي مغّلس يعتمدون كلّياً على الزّراعة، وتربية المواشي، وذلك لخصوبة أراضي القرية، وخاصّة الزّراعة البعلية، والحبوب هي لبّ الإنتاج الزراعيّ وجوهره، لا سيّما القمح، والشّعير، والعدس، والكرسنة، والحمص، والفلّ، أمّا الزّراعة الصّيفيّة فهي: الذّرة، والسمسم، بالإضافة إلى المقائي البعلية: كالقّوس، والخيار، والبندورة، والبامية، والبطيخ، والشّمّام، وزرعت في القرية كروم التّين، واللّوز، وأشجار الخروب، والخوخ، والصّبر، وفيها ما يقارب مئة دونم زيتون، وذلك قبل النّكبة.

واهتمّ أهل القرية بالثّروة الحيوانيّة كثيراً، خاصّة الغنم، والأبقار، والجمال، والبغال، والحمير التي استعملوها كوسائل نقل، ولحراثة الأرض، ولم يخلُ بيت من هذه الحيوانات، واهتمّوا بتربية الطّيور، وتربية التّحل، وكان التّجار من مختلف

المناطق يأتون إلى القرية لشراء منتجات العسل، والزبدة، والسمن البلدي. وكان في القرية أربعة دكاكين تقدّم ما يلزم للقرية، وكان أصحاب هذه الدكاكين يحضرون البضائع من مدينة الرملة، ومدينة الخليل، وأحيانا من مدينة القدس، وفي القرية حلاق واحد، ونجار واحد، وكان نجار القرية قبيل النكبة جدّي لأمي إسماعيل عبد الرّحيم شعلان.

مغلّس والنكبة

لقد قاوم شعبنا الفلسطينيّ، وما زال يقاوم الاحتلال الصّهيونيّ لفلسطين، وهذا الاحتلال يمثّل قوى الشرّ في العالم، ومدعوم منها عسكريّا، وسياسيّا، واقتصاديّا، ووجوديّاً منذ أكثر من مئة عام، ويحضرني في هذا المجال ما قاله الشاعر الفلسطينيّ محمود سليم الحوت في قصيدته (يافا) وكيف يتساءل عن حالها وحال مدن فلسطين وقراها التي احتلّت سنة 1948م، ويبين في قصيدته حجم المؤامرة الدّولية والعربيّة على فلسطين وشعبها وكيف تمّ تسليمها للصّهاينة:

كيف الشّقيقات؟ واشوقي لها مدنا كأنّها قطع من جنة الخلد
ما حالها اليوم يا يافا؟ وهل نعمت من بعد أن أسلمت يدا بيد؟

وعن ظروف احتلال القرية، كان قد وصل إلى مسامع أهل القرية أنّ العصابات الصّهيونيّة المدجّجة بالسّلاح ستقوم بهجوم واسع على القرية، فخرج سكّانها إلى منطقة أمّ المغر القريبة، وهي منطقة مليئة بشجر الخروب والمغر، واحتلّت العصابات الصّهيونيّة القرية في 1948/7/17م، ولم تواجه هذه العصابات إلّا بمقاومة بسيطة، وبأسلحة قليلة وبسيطة وقديمة. وكان أهل القرية ما زالوا مرابطين حول القرية نتيجة بثّ الدّعر، واقتراف المجازر في مناطق فلسطين ينتظرون الرّجوع إليها، وقد استشهد من القرية: مصطفى أحمد مغالسة، وأسر عدد من أبناء القرية، منهم: عبد القادر خالد أبو عجميّة، وحسن خليل حسن،

وأيّوب إسماعيل أيّوب، وأحمد عبد القادر أبو عجميّة، ومحمّد عبد القادر أبو عجميّة حيث واجهوا بأسلحتهم البسيطة قوّات الاحتلال، والعصابات الصّهيونيّة المدجّجين بكافة أنواع الأسلحة الأميركيّة والبريطانيّة الفتّاة، ومن المعلوم أنّ بريطانيا أمدّت العصابات الصّهيونيّة بأسلحة كثيرة جدّا، وذخائر، ووسائل قتاليّة لمواجهة جيوش، فما بالكم عندما تكون هذه الأسلحة في مواجهة شعب فلاح أعزل، والقيام بالتّطهير العرقيّ ضدّ الشعب الفلسطينيّ، وإبادته من خلال ارتكاب المجازر الفظيعة؛ ليتشكّل هذا الكيان اللفيط، ويشكّل قاعدة متقدّمة للغرب في قلب الوطن العربيّ، والعالم الإسلاميّ؛ ليمنعوا وحدته، وتكون لهم السيطرة عليه، وعلى مقدراته، وخيراته، فسقطت القرية بأيدي العصابات الصّهيونية كما سقطت المئات من القرى والمدن الفلسطينيّة، وأقيم مكانها مستعمرة (غيفين) وهكذا هجر أهالي القرية عنها، وهم لا يعلمون شيئا عن غدهم تاركين وراءهم الأرض، وهي أعزّ ما يملكون غارقين في التّسرّد، واللّجوء والحيرة لما أصابهم، وحلّ بهم، وتشتّتوا في فلسطين والأردنّ ولبنان وسوريا والعالم، كسائر أهالي القرى والمدن الفلسطينيّة المنكوبة والمهجّرة، والتي يصل عددها تقريبا (530) قرية ومدينة، وما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم.⁽¹³⁾

أهالي القرية اليوم

يعيش سكّان مغّلس هذه الأيّام مشتتين لاجئين، ومعظمهم يعيش في مخيّمات فلسطين، ومخيّمات الاردنّ، ولم يبق من الذين هجروا منهم سنة 1948م على قيد الحياة إلّا القليل القليل، ولكن قلوب وأنظار أبنائهم وأحفادهم تصبو نحو قريتهم الحبيبة، على موعد قريب بالعودة إن شاء الله، ومن أهالي القرية المبرّزين والمعروفين، حيث التقيت بعضهم وقابلته:

- الأسير الصّامد عماد محمود أبو عجميّة، مواليد مخيم الدهيشة (1980) وهو أحد طلّابي سنة 1993م، حيث درّسته اللّغة العربيّة والتّربية الإسلاميّة في الصّفّ السّابع الأساسيّ، محكوم (12) مؤبّداً، ومضى على اعتقاله (22) سنة) وخلال وجوده في الأسر فقد ثلاثة من أفراد عائلته في عام واحد: شقيقته، وشقيقه، ووالدته، وحصل في السّجن على شهادة الثّانويّة العامّة، والشّهادة الجامعيّة الأولى (البكالوريوس) وهو الآن في سجن ريمون (أبعد إلى مصر في تبادل للأسرى سنة 2024م).
- الكاتب خالد حسين أبو عجميّة مواليد مخيم الدهيشة (1964) مقيم خارج الوطن في إيرلندا، عمل في الصّحافة والإعلام، وله عدّة روايات، منها: كلام على مصطبة ميّت، وغيّمت، وعبور النّهر المقدّس، وجبينة أكلها الغول مأساة امرأة.

الشّاعر الشّعبيّ حسين محمود أبو عجميّة، مواليد قرية مغّلس (1942) الّذي يعتبر أحد الفاعلين والمؤثّرين في مخيم الدهيشة خاصّة في الأفراح، والمناسبات الوطنيّة، فكان يشارك في جميع مناسبات وأعراس وأفراح المخيم الّذي يضمّ لاجئين من (47) قرية معظمها من قضاءي الخليل والقدس، إلى جانب نمر أبو عكر، من قرية رأس أبو عمّار، و خليل قراقع، من قرية علّار، حيث كانوا يشكّلون حالة فريدة ورائعة من العمل الوطنيّ والفولكلوريّ الشّعبيّ غناء ودبكة وزجلا وشّبابة، ومن شعره الشّعبيّ في الأفراح:

يا مفارقين الحمى لبّوا نداء الدّار
وعودوا لبلادكم واحموا أمانها
اسمعوا صوت القدس تستنجد الأحرار
القدس نادت على التّوّار تحميها

الصخرة تشكو الظلم من جور الفجار
والعذراء تبكي المهدي، والمهد يبكيها
صلاح الدين بصوته زلزل الفجار
بالروح بالدم فلسطين نفديها
اسألوا فلسطين سهولها وحجار
واسألوا مين اللي صمد فيها
ويا محلي العنب والعكوب والمرار
بحاكورة الدار وكرومي ودواليها

- الكاتب الأستاذ نبيل جبريل صالح، مواليد مخيم الدهيشة (1956) مقيم في العاصمة الأردنية عمان، كاتب ومتخصص في الفيزياء، خريج جامعة بغداد عام (1979) عمل في التدريس في مدارس الأردن، وأصدر كتابه الأول (عصافير الشمس صفحات بين النكبة والنكسة) سنة 2021م، حول سيرة حياته في أهم مرحلة يعيشها الإنسان، وهي الطفولة، وفي السيرة رسائل جميلة جدًا باتجاهات متعددة عن واقعنا ونكبتنا وتشرذمنا، ورسائل للآباء والمربين من أجل الاهتمام بأطفالنا الذين هم نصف الحاضر وكل المستقبل.
- المهندس عماد أحمد أبو عجمية، مواليد مخيم الدهيشة (1962) يُطلق عليه في الأردنّ شيخ الخرائطيين، متخصص ومبدع في المسح الجوّي، ورسم الخرائط من الصّور الفضائيّة. عمل في المركز الجغرافي الأردنيّ الفرنسيّ، وهو عضو هيئة إداريّة في جمعيّة الطّاقة المتجدّدة في الأردنّ، ونائب رئيس الجمعيّة الأردنيّة للسيّاحة الإنسانيّة، وعضو الجمعيّة الأردنيّة للمدن الذكيّة، وشارك في عمل الأطالس والخرائط التّوعيّة السيّاحيّة، كذلك شارك في عمل الموسوعة الفلسطينيّة الصّادرة عن مؤسّسة عرار بالأردنّ.

كان هذا البحث تأكيداً على أنّ الأبناء والأحفاد لا ينسون أرضهم، وقراهم، ومدنهم التي هجرتهم عنها العصابات الصهيونية المدعومة دولياً بالإرهاب وقوة السلاح، وبمؤامرة دولية مفضوحة كما يحصل حالياً بشعبنا في القطاع الحبيب، والضفة الغالية من مجازر وقتل وتنكيل وتدمير بحق شعبنا المظلوم الصابر القابض على الجمر، من أجل الاستيلاء على فلسطين، وزرعها بالمستوطنات الصهيونية. ولنؤكد أنّ الكتابة عن قرانا المنكوبة والمهجّرة جزء مهمّ من واجبنا تجاهها؛ لترسيخها في الذاكرة الفلسطينية، والتمسك بحق العودة القريب إن شاء الله تعالى لجميع اللاجئين الفلسطينيين والذي لا يسقط بالتقادم.

الهوامش

- (1) التّظهير العرقيّ في فلسطين، إيلان بابيه، ص 248 .
- (2) بلادنا فلسطين، مصطفى الدّبّاغ، ص290.
- (3) مغلّس التّاريخ والسّكان، أحمد أبو عجميّة، ص3 - ص4
- (4) المختصر في جغرافية فلسطين، حسين رويحي الخالدي، ص100- ص101.
- (5) مغلّس من القرى المدمّرة سنة 1948م، عبّاس نمر، جريدة القدس، 2010/5/9م.
- (6) مغلّس من القرى المدمّرة سنة 1948م، عبّاس نمر، جريدة القدس، 2010/5/9م.
- (7) مغلّس التّاريخ والسّكان، أحمد أبو عجميّة، ص6.
- (8) مغلّس التّاريخ والسّكان، أحمد أبو عجميّة، ص11.
- (9) مقابلة مع السيّد محمّد موسى أبو عجميّة، من قرية مغلّس (70) عاماً، في 2024/2/12م.
- (10) بلادنا فلسطين، مصطفى الدّبّاغ، ص290_ ص291.
- (11) مغلّس التّاريخ والسّكان، أحمد أبو عجميّة، ص30.
- (12) مقابلة مع السيّد حسين محمود أبو عجميّة، من قرية مغلّس (83) سنة، في 2024/2/1م.
- (13) مغلّس من القرى المدمّرة سنة 1948م، عبّاس نمر، جريدة القدس، 2010/5/9م.

قرية ديرأبان المنكوبة والمهجّرة سنة ١٩٤٨م

المقدمة

الحمد لله المنتقم من المجرمين، الحمد لله قاهر الظالمين، وناصر المؤمنين، الحمد لله الذي منّ على المستضعفين بجعلهم أئمة ووارثين، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن استنّ بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

فإنه، وبعد (٧٧) سنة على النكبة المستمرة التي كان سببها المشروع الصهيوني اليهودي الغربي المتمثل في إقامة كيان صهيوني في فلسطين، يفرض سيطرته على منطقة الشرق الأوسط كلّها، بل على العالم بأسره، منطلقاً من فلسطين التي ادّعوا أنها أرض بلا شعب ستصبح لشعب بلا أرض، وأنه ليس هناك شعب فلسطيني على الكرة الأرضية كما يدعون، ويتأمر دولي، وصمت عالمي يشهد على الانتهاكات الجسيمة منذ النكبة حتى هذه اللحظة للحقوق الفلسطينية. وأخذت ذروتها في الإبادة الجماعية والتطهير العرقي في قطاع غزة منذ الثامن من تشرين الأول حتى كتابة هذه السطور حيث مرور أكثر من (15) شهراً على القتل، والتدمير، والتجويع، والحصار، والقصف، والاعتقالات، والتعذيب، وتقييد الحريات، حيث لم يحصل مثله في التاريخ.

ووفاءً وانتماءً لقرانا ومدننا المنكوبة وجب علينا الوقوف في وجه حملات الطمس، والتزييف لتاريخنا وتراثنا من خلال ترسيخ هذه القرى في أذهان شعبنا وطلابنا وأطفالنا بالكتابة عنها ، والحديث الدائم حولها، فالصهيونية تعمل جاهدة إلى محو آثار شعبنا وتاريخه، وتغييب ماضيه ، كما يسعون حثيثاً لمحو حاضره ومستقبله، لكننا هنا باقون صامدون، متجذرون كما الزيتون في أرضنا، وستعود ملايين الضحايا واللاجئين ،

ضحايا الظلم ظلم هذا العالم الذي أصبح بلا ضمير، ولا أخلاق، ولا إنسانية، ولا مبادئ، ستعود إلى أراضيها ومدنها وقرائها التي هُجرت عنها بقوة السلاح والإرهاب. وفي هذه الذكرى رأيت أن أكتب عن قرية منكوبة ومهجرة، ينتظر أهلها وسائر أهالي القرى والمدن المهجرة سنة (١٩٤٨م) أن تكون هناك نهاية لعذاباتهم ونشردهم منذ (٧٧) سنة بالعودة إليها، إنها قرية ديرأبان الواقعة ضمن قضاء القدس.

أصل التسمية

عرفت قرية ديرأبان في العهد الروماني باسم (أبينزير) وهي من أعمال بيت جرين^(١) ويقول الأستاذ الباحث عبد العزيز أبو هدبا مؤلف الكتاب القيم (قرية ديرأبان) وهو أحد المعروفين المتميزين في ديرأبان المولود فيها سنة ١٩٣٥م : « دير أبان عرفت بهذا الاسم منذ الفتح الإسلامي لفلسطين، وأن سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أنه كان في القرية دير أنشئ في فترة انتشار حركة بناء الأديرة في فلسطين في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وأوكل هذا الدير في القرية إلى أحد الصحابة ممن يحملون اسم (أبان) حيث نسب إليه، ولم يحولوا الدير إلى مسجد، بل أبقوا عليه، وأقاموا مسجداً إلى الجنوب من موقع الدير عرف (بالعمري).^(٢)

قرى تحمل الاسم نفسه

توجد قريرتان تحملان الاسم نفسه، واحدة في فلسطين، والأخرى في سوريا، أما التي في فلسطين (دير أبان) التي تقع على رأس جبل في قضاء طولكرم قرب الحدود الجنوبية لقرية كفر اللبد. والتي تقع في سوريا (ديرأبان) من قرى غوطة دمشق^(٣) وتوجد مدينة تحمل اسماً قريباً من قريرتنا تقع في جنوب إفريقيا اسمها (ديربان) وهي ثالث أكبر مدينة من حيث عدد السكان في جنوب إفريقيا.^(٤)

الموقع والمساحة

تقع قرية دير أبان على بعد (٢٥) كم غرب مدينة القدس، وتبعد عن مدينة الرملة عن طريق باب الواد (٣٢) كم، وعندما احتلتها العصابات الصهيونية سنة (١٩٤٨م) وهجر أهلها عنها بقوة السلاح والإرهاب كانت تتبع قضاء القدس، أما كما ورد في كتاب حسين روجي الخالدي (المختصر في جغرافية فلسطين) الصادر سنة ١٩٢٣م فإنها كانت تتبع أيام الاحتلال البريطاني مدينة الرملة. وكان عدد سكان القرية في إحصاء سنة ١٩٢٢م (١٢١٤) نسمة.⁽⁵⁾

لقد تنقلت القرية في تبعيتها الإدارية إلى ثلاث مدن منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وحتى الأربعينيات من القرن العشرين، ويعود السبب في ذلك إلى أن القرية تقع في مكان متوسط بين ثلاث مدن ، هي : القدس والخليل، والرملة، فطوال العهد العثماني كانت تتبع ناحية القدس، وفي أواخر هذا العهد حوالي سنة (١٨٧٤م) ضمت إلى قضاء الخليل حتى سنة ١٩٢١م، حيث انتقلت إلى قضاء الرملة حتى سنة ١٩٤١م، ثم عادت إلى التبعية الإدارية إلى مدينة القدس، وتبلغ مساحة القرية المقامة عليها مبانيها (٥٤) دونماً تمام ومساحة أراضيها (٢٢٧٤٨) دونماً، وتحيط بالقرية قرى سفلى، وجراش، ودير الهوا وبيت ننيف، وصرعة، ودير رافات. وأقرب قرية عليها قرية جراش.⁽⁶⁾

السكان والعشائر والعائلات

كما أسلفنا سابقاً، كان عدد سكان القرية سنة ١٩٢٢م (١٢١٤) نسمة وسنة ١٩٣١م (١٥٢٤) نسمة، وفي عام ١٩٤٥م (٢١٠٠) نسمة.⁽⁷⁾ وبلغ عددهم سنة التهجير صباح يوم 1948/10/18م (٢٥١٩) نسمة، وأقدم إحصاء لسكان القرية كان قبل أكثر من (٤٢٠) سنة حيث بلغ عدد سكان دير أبان سنة ١٥٩٧م (230) نسمة، وبالنسبة لتركيبية الحمايل والعائلات في

القرية، فإنها تتألف من أربع حمائل، وهي: ابن هذيل، والدعامسة، والقراملة، والوعرة، وسكان القرية في أصولهم يرتدون إلى جماعتين اثنتين، فتشكل حاملتا ابن هذيل والوعرة جماعة واحدة، وتشكل حاملتا الدعامسة والقراملة الجماعة الأخرى، وكان لكل من الجماعتين مختار، لذا كان في القرية مختاران حتى سنة ١٩٤٨م. (٨) وخضعت حركة سكان القرية كغيرها من قرى فلسطين إلى عوامل مختلفة، منها: الحروب والغزوات الخارجية، والنزاعات داخل البلد بين الأحزاب والقيادات المختلفة، مثل: قيس، ويمن، والنزاعات داخل القرية كحالات القتل، ونزوح بعض العائلات جراء ذلك، والعوامل الاقتصادية، والوظائف، فيضطر موظف أن يسكن القرية، ثم يتزوج من أهلها، فيصبح من سكانها، مثل: الشيخ حسن أبوليلي، ودار الأفندي. وتندرج تحت الحمائل الأربعة الرئيسة العائلات الآتية:

1- حمولة ابن هذيل، وعائلاتهما: أبو سخن (سالم ومسلم و خليل)، والأفندي، وحسنين، وخليف، وربيع وزيادة وسالم علي، وسرحان، وسويد (فرحان، وأنيس، ودعسان، ومحمد)، وشاهين، وغنيم، والفرارجة (عبدالله، والحاج علي، ووادي).

2- حمولة الدعامسة : الخمس الأول : دار إبراهيم حسن، وأبو هديا، وأبو مشمس، وصبيحة ومحمد ، وزيادة، والأخرس، وأحمد داود، وأحمد يوسف، وشعلان، وعبد النبي، وعلي حسين، ومحيسن، والخمس الثاني: الصدوق، وهم دار عبد العزيز يوسف، وجاد الله عثمان، وحسين إبراهيم، و خليل عبد الحافظ، وناجي يوسف، وإسماعيل صافي، وحقروص، والباز، والقباني والنويه، وإسماعيل العبيد، والمسايد، ومنهم : دار إبراهيم حسن وصباح، وأبو الكراعين، وسعادة، وعبد القادر مصطفى، وعوض الله، والبرميل، والكسابرة، ومنهم : دار ذيبان، وزاهر، وزيدان، وعوض الله، والصليبي، وعودة، ومسلم .

3- حمولة القراملة: دار خليل، وأبو عيشة، وحماد، ومحيسن، والعسعيس، وأبو سلامة، وأبو عثمان، وجعارة، ودعسان (عثمان، وعدوان، وخليل) والملاح، وأبو تينة، وأبو ليلي.

4- حمولة الوعرة: دار أبو سلامة، وشريم، والبيظة (رشيدة، وبيوض، وعميرة، وعامر) وخليفة، وعبد الدايم، وعطوة، وعطا الله، والغزال، وغنّام، والشيخ عبد القادر.^(٩)

خرب القرية

من المعلوم أن الصهاينة المحتلين دمروا القرية، وأقاموا على موقعها سنة ١٩٥٠م مستعمرتهم (محسيه)، ومستعمرة بيت شيمش، ومستعمرة زانوح، ومستوطنة موشاف يشفي، وكيبوتس صرعا.^(١٠) وتوجد الخرب الآتية في قرية ديرأبان: خربة الصياغ وتحتوي على أساسات، وحجارة، ومعصرة. وخربة وادي علين: وفيها جدران متهدمة، وصهاريج منقورة في الصخر، ومحرس. وطريق قديمة، وقبور. وخربة النياتة: وفيها أساسات، وصهاريج، ومعاصر زيتون، وطواحين، وحوض، وقصور.^(١١)

الزراعة والمياه في القرية

تعد الزراعة الشريان الرئيس لقرية دير أبان، فهي من موارد الرزق المهمة فيها، فمعظم أهل القرية يعملون في الزراعة، وتتكون أراضي القرية في معظمها من الأراضي الرسوبية الغرينية، وفي القرية أراضي سهلية، وكلسية، وطبيعة أراضي القرية الطبوغرافية تجمع بين الأراضي السهلية والجبلية والأودية: كوادي الصرار، ووادي أبو خشبة، ووادي قريقع، ووادي الخائق، ووادي شعب بير النحل. ومن أهم المزروعات في دير أبان :

١- الحبوب: ويأتي القمح في مقدمتها، حيث اشتهرت ديرأبان بأنواع معينة من القمح، وصلت شهرتها إلى قرى الخليل ،

وبيت لحم، والقدس، ورام الله والبيرة، حتى أن نساء مدينة البيرة تغني عن القمح الدير أباني:

يا قمح دير أباني	يا طالع على المية
يا قمح دير أباني	يا غالي عليّة
عرقه زي الصوان	عمري ماريت زيه
يا طولّه عود الزان	غاوي وشبعان غيه
يا خالي من الزوان	الكيس يسوى ميّه

ومن أنواع القمح التي كانت تزرع حسب مسميات أهل القرية: أبو حربية والأكل، والدّبية، والقطمة، والنورسية، وكف الرحمن، وجناح الغراب، وسن الجمل، ومن الحبوب التي كانت تُزرع في دير أبان: الشعير، والعدس، والحمص والكرسنة، والفول، والذرة.

٢- الأشجار: كانت مساحة الأرض المزروعة بالأشجار في دير أبان لا تزيد عن ٤٪ من المساحة الكلية للقرية، وأهم الأشجار المزروعة في هذه المساحة : الزيتون، والتين، والعنب، واللوز، والصبر، وانتشرت الأشجار الحرجية في الجهة الغربية والشمالية الجنوبية، وأهمها الصنوبر، والسرو، والكينا، والخروب.^(١٢)

الأمطار والمياه في القرية

معدل هطول الأمطار السنوي في دير أبان تقريباً (٥١٦) ملم، وعدد الأيام الماطرة هي (٦٨) يوماً ، لذا اعتمدت القرية على المياه المجموعة في فصل الشتاء لاستعمالها في الشرب وغيره، حيث كان حفر البئر يسبق إقامة البيت في معظم الأحيان. وقد عانت القرية من شح المياه مدة طويلة خاصة في السنوات قليلة الأمطار ، وكان أهل القرية يعتمدون إلى سدّ حاجتهم من الماء من ينابيع ماء بعيدة: كعين الدلبة التي تبعد عن القرية (٣) كم، وعين مرجلين التي تبعد عن القرية (٥) كم،

وعين فطير التي تبعد عن القرية (٤) كم، ومعظم الطرق المؤدية إلى هذه العيون شديدة الوعورة، وأهم العيون والينابيع والآبار في القرية: نبع الحفيرة، وبئر الثمد، وبئر النخل، وعين أم عبوش، وعين بولص، وعين البصة، وعين الخسفة، وبئر الليمون، والعين البيضاء.

التعليم في القرية

لم يكن حظ القرية في مجال التعليم بأحسن من حظ غيرها من القرى الفلسطينية، حيث كان التعليم في نهاية العهد العثماني يتم في القرية في بيت الشيخ، ثم في الجامع العمري، وتم إقامة أول بناء مدرسي رسمي سنة ١٩٣٧ م ، مكون من غرفتين ، وفي العام ١٩٤٦ م تم إضافة غرفتين إضافيتين للمدرسة، ومما يدل على اهتمام أهالي القرية بالتعليم سعة مساحة المدرسة الذي بلغ حوالي (٣٥) دونماً للمدرسة بما يشمل أقسام الطلاب، وبنائية المدرسة وساحاتها . ومن ناحية المراحل التعليمية في مدرسة القرية كان الصف الرابع الابتدائي أعلى صف فيها حتى سنة ١٩٤٦ م، ومن يريد أن يكمل تعليمه بعد الصف الرابع عليه الذهاب إلى قرية مدرسة قرية إشوع، على بعد (٥) كم إلى الشمال من القرية، حيث كان أعلى صف فيها هو الصف السابع، وسنة ١٩٤٧ م افتتح في مدرسة ديرأبان الصف الخامس الابتدائي، ومن المعلمين الذين علموا في ديرأبان خلال الأربعينيات: الأستاذ عطا الوحوش من لحول، والأستاذ الشيخ محمد الباز من ديرأبان، والأستاذ محمد حامد من حوسان. ولم يكن في القرية مدرسة خاصة بالإناث، حيث كان القليل من الفتيات يدرسن مع الذكور عرف منهن : جازية محمد الباز، وجميلة حسن أبو هدبا، وهند يوسف عبد العزيز، ومن الطلاب الذين أنهوا الصف الخامس: محمد يوسف الأفندي، وعبد العزيز حسن أبو هدبا، ويوسف إبراهيم إشريم، ونجيب ذيب بيوض، وإبراهيم محمد عدوان.⁽¹³⁾

احتلال القرية

من المعلوم أن الإنجليز منذ احتلال فلسطين سنة ١٩١٧م عملوا جاهدين على تهئية الأجواء لإقامة الكيان الصهيوني اليهودي، وكان هذا الهدف يتطلب العمل في مجالين ، وهما: المجال اليهودي المتمثل في الدعم المطلق لليهود وتدريبهم، وتسليحهم، وحمايتهم، والمجال العربي : المتمثل بحصارهم، وخنقهم، وهدم منازلهم، وقتلهم، وإعدامهم بالجملة، ومرت على القرية سنة النكبة ١٩٤٨م ظروف صعبة جداً خاصة في الشهور الثلاثة الأخيرة التي سبقت التهجير، والتي تمثلت بالهجوم اليهودي الصهيوني في 14/7/1948م والذي استمر على القرية حتى 18/10/1948م هو اليوم الذي احتلت فيه العصابات الصهيونية القرية خلال الهدنة الثانية بين العرب واليهود، والتي عقدت في 17/7/1948م بناء على قرار مجلس الأمن في 15/7/1948م. وقد أورد عارف العارف اسم قرية ديرأبان ضمن (٢٢) قرية احتلها الصهاينة خلال الهدنة.⁽¹⁴⁾ فهذا دين اليهود لا يحترمون ميثاقاً، ولا عقداً، ولا صلحاً، ولا هدنة. قال تعالى : (لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوْمِنٍ إِلَّا وَلَّا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) (التوبة: 8) ومن المعارك التي أوقع فيها المقاتلون من قرية ديرأبان خسائر فادحة في العصابات الصهيونية معركة وادي علين في 18/1/1948م، ومعركة باب الماصية في 19/3/1948م، ومعركة 16/نيسان/1948م، والتي تم فيها تدمير أكبر قافلة مكونة من (٢٥٠) سيارة متجهة من تل أبيب إلى القدس، ولم ينج من الصهاينة إلا القليل. ومن شهداء القرية خلال النكبة: مصطفى حمدان عبد الله، وعلي إبراهيم صرار، وعبد العزيز عثمان، وهنية بدوان عيسى، وصبحة جابر الدعامسة ، ومحمد المساعيد، وأحمد زيادة.⁽¹⁵⁾ ومن شهداء ديرأبان بعد سنة ١٩٦٧م:

كريم نعيم دعامسة، استشهد في 26/10/1989م، وجاد محمود عطا الله، استشهد في 8/3/2002م، وقصى سليمان الأفندي،

استشهد في 2008/1/28م، وأحمد منير صدوق، استشهد في 2023/10/19م.

أهالي دير أبان اليوم

يعيش أهالي القرية المنكوبة هذه الأيام مششتين لاجئين في أصقاع الأرض، ومعظمهم يقيمون في مخيمات فلسطين في الضفة الغربية، ومخيمات الأردن، ومنهم يقيم في أميركا، وأوروبا، والدول العربية ، ولم يبق من الذين هجروا منهم سنة ١٩٤٨ على قيد الحياة إلا القليل القليل ، ولكن قلوبهم وقلوب أبنائهم وأحفادهم تصبو إلى قريتهم الحبيبة، وهم على موعد قريب بالعودة إن شاء الله. والكثير من أهالي القرية تميزوا في علمهم وعملهم. وأدوارهم الفاعلة في الحياة الفلسطينية والعالمية، وفي رفع شأن قريتهم ووطنهم، ومن هؤلاء المتميزين المبرزين :

- الدكتور يوسف راشد رشيد، وكان أول طالب تعلم في المراحل الثانوية، حيث نقله والده من مدرسة إشوع بعد أن أنهى الصف السابع الابتدائي إلى مدرسة البيرة الثانوية، وأكمل تعليمه الثانوي في مدرسة الفرنز في البيرة، وحصل على شهادة الدكتوراه من أميركا، وكان أول من ينال الدكتوراه من أبناء القرية.(16)

- الدكتور عدنان محمد الأفندي : ولد سنة 1971م وأمضى (٢٢) سنة في سجون الاحتلال الصهيوني، وهو أحد طلابي قبل (39) سنة، وحاصل على درجة الدكتوراه في القيادة والإدارة التربوية، وشهادة مترجم قانوني من العبرية إلى العربية وبالعكس ، وشهادة تدريب مدرّبين من وزارة التعليم العالي، وشهادة تدريب مدرّبين دولية، ويعمل محاضراً في عدة جامعات فلسطينية، وله عدة بحوث دولية في التربية والعلوم السياسية.

- البروفيسور جودت أحمد سعادة المساعيد : يحمل درجة الدكتوراه في الفلسفة، ونشر أكثر من (٢٥) كتاباً و (١٢٠) بحثاً، وشغل منصب عميد لكليات التربية في جامعات أردنية، وعميد البحث العلمي في بعض الجامعات العربية، وحاضر في أكثر من ثماني جامعات عربية، ومن كتبه : تدريس مهارة التفكير، وصياغة الأهداف التربوية والتعليمية، وتقويم المناهج بين الاستراتيجيات والنماذج، وأساليب تدريس الموهوبين.

- الأستاذ الشاعر محمد خليل شريم : وهو من مواليد سنة 1962م، وتهجرت عائلته من قرية ديرأبان، ويقع في مدينة الدوحة في محافظة بيت لحم، وهو مؤسس ومنسق عام جمعية منبر أدباء الشام، ورئيس مجلس إدارتها، وعضو الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، وأمين سر المنتدى الثقافي الإبداعي في بيت لحم، وله مجموعة من الدواوين الشعرية، منها : صدى الوطن، والوهج، وجواهر الحكمة في نظم كليلة ودمنة، وحمامة القسطل.

لقد كان هذا المقال البحثي في إطار حفظ الهوية والتاريخ والتراث الفلسطيني من الاندثار والضياع، ويؤكد أنّ قرية ديرأبان عربية فلسطينية باقية ببقاء أهلها وصمودهم، وصبرهم، وإصرارهم على العودة إليها مهما كلف ذلك من أثمان وتضحيات، وحالها في ذلك كحال أكثر من (٥٠٠) قرية فلسطينية أبيدت، وهدمت سنة 1948م ولا يعرف عنها الكثير، وهي بحاجة إلى جهود الباحثين والمهتمين للكتابة عنها؛ لترسخ في أذهان الأجيال التي ولدت بعد النكبة.

الهوامش

1. الموسوعة الفلسطينية، المجلد2، ص421.
2. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص22.
3. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص23.
4. Wikipedia.org، أمكن الرجوع إليه في 2024/12/5م.
5. حسين روعي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص101.
6. رشاد أبو جودة، مدينة القدس وقراها المنهوبة والمدمرة عام 1948م، ص61.
7. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص188-ص189.
8. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص41-ص43.
9. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص43-ص61.
10. مقابلة مع الدكتور عدنان الأفندي في 2024/12/25م.
11. رشاد أبو جودة، مدينة القدس وقراها المنهوبة والمدمرة عام 1948م، ص62.
12. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص184 – ص206، وانظر معجم بلدان فلسطين، محمد شراب، ص381.
13. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص260 – ص237.
14. عارف العارف، النكبة والفردوس المفقود، ج6، ص69.
15. عبد العزيز أبو هدبا، قرية ديرأبان، ص373 – ص374.
16. مقابلة مع الدكتور عدنان الأفندي في 2024/12/25م.

قرية راس أبو عمار المنكوبة والمهجرة

المقدمة

الحمد لله ناصر المستضعفين، قاهر الظالمين المجرمين،
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله
وأصحابه ، وعلى من استنَّ بسنته الى يوم الدين، وبعد،

تحت عنوان (إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة) نشرت
صحيفة هآرتس العبرية مقالاً للكاتب الصهيوني الشهير (آري
شبيت) يقول فيه: "إننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا
حلَّ معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال، والقوة
الوحيدة في العالم القادرة على إنقاذ إسرائيل من نفسها هم
الإسرائيليون أنفسهم، وذلك بابتداع لغة سياسية جديدة تعترف
بالواقع، وبأن الفلسطينيين متجذرون في هذه الأرض، وأنَّ
الإسرائيليين منذ أن جاءوا إلى فلسطين قد وقعوا ضحية كذبة،
وأن لعنة الكذب تلاحق الإسرائيليين، ولا مستقبل لهم في هذه
البلاد، ففلسطين ليست أرضاً بلا شعب كما كذبوا. كذلك الكاتب
الصهيوني اليساري المعروف (جدعون ليفي) في نفس العدد
من الصحيفة يعترف بتفوق الفلسطينيين على الإسرائيليين،
ويقول إن الفلسطينيين طينتهم تختلف عن باقي البشر، وأنَّ
الإسرائيليين يواجهون أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حلَّ
معهم سوى الاعتراف بحقوقهم، وإنهاء الاحتلال⁽¹⁾.

يشير ما تقدّم من كلام على السنة الصهاينة أنفسهم أننا
قريبون جداً من النصر والتحرير والعودة إلى أراضينا وقرانا

التي هُجِّرنا عنها بقوة السلاح، وإرهاب العصابات الصهيونية (شتيرن، والأرغون، والهاغاناه) سنة ١٩٤٨م، لذا، رأيت أن أكتب بمناسبة مرور (٧٨) سنة على النكبة عن إحدى قرى القدس المنكوبة والمدمرة سنة 1948م، وهي قرية راس أبو عمار، وما توفيقني إلا من الله سبحانه وتعالى .

أصل التسمية

سميت قرية راس أبو عمار بهذا الاسم نسبة إلى مقام الشيخ أبو عمار المقام في القرية، ويقال إنه مقام قديم لهذا الرجل الولي الصالح من أولياء الله الصالحين سكن المنطقة قبل أكثر من (٣٥٠) سنة، وأخذ الناس يسكنون حول مقامه تيمناً به وبركاته، وكان الناس في القرية يهتمون بمقامات أولياء الله الصالحين، وأهمها مقام الشيخ أبو عمار، والشيخ مرزوق، والشيخ غريب، والشيخ محمود.

ويعود أصل قرية راس أبو عمار إلى خربة بيت سكايا، وهي قرية صغيرة (خربة) قريبة جداً على قرية راس أبو عمار، ويقول الحاج محمد مصطفى عمارنة (٧٨) سنة من راس أبو عمار: أن أصل التسمية تتعلق بالماء، حيث قرية بيت سكايا منخفضة، وفيها الماء، وكان موقع قبر أبو عمار على رأس الجبل، ويبعد عن بيت سكايا حوالي (٢٠٠) متر، وموقع القبر يُقال له رأس العقبة أي قمته، ومن ثم أطلقوا عليها راس أبو عمار تيمناً بالولي الصالح أبو عمار.⁽²⁾

الموقع والمساحة

تقع القرية إلى الغرب من مدينة القدس مع انحراف قليل نحو الجنوب، وتبعد عنها (14) كم، وترتفع عن سطح البحر

(700) متر، وتقع القرية على سرج جبلي بين جبل الشيخ مرزوق، وجبل أبو عدس، ويحيط بها وادي الصرار من ثلاث جهات، وتبعد القرية حوالي كيلو متر واحد عن خط سكة الحديد بين القدس ويافا. وبلغت مساحة أراضيها (8342) دونماً حسب خريطة فلسطين عام 1945م. وبيوت القرية مبنية بالحجارة والشيد، ومنها ما هو مبني بالطين والشيد، وسمك جدران البيوت تقريبا (100) سم مما يجعلها معتدلة الحرارة في الصيف، ودافئة في الشتاء. وعندما هجر أهالي القرية، وكما قال الحاج داود فرج وهو من سكان القرية وعمره (88) سنة كان عدد البيوت فيها (106) بيتاً، وقال: في القرية بيوت تسمى (العلية) فيكون البيت مكون من طابقين، ومبني بطريقة هندسية جميلة، ومن العليات في القرية: عليّة عبدالله حسن عمارنة، وعليّة يوسف أبو عليا، وعليّة مصطفى أبو بكر، وعليّة محمد معدّي.⁽³⁾

القرية مبنية على مرتفع صغير، ووادٍ منفرج منبسط، وشكلها مستطيل، ويحدها من الشمال قرية عقور، ومن الشمال الغربي دير الشيخ، ومن الجنوب الغربي علّار، ومن الجنوب وادي فوكين، ومن الجنوب الشرقي القبو، ومن الشمال الشرقي الولجة.⁽⁴⁾ ولجمال هذه القرية أقيمت على جبالها غابات القدس، واتخذت وديانها مسارات للمتنزهين .

السكان والعشائر والعائلات

بلغ عدد سكان قرية راس أبو عمار حسب إحصاء سنة 1922م (339) نسمة⁽⁵⁾ وبلغ عددهم سنة (1931م) (488) نسمة، وفي سنة 1945م (620) نسمة، وسنة النكبة 1948م (719) نسمة، وهو عدد من هُجّروا عن القرية بالإرهاب وقوة السلاح. وسنة 1998م بلغ عدد سكان القرية (4379) لاجئاً

حسب المسجلين في وكالة الغوث الدولية⁽⁶⁾ وحسب تقديرات أهالي القرية، يبلغ عددهم في الوقت الحالي حوالي (10,000) لاجئاً، وبالنسبة إلى تركيبة الحمائل والعائلات في القرية، فإنها تتألف من ثلاث حمائل رئيسة، وهي: حمولة مروّة، وحمولة القراقرة، وحمولة العمارنة.

وخضعت حركة سكان القرية وتقلّهم كغيرها من قرى فلسطين إلى عوامل مختلفة، منها: النزاعات التي تحصل أحياناً بين العائلات والحمائل، وخاصة التي ينجم عنها أحياناً حمل الدم، والعوامل الاجتماعية والاقتصادية، والوظائف إذ يضطر الموظف أن يترك قريته، ويسكن في القرية التي سيعمل فيها، ثم يتزوّج من أهلها، وبالتالي يصبح من سكانها، وتندرج تحت الحمائل الثلاث الرئيسة العائلات الآتية:

- حمولة مروّة: وعائلاتهما - أبو عكر، والشاويش، وأبو عليا، وعوض الله، و فرج، وسعيفان، وحميدان، وعليان (أبو عودة).
- حمولة القراقرة: وعائلاتهما - عيّد، ومعدّي، وراضي، وملش، والبدانة، وكنعان، وأبو حميدة، وأبو سالم.
- حمولة العمارنة: وعائلاتهما - خليل، وحرز الله، وعلان.

وكانت العلاقات بين الناس في القرية متينة وقوية، يتعاونون مع بعضهم بعضاً في كل الأمور، في الأفراح والأفراح، وكان سكان القرية من دون استثناء يشاركون في حفلات الزواج من دون دعوة، ويفرحون مع أهل العريس، وأهل العروس، ويؤدون واجبهم على أكمل وجه، ويزفون العريس على فرس والعروس على الجمل، ويطوفون بهما داخل القرية بطريقة مهيبة، ويغنون الأغاني والأهازيج الشعبية

من الفولكور الفلسطيني، والتي يغنيها أهل القرية وسائر القرى
الفلسطينية الأخرى في الأعراس، ومن الأغاني التي تغنى في
الأعراس والزفة :

عريسنا شيخ الشباب	شيخ الشباب عريسنا
عريسنا ضمة ورد	ضمة ورد عريسنا
عريسنا عنتر عبس	عنتر عبس عريسنا

صلوا على محمد مكحول العين وزين الزين واللي يعاديننا الله
والنبي عليه

بسم الله الله نادينا	وعلى النبي صلينا
أول ما نبدأ ونقول	نصلى على طه الرسول
يا صلاتك يا محمد	يا خزاتك يا إبليس
يا سباع البر حومي	اشربي ولا تعومي
محمد زين وذكره زين	محمد يا كحيل العين
يا عريسنا يا أبو حطة	من وين صايد هالبطة
يا عريسنا يا أبو عقل	من وين صايد هالغزال ⁽⁷⁾

وعندما يتوفى شخص في البلد، يحدّ الناس سنة كاملة، حيث
لا تقام في هذه السنة الأفراح ولا الأعراس، حتى إذا جاء عيد
الأضحى في وقت الحداد، لا يذبح المضحّي ذبيحته بيديه، بل
يأتي شخصان آخران يذبحان ذبيحته، حتى لا يقال : قام بذبح
ذبيحته وقت الحداد بيديه، ويحدثني كبار السن من القرية أن
الذبيحة كانت تكفي جميع سكان البلد، إذ يضع فيها الله البركة
والكرامات، وكان الناس يطبخون المنسف الفلسطيني،
والجريشة، والمفتول في المناسبات سواء أكانت أفراحاً أم

أترأحاً، ومن طبخات البلد بالإضافة إلى المنسف: المجردة،
والمسخن، والخبيزة، والعلك، والعكوب.

كان يدير شؤون القرية مختاران، يقومان بتسجيل المواليد،
ومتابعة قضايا الأراضي والأملاك، والأمور التي تخص
القرية، وفترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي قبل
النكبة كان المختاران هما: راشد أبو عليا، ويوسف علي عياد.

التعليم في القرية

لم يكن حظ القرية في مجال التعليم بأحسن من حظ غيرها
من القرى الفلسطينية، حيث كان التعليم في نهاية العهد العثماني
قد شهد تراجعاً ملموساً من حيث عدد المدارس، ونوعية التعليم،
وانتشار الفساد المالي والإداري بشكل عام في دور العلم، وكان
رجال الدين هم المرجعية التعليمية للبلاد، وقد بلغت نسبة الأمية
في فلسطين في نهاية العهد العثماني ٨٩%، وفي زمن الاحتلال
البريطاني (١٩١٧م - ١٩٤٨م) اتّصف التعليم بالقصور من
نواحٍ عدّة أهمها: التنظيم، والمبالغ والميزانيات المخصّصة له،
والمناهج المتبعة، وعدد المدارس والطلاب، وقد بلغت النسبة
المئوية للأولاد العرب الذين هم في سن التعليم، وقد حرّموا منه
في ١٩٤٤/٧/١م حوالي 67.5% بينما كانت هذه النسبة تقارب
الصفر لدى اليهود الذين كانوا مستقلّين استقلالاً تامّاً في تعليم
أولادهم. (8)

كان التعليم في قرية راس أبو عمار يتم في بيت شيخ القرية،
وفي المسجد، وفي دار علي يونس، ودار خليل ملش، وفي
بعض بيوت القرية، حيث يتم استئجار غرفة زائدة عن حاجة

عائلة من العائلات تتم الدراسة فيها، ولم تكن في القرية مدرسة قبل النكبة (١٩٤٨م) كما قال الحاج داود فرج، فكانت المدرسة قيد الإنشاء، وتم الانتهاء من بنائها قبيل التهجير بأيام، ولم تتم الدراسة فيها، وحديثاً تمّ هدم المدرسة، ويقول الحاج داود كان الشيخ طه أبو حميدة يدرّسنا القرآن الكريم، والذي يحفظ جزء (عمّ) أو يختم تلاوة القرآن كان أهل القرية يزفّونه على الفرس انطلاقاً من المسجد إلى عين المزراب احتفاءً وتقديراً له، وذكر لنا بعض الذين درسوا في القرية وأنها مستوى الصف الرابع: داود فرج، وطه أبو عليا وغيرهم.⁽⁹⁾

الزراعة في القرية

تحدث إليّ في مقابلي له محمد طه أبو عليا محافظ بيت لحم نقلاً عن المرحوم والده طه أبو عليا وهو أحد المتعلمين والمثقفين جداً من القرية: " تُعدّ الزراعة الشريان الرئيس للقرية، فهي من موارد الرزق المهمّة جداً في حياة الناس، فمعظم أهل القرية يعملون في الزراعة، وأهم ما يميز القرية في هذا المجال هو شجرة الليمون الحلو، وهذا الشجر نادر جداً في العالم، فهو موجود تقريباً في فلسطين فقط، وبالتحديد في قرية راس أبو عمار، حتى في يافا أم الحمضيات غير موجود فيها هذا النوع من الليمون.

- ومن أهم المزروعات في القرية بالإضافة إلى الليمون الحلو:
- ١- الحبوب: وأهمها القمح والشعير والذرة، والعدس، والحمص، والكرسنة والفل.
 - ٢- الأشجار وكانت مساحة الأرض المزروعة في رأس أبو عمار بالأشجار قليلة، وأهم الأشجار المثمرة: العنب،

والإجاص، والزيتون، والتين، والصبر، واللوزيات. ومن الأشجار غير المثمرة البلوط فقط.

٣- الخضار: أهمها الكوسا، والبادنجان، والقرع، واليقطين، والخيار، والفكوس، والبامية.

تعتمد الزراعة على مياه الأمطار، ومياه العيون التي تنساب، وتتجمع في البرك، تمّ توزع على الأراضي الزراعية لري بساتين الخضار والفواكه. أما الثروة الحيوانية، فكان الاهتمام بها محدوداً، وربّى أهل القرية الضأن، والماعز، والأبقار، والدواجن، والقليل منهم اهتم بتربية النحل.⁽¹⁰⁾

الخرب والعيون

لقد دمر الصهاينة المحتلون القرية بعد احتلالها، وتهجير أهلها في ٢١/١٠/١٩٤٨م، وأقاموا على موقعها سنة ١٩٦٠م مستعرة (تسور هدا) من جهة الجنوب، وتوجد في القرية الخرب الآتية: خربة أبو عدس، وخربة الشيخ أحمد، وخربة الشيخ مسافر، وخربة الشيخ مرزوق، وبالنسبة للعيون كان أهل القرية يعتمدون على الينابيع والعيون لتأمين مياه الشرب والرّي، واشتهرت رأس أبو عمار بكثرة العيون فيها، والتي من أهمها: عين الوحش، وذبيان، والشرقية، والعصفورة، والسكر، وحبوبين، والمطينة وهي أكثر العيون التي تستخدم للزراعة، والمزrab التي كانت تسقي كل حلال ومواشى القرية، وعين خربة أبو عدس.⁽¹¹⁾

احتلال القرية

تؤكد كلّ الروايات الشفوية وغير الشفوية أن سكان قرى فلسطين ومدنها لم يرحلوا ولم يتركوا قراهم برضاهم سنة ١٩٤٨م في النكبة برغم القصف العشوائي الممنهج، وهدم

البيوت، وقتل الناس العزل التي كانت تقوم به العصابات الصهيونية، وكان الاحتلال البريطاني منذ سنة ١٩١٧م قد عمل على تهئية الأجواء والظروف بإقامة كيان صهيوني، وكان هذا الهدف يتطلب العمل على دعم اليهود دعماً مطلقاً، وتدريبهم، وتسليحهم، وحمايتهم، وخنق الفلسطينيين، وحصارهم، وهدم منازلهم، وإعدامهم بالجملة. ومرت على القرية ظروف صعبة جداً كسائر قرى فلسطين طيلة فترة الاحتلال البريطاني حتى النكبة، وقاوم أهالي القرية الاحتلال الإنجليزي والعصابات الصهيونية المجرمة التي كانت تعمل على إرهاب الناس، وقتلهم، ودفعهم وإرغامهم على الهجرة، وقدموا الشهداء، منهم الشهيد: محمد حسين فرج، والشهيد العبد عبد الله عياد والشهيد أحمد محمد خليل العمارنة الملقب بـ(أحمد سهمود) (1968م). وشارك العديد من شباب القرية في معركة القسطل (1948/4/8م) منهم: عبدالله علي علان، وعليان يوسف علان.⁽¹²⁾

وجدت بريطانيا والصهاينة أن أمر فلسطين كان بيد أهلها، وظلّ الأعداء في يأس من الوصول إلى ما وصلوا إليه، وما سقطت القرى والمدن بيد الصهاينة بما فيها قرية راس أبو عمار إلا بعد أن دخلت الجيوش العربية، واطمأنّ الناس إلى مَنْ جاء يغيثهم وألقوا إليهم مقاليد الأمور، وانسحبوا من الميدان بناء على طلب الجيوش العربية المدججة بالسلاح، والتي في الظاهر تعمل لصالح فلسطين، وفي الباطن تعمل لصالح الصهيونية، كما تفعل في أيامنا هذه؛ لذا سلمت فلسطين تسليم يد بيد كما قال الشاعر ابن مدينة يافا محمود سليم الحوت (١٩١٦-١٩٨٩م) في قصيدته (يافا) وتساؤله عن حالها وحال مدن فلسطين وقرأها التي احتلت سنة ١٩٤٨م، وكيف بين في قصيدته حجم المؤامرة والمشاركين فيها ضد فلسطين وشعبها، وكيفية تسليمها للصهاينة:

كيف الشقيقات؟ واشوقي لها مدناً كأنها قطع من جنة الخلد
ما حالها اليوم يا يافا؟ وهل نعمت من بعد أن أسلمت يداً بيد؟

ووقعت القرية في قبضة لواء هرثيل بلماح التابع للعصابات
الصهيونية، وذلك في سياق عملية ههار، ويشير المؤرخ
الصهيوني بني موريس إلى أن القرية احتلت في
١٩٤٨/١٠/٢١ م جرّاء هجوم عسكري مباشر عليها.⁽¹³⁾

أهالي راس أبو عمار اليوم

لقد استقر المقام بأهالي القرية المهجرين عن قريتهم،
مشتتين لاجئين في أصقاع الأرض، ومعظمهم يقيمون في
مخيمات الدهيشة وعابدة والعزة والجلزون وشعفاط والفوار،
وفي مخيمات الأردن، ولأهل راس أبو عمار في الدهيشة حارة
تسمى باسمهم (حارة الراسية) الواقعة في الجنوب الشرقي من
المخيم، وهي زاخرة بالحركة والفكر والثقافة والمحبة
والتعاون، كذلك يوجد في مدينة معان بالأردن (218) كم
جنوب العاصمة عمان مقبرة لأهل القرية معروفة باسمهم
(مقبرة الراسية) حسب ما قال لنا الحاج محمد مصطفى
عمارنة، كذلك ذكر لنا أن هناك عائلات كثيرة من القرية في
الأرجنتين والبرازيل، وأكثر تواجد لهم في مدينة صويلح
بالاردن (14) كم شمال غرب العاصمة عمان، كذلك في
الأشرفية ورأس العين بالأردن.⁽¹⁴⁾

لم يبق من الذين هجروا عن القرية عام 1948م إلا القليل
على قيد الحياة، حيث يتابعهم الحاج داوود والحاج محمد
عمارنة جيداً، ويقدر عدد من تبقوا على قيد الحياة منهم حوالي
(40) شخصاً من (719) عدد المهجرين، ولكن عدد أبنائهم
وأحفادهم يزيد على (10,000) شخص تصبو وتهفو قلوبهم إلى
قريتهم الحبيبة، وهم على موعد قريب بالعودة إليها إن شاء الله
تعالى وقدم أهالي القرية عدداً من الشهداء في الانتفاضتين

الأولى سنة (١٩٨٧) والثانية سنة (2000م) وهم: الشهيد محمد نعيم أبو عكر (1990/10/22م) والشهيد عبد الله خالد العمارنة (2000/11/7م) والشهيد عيسى زكري فرج (2002/3/8م) و الشهيد علي محمد فرج (2002/4/10م).

والكثيرون من أهل القرية قد تميزوا بعلمهم، وعملهم، وأدوارهم الفاعلة في الحياة الفلسطينية والعالمية، وفي رفع شأن قريتهم ووطنهم، ويشغلون مناصب مهمة في الوطن والخارج، وأهم هؤلاء المبرزين المبدعين:

- أ.د علي عبدالله علان، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، ومحاضر في عدة جامعات أردنية، وشغل الكثير من المناصب الفنية والإدارية في الجامعات والمعاهد والمؤسسات الأردنية، منها: مقرر لجنة تطوير الخطط الدراسية لتخصص الدعوة وأصول الدين لطلبة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ومقرر اللجنة الدينية للوعظ والإرشاد والإمامة في وزارة الأوقاف الأردنية، وعضو رابطة علماء الأردن، وعضو الجمعية السعودية للقرآن الكريم، وشارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية الدولية، وله العشرات من الأبحاث والكتب في التفسير وعلوم القرآن، والدعوة وأصول الدين .
- السيدة غادة يحيى حرز الله: وهي المديرية الوطنية لمنظمة قرية الأطفال في فلسطين، وتعرف بقيادتها الحكيمة وجهودها المتواصلة في خدمة الأطفال ورعايتهم، وتم تكريمها من جهات عديدة، أهمها: وزارة العمل الفلسطينية كأفضل جهة شريكة ومتعاونة لعام ٢٠٢٥م ، وتشارك في مؤتمرات دولية كثيرة تتعلق بالطفولة ورعايتها.

- اللواء ماجد علي فرج: وهو مدير المخابرات العامة الفلسطينية سياسي مخضرم ومحتك، عين رئيس جهاز المخابرات العامة الفلسطينية سنة (2009م)، استشهد والده عام (2002م) وهو من عائلة لاجئة مناضلة، صابرة قدمت الكثير للوطن والشعب، وتوفي أخوه أمجد بعد أن أصيب بمرض عضال وهو في ريعان شبابه، وكان قد أمضى أكثر من ست سنوات في سجون الاحتلال، حيث أصيب بالمرض وهو في السجون من التعذيب الشديد، وقضى ماجد أكثر من سبع سنوات في سجون الاحتلال، وكان أحد قيادات الانتفاضة الفلسطينية الأولى.
- محمد طه أبو عليا: محافظ محافظة بيت لحم، وعضو مجلس ثوري لحركة فتح منذ سنة 2009م حتى الآن، شارك في مؤتمرات عديدة في الوطن وخارجه في مجالات التخطيط الاستراتيجي، وإدارة الأزمات، وحل الصراع، وأسر في المعتقلات الصهيونية أربع سنوات.
- الشيخ عبد المجيد العمارنة: مفتي محافظة بيت لحم عمل إماماً وخطيباً في عدة مساجد في الأردن وفلسطين، وإماماً للمسجد الأقصى عام 1985م، ويقدم برامج دينية في بعض المحطات الإذاعية والتلفزيونية في فلسطين، وأسس جمعية الرباط الخيرية في مخيم الدهيشة، ويتابعها ويشرف عليها، وعضو في لجنة زكاة المخيم، وعضو اللجنة الشعبية للخدمات، وشارك في دورات عديدة في الصحافة والإعلام، والإسعاف الأولي ، ويجيد إلى جانب اللغة العربية اللغتين العبرية والانجليزية بشكل جيد .
- الشاعر الكبير سميح يوسف فرج: أستاذ وشاعر عريق معروف بشاعر المخيم والمقاومة يكتب الشعر بلغة

جماهيرية تنبض بالغضب والتمرد والعنفوان، وناشط في الساحة الثقافية الفلسطينية له العديد من الدواوين الشعرية، منها: عبائي موج البحر وقال (1981م) والمخيم أنشودة الإعصار (1985م) والمقتنع (1991م) واحتفال (1997م) وشتاء (1997م) والآن تماماً (2006م) ويفتش أيضاً عن جرعة ماء (2014م) وتقفل يدها ثانية (2024م) ورواية ساقية (2020م). ويعتبر فرج صاحب الحضور الشعري الشعوري الثقافي النضالي، ومن أشهر مقولاته: "ابتسامة طفل أقوى من حاملات الطائرات" ومقولة "إذا جفّ الماء، فاضرب يدك بالصخر" ومقولة "افتح للريح صدرك واخترنها، فقد تحتاجها في لحظة انكسار أو عطش".

وفي القرية الكثير من المبدعين والمتميزين مثل: السيد حمدي عودة رجل الأعمال المعروف على مستوى محافظة بيت لحم، والأستاذ سامي مروة، شغل منصب مدير التربية والتعليم في المحافظة، ورئيساً لبلدية الدوحة، والدكتور المرحوم خالد كنعان المحاضر الجامعي والمتميز في بحوثه في مجال تخصص الكيمياء، والدكتور المرحوم سعيد عياد مدير عام قسم تحرير الأخبار في هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطيني، ورئيس قسم اللغة العربية والإعلام في جامعة بيت لحم، ورجل الأعمال محمود عياد رئيس مجلس إدارة مستشفى الإمامة في بيت لحم، وعمر إبراهيم حرز الله بروفيسور في الرياضيات في الجامعة الهاشمية، وعبد الرحمن طه علان قاضي القضاة في الإمارات حيث يمثل الإمارات في المناسبات الدينية في الدول العربية

والإسلامية، ورمزي سعيان بروفيسور في هندسة الحاسوب في الجامعة الأردنية، وآخرون لا مجال لذكرهم.

لقد أردت من هذا المقال البحثي أن يساهم في حفظ الهوية والتاريخ والتراث الفلسطيني من الاندثار والضياع، وللتأكيد أنه جزء من الموروث التاريخي والتراثي والديمقراطي، لتبقى القرى والمدن في فلسطين المحتلة حاضرة ومنازة للأجيال الفلسطينية المتعاقبة في فلسطين والعالم أجمع، ولأبناء تلك القرى الذين جرى طردهم وتدمير قراهم في نكبة سنة 1948م، ونقض الرواية الصهيونية الكاذبة المزورة، وكذلك لتوثيق التاريخ المكتوب والشفوي لهذه القرى وسكانها، خاصة أنه لم يتبقَّ على قيد الحياة من الذين هجّروا، ومن ومواليد قبل ١٩٤٨م إلا القليل القليل، وأخيراً نقول: لا بدَّ وأن يتحقق أمر الله سبحانه وتعالى، وتعود حركة التاريخ لمجراها الطبيعي، ويعود الحق لأصحابه، ولا بدَّ وأن العودة لأراضينا وقرانا ومدننا قريبة جداً إن شاء الله تعالى، ولن يسمح العالم للصهاينة اليهود بإعادة تشكيل أنفسهم على أساس أن الأرض حق تاريخي لا يقبل القسمة، وأن إسرائيل استثناء فوق القانون، وأن الجماعة اليهودية مقدسة ومهددة دائماً، وتحتاج إلى حماية استباقية.

الهوامش

1. صحيفة هآرتس، الأربعاء 2022/10/12م.
2. مقابلة مع الحاج محمد مصطفى عمارنة (٧٨) سنة، تمت المقابلة في 2025/9/25م.
3. مقابلة مع الحاج داود علي فرج (٨٨) سنة، تمت المقابلة في 2025/09/19م.
4. عباس نمر ، لن ننسى قرى القدس المهجرة والمدمرة، ص65.

5. حسين روجي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص88.
6. عباس نمر ، لن ننسى قرى القدس المهجرة والمدمرة، ص65.
7. مقابلة مع محمد طه أبو عليا(٦١) سنة محافظ بيت لحم، تمت المقابلة في 2025/10/06م.
8. مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، <https://infowafa.ps>.
9. مقابلة مع الحاج داود علي فرج (٨٨) سنة، تمت المقابلة 2025/09/19م.
10. مقابلة مع محمد طه أبو عليا(٦١) سنة محافظ بيت لحم، تمت المقابلة في 2025/10/06م.
11. مقابلة مع الشيخ عبد المجيد عطا العمارنة (٦٧) سنة، مفتي بيت لحم، تمت المقابلة في 2025/10/08م.
12. مقابلة مع البروفيسور علي عبدالله علان (57) سنة، تمت المقابلة معه في عمان في 2026/2/9 م .
13. رأس أبو عمار/ <https://ar.wikipedia.org>، أمكن الرجوع إليه في 2025/10/12 م .
14. مقابلة مع الحاج محمد مصطفى عمارنة (٧٨) سنة، تمت المقابلة في 2025/09/25م.

القدس في عيون الشعراء

المقدمة

من واجب كل مسلم في العالم أن يقدّم وفق طاقته ما يستطيع لنصرة القدس وبيت المقدس؛ لرفع الظلم، ودحر الاحتلال الغاشم الظّالم عنها، فعزّة الإسلام والمسلمين وعظمتهم دائما تبدأ من فلسطين، وتحديدًا من القدس، فالقدس دليل شموخ الإسلام والمسلمين؛ لأنها القلب النّابض للأمة العربية والإسلامية، حيث يفوح منها عبق التّاريخ وأصالته، فلها مكانة دينية، وتاريخية، وجغرافية عظيمة، فهي منارة العلم، ومحطّ أنظار العالمين، وهي ليست كأيّ مدينة أو عاصمة، إنّها القدس عقيدة في القلوب، ونقش في الضمائر، ودم في العروق، فقلوب المسلمين في شتّى أنحاء العالم تهفو إليها، فهي المدينة التي تصدر عنها كلّ الخطوط التي ترسم المستقبل لفلسطين، ومنطقة الشرق الأوسط والعالم. فرأيت من واجبي أن أقدم شيئاً للقدس، وذلك بالكتابة عن القدس والأقصى في عيون الشعراء الفلسطينيين والعرب، وأرجو الله العليّ القدير أن يوفّقني في مقالتي هذا.

القدس لغة واصطلاحاً

القدس لغة: قدّس قدّسا: طهر، وقدّس الرّجل: زار بيت المقدس، وتقدّس: تطهّر، وتقدّس الله: فهو متقدّس، والقادس: السفينة العظيمة، والبيت الحرام. والقداسة: الطّهر والبركة، والقُدّوس: الطّاهر المنزّه عن التّقاض، وهو من صفات الله تعالى، والقدّس: البركة، والقدّس وروح القدّس: جبريل: أي روح الطّهر.⁽¹⁾

القدس اصطلاحاً: القدس عاصمة فلسطين، ومن أكبر مدنها مساحة وسكاناً، وأكثرها أهميّة دينيّة واقتصاديّة، وهي بيت

المقدس، وأولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، بناها أجدادنا اليبوسيون في الألف الخامس قبل الميلاد، وتقع ضمن سلسلة جبال الخليل، وتتوسط المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والطرف الشمالي للبحر الميت⁽²⁾.

القدس في الشعر الفلسطيني والعربي

كان الشعر -وما زال- من أوسع الأجناس الأدبية انتشاراً؛ لأنه يمثل أفضل وسيلة تعكس أحاسيس الشعراء، وأكثرها تأثيراً في أحاسيس الناس ومشاعرهم، فهو يحمل القدرة على أن يكون ردّاً أكثر تلقائية على الأحداث، وله صرخة قتال، وهو أكثر دعوة إلى الحرية. فمن خلال قراءتي وإطلاعي على الشعر الذي نظمته الشعراء العرب أنهم كانوا مولعين وعاشقين لهذه المدينة المقدسة بحضورها العقائدي، والتاريخي، والجغرافي، والتراثي، فكانت مثل الضمير الوطني في الشعر الفلسطيني والعربي، فبقاؤها بقاء الوطن، وزوالها أو احتلالها معناها الضياع؛ لهذا أطلق الشاعر عبد الرحيم محمود صرخته المبحوحة أمام الأمير سعود بن عبد العزيز خلال استقباله في الطريق إلى بيت المقدس بتاريخ 1935/8/14م، حيث قال:

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر

ضُمت على الشكوى المريرة أضلعه

المسجد الأقصى أجنت تزوره

أم جئت من قبل الضياع تودّعه؟

وفي مقام آخر يتأكّد معنى الضياع بمزيد من الإلحاح على وجدان الشاعر، فهو خائف من هذا المصير أن تصير فلسطين أندلس جديدة، يحنّ الناس لزيارة مساجدها كما حنّوا من قبل:

قد خرجنا أمس من أندلس

ودخلنا بعد في نيران حسرة

وإذ نحن خرجنا من غد

هل يحنّ الناس للأقصى بزّورة؟ (3)

ويرى إبراهيم طوقان في التّطاحن الحزبي المتفشّي في
عاصمة فلسطين القدس سببا في جلب الدّمار على البلاد،
ويطلب إلى زعماء هذه الأحزاب وقف هذه المهازل؛ لأنّها
تضيّع القضية الفلسطينيّة كلّها، فيقول في قصيدته التي بعنوان
(القدس):

دار الزّعامة والأحزاب كان لنا

قضيّة فيك ضيّعنا أمانها

قضيّة نبذوها بعدما قُتلت

ما ضرّ لو فتحوا قبرا يواربها (4)

أمّا محمود درويش فإنّ القدس عنده قضيّة أكبر من المكان
الذي يحتويها، وأوسع من الجغرافيا التي تحدّها، فهي تحضر
في ذهنه بشكل أسطوريّ، وتاريخيّ، ووطنيّ، وشعريّ،
وسياسيّ، وتلخّ على ضميره بحيث تتحوّل إلى همّ يؤرّقه
ويقلّقه:

لماذا القدس الآن؟

لأنّ الذين يبحثون عن الطّفّل اللّيلة لن يجدوه في المغارة

قرب بيت لحم

ولأنّ المغارة محاصرة بالبنادق

وهو في القدس أوضح

وهي فيه تُدبح

في هذه القصيدة الدّرويشية نرى أنّ رتابة النّظم قد
تحطّمت، وأنّ الكلمات أُحيلت إلى جسور تُلغي ما بين النثر
والشّعر، فقد عجزت القصيدة عند درويش أن تستوعب همّه
الثّقيل، وحمله الذي يؤرّقه، فجاءت القصيدة حوارا بين الشاعر

والشاعر، بين القدس والقدس، بين الرّفض والرّفض، بين
الواقع المرئيّ الموجود والأمنيّ المتخيّلة المرجّوة.⁽⁵⁾

ونجد أنّ للقدس ظهوراً آخر في الشّعر الفلسطينيّ، يتّسع
لكلّ الهموم الوطنيّة والسياسيّة والقوميّة، فهذا الشّاعر جمال
سلسع يوبّخ الأثرياء الذين يضيّعون أموالهم وأوقاتهم وجهودهم
في الشّرق والغرب بينما القدس سبيّة مغتصبة محتلة:
أيّ دنيا أنت يا عرب
تبيع القدس والأقصى
وتلهو في ملاهي الشّرق والغرب؟

ويرى الشّاعر جمال قعوار أنّ القدس تحمل معنى الوطن
الكامل، وتمثّل رمزا لفلسطين، ويربط عودتها بفعل بطوليّ،
فيقول:

ورجال نذروا أرواحهم
ووفوا بالعهد لما نذروا
عقدوا العزم على أن يستشهدوا
في سبيل القدس أو ينتصروا⁽⁶⁾

والشّاعر عليّ الخليليّ يرى أنّ أسوار القدس قد انبثقت من
حجارة الأطفال، وما كان هذا المعنى يظهر بهذه الصّورة لولا
انتفاضة الحجارة سنة (1987م) فيقول:
وتدفق من كفّك خارطة فلسطين
ومن حجرك أسوار القدس
ومن عينيك قنديل العالم⁽⁷⁾

والشّاعر مصطفى مراد يتحدّى الاحتلال، ويقول أنّ القدس
ستظلّ الأبيّة العصيّة التي لن يُفلح المحتلّ معها، مهما تجبر،
وبطش، ودمر:
هل أدرك المحتلّ أنّني
لست بحرا لعصاه

وَأَنَّ الْقُدُسَ لَنْ تَمْشِيَ
مِثْلَمَا شَاءَتْ يَدَاهُ (8)

أَمَّا الشَّاعِرُ مُوسَى حَدَّادٌ، فَيَرَى الْقُدُسَ مُسَبِّحَةً ضَائِعَةً، وَيَرَى
نَفْسَهُ تَائِهًا، غَرِيبًا، وَحِيدًا فِي طَرَقَاتِهَا، وَعِنْدَمَا يَسْقُطُ عَلَى
تَرَابِهَا، يَسْجُدُ مَقْبَلًا هَذَا التَّرَابِ:

وَأَنَا وَحْدِي
أَتَرْتَحُّ فِي طَرَقَاتِ الْقُدُسِ الْمُسَبِّحَةِ
أَسْقُطُ، أَسْجُدُ
أَحْتَضِنُ الْأَرْضَ أَقْبِلُهَا
مَا أَقْدَسُ تَرَبَةً تِلْكَ الْأَرْضُ (9)

وَالشَّاعِرَةُ نَجْلَاءُ شَهْوَانٍ تَرَى أَنَّ الْمَوْتَ يَكُونُ جَمِيلًا عَلَى
ثَرَى الْقُدُسِ، فَتَقُولُ:

لِلصَّخْرَةِ نُورٌ مِنْ كَبْدِي
مَا أَوْسَعَ صَدْرُكَ يَا قُدُسُ
مَا أَحْلَى مَوْتِي فِي بِلَدِي

وَالشَّاعِرُ عَطَا اللَّهَ قَطُوشَ، يَرَى فِي الْقُدُسِ كَثِيرًا مِمَّا يَعْجِزُ
الْبَشَرَ عَنْ رُؤْيَيْهِ، فَالْأَقْصَى عِنْدَهُ هُوَ أَقْرَبُ مَكَانٍ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ
الْمَهْجَةُ وَالسَّمَاءُ:

الْأَقْصَى مَهْجَتُكَ سَمَاوُكَ
يَا بَنَ الْقُدُسِ الشَّهْمُ الشَّهْمُ الشَّهْمُ
قَاتِلْ كَيْ تَسْقُطَ أَصْنَامُ
قَاتِلْ كَيْ تَسْقُطَ أَرْلَامُ

وَالشَّاعِرُ أَحْمَدُ عَمْرٌ، أَكْثَرَ مِنْ تَكَرُّارِ اسْمِ الْقُدُسِ وَمَعَالِمِهَا
خَاصَّةً الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَهُوَ يُؤرِّخُ لِبَعْضِ الْحَوَادِثِ فِي
الْمَدِينَةِ، فَعِنَ حَرْقِ الْأَقْصَى (1969/8/21م) يَقُولُ:

حرقوا الأقصى
وقالوا للعالم، روهان
مجنون قد فقد الإحساس
فإذا قتلوا طفلاً في القدس
فإنّ الفاعل مجنون (10)

ويقول الشّاعر رشاد يوسف في قصيدته (صرخة مسلم):
أنقول: هامات المآذن أصبحت
في القدس تدميها يد الغوغاء؟

والشّاعر محمّد صان الدّين في قصيدته التي بعنوان (مسرى
النّبيّ):
والقدس ما القدس إنّ البدر محتجب
واحزن روعي له واحرّ قلباه

ويقول الشّاعر مصطفى درويش في قصيدة نظمها بعنوان (يا
ليلة الإسرائ):
ومآذن القدس استفاض نداؤها
في روح كلّ موحدّ وانداحا

كذلك الشّاعر محسن عبد المعطي في قصيدته (القدس) يقول:
القدس يا أبطال يا عرب بالجرح والاحزان تلتهب

ويقول الشّاعر عبد الغنيّ الحّدّاد في قصيدته (يا قدس):
آه يا قدس والأذان سجين يتتّرى ويخفق التّهلّيل

والشّاعر يوسف العظم في مطوّله (يا قدس) يقول:
يا قدس يا محراب يا مسجد يا درّة الأكوان يا فرقد (11)

والشاعر تميم البرغوثي يقول في القدس:
مررنا على دار الحبيب فردنا
عن الدار قانون الأعادي وسورها
فقلت لنفسي ربّما هي نعمة
فماذا ترى في القدس حين تزورها؟

ورائعة نزار قبّاني في القدس، إذ يقول فيها:
يا قدس يا مدينة تفوح أنبياء
يا أقصر الدروب بين الأرض والسّماء
وما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي في القدس:
فلقد طال على القلب النوى
وهوى الأشواق بيت المقدس

والقصيدة المشهورة عن القدس للأخوين رحباني، والتي غنّتها
فيروز، ومنها:
لأجلك يا مدينة الصّلاة أصلّي
لأجلك يا بهيّة المساكن يا زهرة المدائن

والشاعر عيسى العزّة نظم عدة قصائد في القدس، منها قصيدة
(القدس بانتظار) وقصيدة بعنوان (نشيد الصمود) يقول فيها:
أحمل الأقصى بيمناي وفي اليسرى القيامة
إنّها قدسي سأحميها ولا أخشى الملامة (12)

والشاعر أمان الله عايش في قصيدته (نداء الأحرار) يقول في
القدس:

أنا شاعر والقدس بيت قصيدتي
والقلب ينبض حبها أشعارا
والشرّ يأبى أن أكون مصالحا
والقدس تشكو عزلة وحصارا

وفي قصيدة (رسالة إلى القدس) يقول:

رغم الموانع والحواجز والسُدود
فلقد محوت عن الخريطة ما تَبَقَّى من حدود (13)

أما الشّاعر الروائيّ أيمن العتوم الذي سمّى ديوانه (خذني إلى
المسجد الأقصى) يقول في (نشيد فتيان الأقصى):

القدس أقدس من روح على جسد
فقلّ لقدسك: يا روعي ويا روعي (14)

والشّاعر هارون هاشم رشيد له ديوان بعنوان (أحبك يا
قدس) نظم فيه أكثر من سبع قصائد عن القدس، وأكثر من أربع
قصائد في ديوان (ما يجب أن يُقال)، ومما قاله في قصيدته
(المدينة الحزينة):

وقفت في أبوابها
بكيت في أعتابها
سجدت في محرابها
مدينة القدس التي
تضجُّ من عذابها

وقال في قصيدته (صرخة الأقصى):

المسجد الأقصى يُباح ويُهم
والعالم العربيُّ غاف يحلم (15)

وكثير من الشعراء الفلسطينيين والعرب كتبوا في القدس
غير الشعراء الذين تطرّقت لهم في هذا البحث، حيث لا يتسع
المجال للكتابة عنهم، ومنهم الشعراء: محمّد شريم، وزهدي
حنتولي، وعمر أبو ريشة، وعلي محمود طه، وأسامة سليم،
وعبد العزيز جويذة، وراشد حسني، وفتح الله السلوادي،
ويوسف الخطيب، وسميح القاسم، وراشد حسين، وأحمد
دحبور، وعز الدين المناصرة، وخالد أبو خالد، وعبد اللطيف

عقل، وأحمد مطر، وفوزي البكري، والمتوكل طه، وماجد الدجاني، وفاروق مواسي، ورفعت زيتون، ومظفر التّواب، وإيليا أبو ماضي، وزاهر الألمعي، ومحمد سليمان الأحمد الملقّب ببديوي الجبل، وخليل حاوي، وغيرهم.

موضوعات الشّعر الّذي قيل في القدس، وسماته:

شعر القدس شعر يصوّر ويجسّد المآسي الّتي أصابت القدس، خاصة المسجد الأقصى من سنة 1967م حتى يومنا هذا، ويتحدّث عن نحيب الأقصى، واستنّاج مآذنه، مشيراً إلى كون القدس القبلّة الأولى للمسلمين، ومسرى الرسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وثاني المسجدين بناءً، وثالث الحرمين طُهرًا ومكانة وبركة، وتناول المعراج حيث رأى عليه الصّلاة والسّلام من آيات الله سبحانه وتعالى ما يفوق الخيال والتّصوّر، وكيف أنّ القدس بدر محتجب يُحزن الرّوح، ويُفعم القلب مرارة، ويتساءل الشّعر عن سبب سكوت العرب ورضاهم بالذلّ والهوان، وتقبّلهم ببقاء الأقصى محتلاً وأسيراً مغتصباً من الصّهاينة، كذلك تحدّث هذا اللّون من الشّعر عن فرقة العرب والمسلمين الّتي تسبّبت في بقاء القدس وفلسطين تحت الاحتلال، وتطرّق إلى القتل والتّدمير وتدنيس الأقداس، وتضمّن هذا الشّعر معاني رائعة تراوح بين ذكر الأحداث في القدس، وبين الّلّهفة على الأقصى، والإصرار على تحريره، واستخدم الشّعراء كثيراً من الوسائل البلاغية من تصوير ومعان وبديع، وتآزرت كلّها في البيان عن قضيّة القدس، وبثت الاحاسيس والمشاعر في أحجارها وأراضيها، وجسّدت المعاني العقليّة في صور حسيّة، وبعض الشّعراء صوّروا القدس كيف وأنّها ستتحوّل نارا يكون الأعداء حطبها، في تشبيهات رائعة، فالقدس كالنّار لها جوف يلتهم الأعداء الّذين هم كالحطب، وأحجار القدس بشر ثائر يحذوه الغضب، فيقول الشّاعر محسن عبد المعطي عبد ربّه:

القدس نار ما لها مثل وعاداتها في جوفها الحطب
وقضية الأحرار ملحمة لا تنتهي والحق يُغتصب (16)

لاحظوا كيف يتخيل الشاعر أنَّ الشيطان وأتباعه وهم الاحتلال قد اندحروا مهزومين مقهورين، وأن جنود الحق والإيمان قد حرّروا القدس، والقتال مستمرّ ما دام الاحتلال جاثما على الأرض والشعب، كذلك نرى في شعر القدس أنَّ الشعراء ينادون على صلاح الدين، وعمر بن الخطاب؛ لنجدة القدس ونصرتها وتحريرها، ويشيرون إلى مظاهر كثيرة من إجراءات العدو الصهيونيّ ضدّ القدس وسكانها وشعب فلسطين، منها: منع دخولهم إلى الأقصى، وتقييد حرّية العبادة، ومنع الأذان، وهدم البيوت، ومصادرة العقارات والأراضي، والقتل، والحصار، واقتحامات المستوطنين الصّهاينة المتطرّفين المتكرّرة للمسجد الأقصى وساحاته..

صوّر الشعراء القدس أنّها المنبر، والمحراب، والنور، والإيمان، والعنبر، وكل شيء جميل ومقدّس، ووثّقوا أحداث القدس، وجرائم الاحتلال وبطشه، كحرق الأقصى، والمجازر المتعدّدة التي ارتكبها الاحتلال في الأقصى، فالشّعراء انطلقوا في قصائدهم عن القدس من دوافع دينيّة ووطنية وقوميّة وحضاريّة، ولاموا الأُمّة الإسلاميّة جميعها على تقصيرها تجاه القدس. نسأل الله عزّ وجلّ أن يعيننا على تحرير القدس والأقصى وسائر مدن وقرى وأراضي فلسطين قريبا جدا إن شاء الله.

الهوامش

- (1) المعجم الوسيط، مادةً قدس، ص719.
- (2) مدينة القدس وقراها المنهوبة والمدمرة عام 1948م، رشاد أبو جودة، ص5- ص8.
- (3) ديوان عبد الرحيم محمود، تحقيق حنا أبو حنا، قصيدة نجم السعود، ص80.
- (4) ديوان إبراهيم طوقان، قصيدة القدس، ص83.
- (5) القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية، القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر، د. عبد الرحمن عبّاد، ص458.
- (6) المرجع السابق نفسه، ص460.
- (7) قصيدة خذ قلبي حجراً، مجلة الأسوار، عكا، ص168.
- (8) القدس دراسات فلسطينية إسلامية مسيحية، مرجع سابق، ص466.
- (9) ديوان ترانيم للزنايق الفلسطينية، موسى حدّاد، ص53.
- (10) ديوان جمرات تحت الرماد، أحمد عمر، ص70.
- (11) مجلة الأزهر، ملف خاص عن القدس، القدس في أعين الشعراء في مجلة الأزهر، 2018م ص829 - ص835.
- (12) ديوان تعلم كيف تنتصر، عيسى العزة، ص53.
- (13) ديوان ركب العاشقين، أمان الله عايش، ص26، وديوان لغة اللغات، ص48.
- (14) ديوان خذني إلى المسجد الأقصى، أيمن العتوم، ص6.
- (15) ديوان هارون هاشم رشيد، ص197 و ص37.
- (16) مجلة الأزهر، مرجع سابق، ص832_ ص833.

القدس والأقصى في منهاج اللغة العربية الفلسطيني

مقدمة

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الحمد لله الذي بارك الأقصى وما حوله، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الذي أسري به إلى المسجد الأقصى، ومنه عرج إلى السماوات العلى، وعلى آله وصحبه، ومن تبعه، واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد.

عند الحديث عن القدس والأقصى لا بد من ولوج أبواب متعددة، والخوض في مضامين شتى، وموضوعات متنوعة. إنها القدس التي تعجز الموسوعات عن الإحاطة بها، والكلام عنها، فهي مدينة الإسلام، والسلام والعروبة، وبوابة السماء، والمحبة، والإخاء، ومركز الإشعاع الروحي للدين الإسلامي، والتي ارتبطت بالمسجد الأقصى المبارك الذي وضعه الله تعالى في الأرض بعد أربعين سنة من وضع المسجد الحرام.

القدس مدينة ضاربة في أعماق التاريخ، بناها أجدادنا البيوسيون، واحتلها أقوام، وجماعات عبر تاريخ طويل، يمتد إلى أكثر من (5000) سنة منذ بناها العرب البيوسيون، وآخر احتلال لها، والذي سيزول قريباً بإذن الله تعالى ومشيتته، هو الاحتلال الصهيوني، والذي كان على مرحلتين: سنة 1948م حيث تم احتلال ما يعرف بالقدس الغربية، وسنة 1967م احتل ما يعرف بالقدس الشرقية، حيث المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة.

ولأهمية القدس، اعتبرت الدول الاستعمارية أن القدس هي رمز الإسلام، والعروبة، وأنها القلب النابض للأمة، فلا بد من وضع الخطط، لتقليل نبضات القلب رويدا رويدا، حتى يتوقف هذا القلب، لهذا تم زراعة الكيان الصهيوني في فلسطين، وكان هذا التخطيط الأوروبي الغربي سنة 1905م، بتشكيل جبهة متقدمة في فلسطين تحمي الوجود الأوروبي الغربي، وهذا ما أكدته ننتياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني المحتل في العدوان الأخير على الشعب الفلسطيني خاصة على قطاع غزة (أيار/ 2021)، عندما قال موجها خطابه لأوروبا عليكم حمايتنا والوقوف إلى جانبنا؛ لأننا خط الدفاع المتقدم لكم، يقصد بذلك مشروعهم الاستعماري الغربي لتفتيت شعوب المنطقة العربية والإسلامية والسيطرة عليها، ونشر الفتنة فيما بينها.

في مقالي هذا سأتناول واقع المدينة المقدسة والمسجد الأقصى، وحضورهما في منهاج اللغة العربية الفلسطيني من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر.

منهاج اللغة العربية الفلسطيني

يتفق الجميع في أن المناهج الدراسية الفلسطينية تعكس حالة المجتمع، وصورته، وثقافته، وحاجاته، وتطلعاته الأنبية والمستقبلية، ويعبر بما تحويه من قيم، واتجاهات، ومفاهيم عن رؤية الدولة الفلسطينية في القضايا الأساسية والمصيرية للشعب العربي الفلسطيني، وعلى رأس هذه القضايا: القدس عاصمة الدولة الفلسطينية.

المنهج في اللغة: الطريق الواضح، والخطة المرسومة.

ويعرف المنهج اصطلاحاً: مجموعة الخبرات المخططة التي تهيئها المدرسة، وتقدمها إلى الطلبة، سواء أكان ذلك في داخل المدرسة أم في خارجها؛ لغرض تحقيق النمو الشامل لشخصية المتعلم في المجال العقلي، والجسمي، والوجداني، وبناء تلك الشخصية بموجب أهداف تربوية محددة، وخطة علمية تؤدي إلى تعديل سلوك المتعلم. والكتاب المدرسي الذي يعد وسيلة لتنفيذ المنهج يعرف: بأنه الوعاء الذي يحتوي على الخبرات غير المباشرة التي تسهم في جعل المتعلم قادراً على بلوغ أهداف المنهج المحدد سلفاً.

من أهداف تدريس اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة القرآن الذي حفظها من الاندثار والتشردم، قال تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (الحجر : 9)، فهي الوعاء الحافظ للمعارف والعلوم التي تحمل كل النواتج الذهنية، والعقلية الصادرة عن الفكر، وهي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع، ووعاء ثقافته، وبها يحقق الفلسطيني كل أسباب التفاعل النشط، والانسجام التام في المجتمع. لهذا فللغة العربية أهمية كبيرة في الحفاظ على هويتنا الفلسطينية العربية، وثقافتنا، وتراثنا الفلسطيني العربي الإسلامي.

ومن أهداف تدريس اللغة العربية لطلبتنا إلى جانب الأهداف اللغوية:

- تأصيل أسس العقيدة الإسلامية السمحة.
- ترسيخ المثل العليا، والمبادئ الفكرية، والروحية، والوطنية في نفوس الطلاب.

- تعزيز الانتماء للوطن، والمحافظة على هويته وثقافته.
- تنمية حب الأماكن الدينية والتاريخية والتراثية في الوطن.

مهارات اللغة العربية

للغة العربية أربع مهارات رئيسة، وهي الاستماع، والقراءة، والتحدث، والكتابة. ويتفرع من هذه المهارات الرئيسية مهارات فرعية كثيرة تتضمنها الكتب الدراسية في اللغة العربية من الصف الأول حتى الثاني عشر حسب الصفوف والمستويات، ويتم عرض هذه المهارات بنوعيتها الرئيسية والفرعية في الكتب: كالقراءة الجهرية، والقراءة الصامتة، وقراءة الاستماع، والخط، والإملاء، والنحو، والصرف، والتعبير الكتابي، والتعبير الشفوي، والأدب، والبلاغة، والنقد.

القدس والأقصى في الكتب الدراسية في المنهج الفلسطيني للغة العربية

قمت بإجراء دراسة مسحية على كتب اللغة العربية جميعها، من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر، والتي أعدتها وزارة التربية والتعليم الفلسطينية، والبالغ عددها (25) كتاباً مدرسياً وتحتوي على (3285) صفحة، وتشتمل على جميع مهارات اللغة العربية المعروفة، بهدف البحث عن حضور مدينة القدس والمسجد الأقصى في هذه الكتب الدراسية، وآثرت أن أحصي عدد مرات ذكرها، كذلك الصيغة أو الهيئة التي جاءت عليها.

كتب الصفوف من الأول حتى الثالث

ورد في كتاب الصف الأول الجزء الأول، نشيد (نغني) صفحة (89) في مطلع النشيد:
والقدس نحميها بالعين والهمم

وكتاب الجزء الثاني لم أجد فيه ما يشير إلى مدينة القدس، كذلك الصف الثاني لا ذكر للقدس في كتاب الجزء الأول. أما كتاب الجزء الثاني في درس قراءة الاستماع (زيارة إلى مدينة القدس) وفي درس الإملاء المنظور صفحة (31) جملة: "سكن كريم في بيت قديم في القدس" وفي درس التدريبات اللغوية صفحة (58) جملة: "هو زار مدينة القدس، وهي زارت مدينة القدس" وجملة "صلى هشام في المسجد الأقصى" وفي أنشودة (لن نرحل) صفحة (32): "أكرم جاري، أحرس قدسي". أما كتاب الجزء الأول للصف الثالث، في مهارة الخط صفحة (122) "من مدن فلسطين، القدس" وفي الإملاء صفحة (52): هتف الأولاد: "القدس لنا" وفي كتاب الجزء الثاني في التدريبات اللغوية: "القدس التي بارك الله فيها عاصمة فلسطين" صفحة (72).

كتب الصفوف من الرابع حتى السادس

كتاب الصف الرابع، الجزء الأول: درس "جولة في مدينة القدس" صفحة (46)، ذكرت القدس والمسجد الأقصى ثلاث عشرة مرة في الدرس، وقصيدة "أجل إني من القدس" للشاعر هارون هاشم رشيد صفحة (54)، وفي قراءة الاستماع "خذني إلى القدس العتيقة" ذكرت فيه الأماكن المقدسة، مثل: المسجد

الأقصى، وقبة الصخرة، وكنيسة القيامة. وفي الجزء الثاني إشارة إلى القدس في أنشودة "صباح الخير يا وطننا" (في كتاب الله ذكرك آية تتلى. وأنت الخير يا بلدي) صفحة (114)، وفي درس الإملاء جملة "ما عاصمة دولة فلسطين؟" صفحة (134) وفي التدريبات اللغوية، جملة "القدس عاصمة فلسطين" صفحة (152).

الصف الخامس، الجزء الأول: وردت جملة: "ولم يترك فلسطين إلا بعد أن زار القدس، وصلى في المسجد الأقصى، وفي مسجد عمر بن الخطاب" في درس القواعد اللغوية صفحة (18) وفي الإملاء وردت جملة "بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة" صفحة (38)، وجملة: "القدس زهرة المدائن، وعاصمتنا الأبدية" في الإملاء صفحة (77).

وفي كتاب الخامس، الجزء الثاني: في درس القواعد صفحة (79) "القدس محتلة" كذلك جملة "ساحات المسجد الأقصى فسيحة" في الصفحة نفسها، وفي قراءة الاستماع صفحة (9) حول قرية دير ياسين، ذكرت مدينة القدس في الدرس مرة واحدة.

كتاب الصف السادس، الجزء الأول: في الإملاء صفحة (14) جملة: "أنا أربط في المسجد الأقصى" وفي القواعد صفحة (91): جملة: "القدس والخليل مدينتان فلسطينيتان" وجملة: "ترغب أختي في دراسة الطب في القدس والقاهرة".

وفي كتاب السادس، الجزء الثاني: في نفرق في المعنى صفحة (8) جملة: "فتهدى له -المسجد الأقصى- زيتا يسرج

فيه" وفي القواعد صفحة (23) جملة: "دافع الفلسطينيون عن المسجد الأقصى" وجملة: "القدس عاصمة فلسطين" وفي الإملاء صفحة (85) جملة: "القدس مدينة عريقة، وهي بوابة السماء، وعاصمة فلسطين الأبدية" وفي درس القراءة صفحة (90): "أنها مدينة القيروان التونسية التي أطلق عليها رابعة الثلاث بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس".

كتب الصفوف من السابع حتى التاسع

كتاب الصف السابع، الجزء الأول: في درس (فلسطين قلب الأمة) ذكرت مدينة القدس والأقصى (11) مرة، الصفحات (13-16) كذلك ورد في الدرس الآية الأولى من سورة الإسراء التي فيها ذكر صريح للمسجد الأقصى: قال تعالى: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] (الإسراء:1) في القواعد صفحة (19) جملة: "بين أزقة القدس مشى المسيح عيسى عليه السلام" وجملة: "إن القدس في خطر" وفي الحديث عن حياة الأديب الفلسطيني خليل السكاكيني أشير إلى مدينة القدس صفحة (35)، كذلك في الحديث عن حياة الشاعر الفلسطيني جميل الوجيهي ذكرت مدينة القدس صفحة (67).

في كتاب الجزء الثاني: في درس القواعد صفحة (11) "القدس عاصمة فلسطين" وفي التعبير صفحة (15) "يوم في المسجد الأقصى" وفي درس القراءة "من ذاكرة التاريخ، عمواس، ويالو، وبيت نوبا" تمت الإشارة إلى هذه القرى الثلاث أنها تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس" صفحة

(17) حيث ورد ذكر مدينة القدس بشكل صريح (5) مرات، وفي درس القواعد صور الخبر صفحة (21) جملة "القدس في أنفاس كل فلسطيني" وجملة "الأقصى ساحاته واسعة"، وفي درس الأفعال الناسخة صفحة (32) جملة "القدس زهرة المدائن" وجملة "كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى" صفحة (33)، وفي درس إن وأخواتها جملة: "إن مدينة القدس مباركة؛ بسبب مكانتها الدينية والتاريخية" صفحة (56)، كذلك صفحة (71) في القواعد جملة: "الاحتلال يمنع الصلاة، لكن القدس صامدة"، وجملة: "لعل القدس محررة"، وجملة: "القدس عريقة فيها عدد من الأماكن الدينية" صفحة (95)، وجملة: "أحرق الصهاينة المسجد الأقصى سنة 1969م" صفحة (96). وفي درس القواعد صفحة (107): "المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى" وفي قصيدة (صوني دموعك) للشهيد البطل عبد القادر الحسيني صفحة (117) تمت الإشارة إلى إن مدينة القدس مدينة الشاعر الشهيد الذي استشهد في معركة القسطل سنة 1948م، وفي درس القواعد صفحة (120)، جملة: "القدس لنا"، وجملة: "المسجد الأقصى مسرى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام". ولكن ما لفت انتباهي في هذا الجزء من الكتاب الطبعة الأخيرة سنة (2020) هو إسقاط بيت الشعر (أتت نوافذ القدس) من قصيدة (تقدموا) لسميح القاسم صفحة (68) على الرغم من وجوده في الطبعات السابقة.

كتاب الصف الثامن، الجزء الأول: في القواعد صفحة (27) جملة: "صلى الطفل في المسجد الأقصى" وفي درس القراءة صفحة (47) "رسالة من طفلة فلسطينية إلى أطفال العالم" الطفلة من القدس الشريف عاصمة الحلم الفلسطيني، كذلك في

قصيدة رائعة جدا للشاعر السوري نزار قباني صفحة (51) بعنوان (يا قدس) عبر فيها عن معاناة القدس الشريف، وأهلها، ومساجدها وكنائسها. وفي درس القواعد صفحة (56) جملة "كتببت: أحب القدس فوق جدار القمر" وفي درس قواعد آخر صفحة (67) جملة: "ستعاد القدس إلى سيادة أبنائها".

كتاب الجزء الثاني، في درس القواعد صفحة (12) جملة: "يا قدس، هل تقبلين الغرباء؟ وفي الإملاء صفحة (17) جملة "يدعو الأقصى المسلمين إلى تحريره" وجملة "تهفو قلوب الفلسطينيين إلى القدس" وفي درس القواعد صفحة (82) جملة "ما زالت القدس شاهدة على صمود أبناء فلسطين. وفي درس الإملاء صفحة (87) جملة "يا رب اسق القدس من فيض رحمتك".

كتاب الصف التاسع، الجزء الأول : في قصيدة تغريبة المطر صفحة (54) للشاعرة السودانية روضة الحاج: " تطلب ختم أن تمضي إلى الأقصى، فتغسل عنه أدران الحياة" وفي درس البلاغة صفحة (86) جملة " اللهم احفظ القدس وفلسطين من تهديد المحتلين" وجملة "تفوح من جنبات الأقصى، ومدينة القدس رائحة التاريخ" صفحة (84).

وفي كتاب الجزء الثاني: صورة للمسجد الأقصى وقبة الصخرة تزين الدرس الأول (أحاديث نبوية شريفة) صفحة (3)، كذلك في درس القواعد صفحة (30) جملة "انطلقت الحافلة إلى القدس صباح الجمعة" وفي درس قواعد آخر صفحة (38) جملة "صليت في الأقصى، وركعت لله أربع ركعات" و صفحة (105) جملة "المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثاني

المسجدين، وثالث الحرمين" وسؤال للمناقشة صفحة (117)
"حرر صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى من دنس
الصليبيين عام (586 هجري)، وما زال الأقصى يستصرخ
صلاحاً آخر ليحرره من الصهاينة، نناقش ذلك، وفي درس
التعبير صفحة (121) نموذج بطاقة الهوية مكتوب فيها، مكان
الميلاد: القدس.

كتب الصفوف من العاشر حتى الثاني عشر

كتاب الصف العاشر، الجزء الأول : درس المطالعة صفحة
(117) مقال للشيخ عمار بدوي مفتي محافظة طولكرم بعنوان
"القدس روح فلسطين" وقصيدة (مرثية بيت المقدس) للشاعر
أبو المظفر الأبيوردي صفحة (24) وفي درس القواعد صفحة
(26) جملة "ضخ الأبرار تراب القدس الطهور بدمائهم
الزكية، وهم منافحون عنها الغزاة العابرين" وجملة "عاش في
القدس المسلمون والمسيحيون وهم متحابون" وفي درس التعبير
صفحة (34): "نكتب مقالة أدبية بعنوان" القدس: مكانتها
التاريخية والدينية في وجدان الأمة "وجملة في التفريق في
المعنى صفحة (72) "وضعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر
المسجد الأقصى على جدول الأعمال" وفي درس صلاح الدين
الأيوبي من (ص83-ص89) تم ذكر القدس والإشارة إليها عدة
مرات، ومنها ما قاله ابن الساعاتي:

تهز معاطف القدس ابتهاجاً وترضى عنك مكة والحجونا
فقلب القدس مسرور ولولا سطاك لكان مكتئباً حزيناً

وفي صفحة (101) في الفهم والتحليل واللغة، جملة " للقدس
في قلوب أبنائها مكانة عظيمة" كتاب الجزء الثاني: في درس
الخبر والإنشاء صفحة (15) جملة "عاش المسلمون
والمسيحيون في القدس متحابين متعاونين" وفي التقديم لقصيدة

(دير ياسين) للشاعر الجزائري عبد الرحمن الزناقي تم ذكر مدينة القدس على اعتبار أن قرية دير ياسين تقع غرب مدينة القدس، وفي القواعد صفحة (72) جملة " يعد صلاح الدين القائد الأعظم الذي حرر بيت المقدس من براثن الاحتلال الصليبي" وفي العروض صفحة (97) تقطيع بيت الشعر :
قسم يا قدس أردده ودم الشهداء يؤكد

وفي تدريبات عامة في البلاغة (109) جملة " القدس مهوى قلوبنا" وفي القواعد صفحة (125) جملة " قضية المسجد الأقصى قضية المسلمين جميعاً" وفي التقديم لهند طاهر الحسيني في الدرس التاسع صفحة (128): ما زالت تؤدي دورها الريادي في قلب القدس الشريف" وذكرت مدينة القدس (8) مرات من (ص129 إلى ص133) في الدرس. وسؤال على قصيدة (إنسان فلسطين) للشاعر يوسف الخطيب صفحة (138) " لماذا رفضت القدس التهود؟ " .

كتاب الصف الحادي عشر، الجزء الأول: في القواعد في درس التوكيد صفحة (25) جملة " القدس قبلة المسلمين الأولى، القدس قبلة المسلمين الأولى" وفي درس القراءة من صفحة (32-35) من رحلة ابن بطوطة تم ذكر القدس والمسجد الأقصى وقبة الصخرة (7) مرات، وفي القواعد صفحة (36) جملة "إن الأمير تنكيز هو من جلب الماء إلى القدس": وجملة "زار ابن بطوطة" المدن الفلسطينية: غزة، والخليل، وبيت لحم، والقدس، واللد" صفحة (37) وجملة: زار ابن بطوطة المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، صفحة (39) وجملة "تهفو نفسي إلى التجوال في القدس حاراتها القديمة" صفحة (54) وفي درس القراءة (من سيرة جبرا) صفحة (64)

جملة "درس في مدارس القدس" وفي القواعد صفحة (48)
جملة "مر على احتلال مدينة القدس خمسون عاماً".

كتاب الجزء الثاني: في درس القواعد صفحة (39) جملة
"نحن- سكان القدس- نتضرع إلى الله صباح مساء" وفي درس
النص الشعري (خليل الرحمن) صفحة (58) للشاعر معتز
القطب: " ولد في مدينة القدس، ويعمل عميدا للبحث العلمي في
جامعة القدس" وتم ذكر القدس والمسجد الأقصى في قصيدة
(هذي البلاد لنا) صفحة (78) للشاعر سعيد أحمد يعقوب (6)
مرات، وفي التحليل والفهم والاستيعاب (6) مرات أخرى من
صفحة (80) الى صفحة (89)، وفي بين يدي النص صفحة
(77) كذلك. وفي الأدب والبلاغة: ذكرت القدس (3) مرات في
درس عصر الدول والإمارات صفحة (9) وفي التقويم صفحة
(10) سؤال " متى فتح صلاح الدين بيت المقدس؟" في عرض
المناسبة لقصيدة (من القصيدة الفتحية الناصرية للجليلاني)
صفحة (29) نسبة إلى الفتح القدسي. وفي البلاغة صفحة (45)
"بكيه حتى انتهت الدموع- صليت حتى ذابت الشموع- ركعت
حتى ملني الركوع- سالت عن محمد فيك وعن يسوع" وفي
ذلك إشارة إلى مدينة القدس، وفي درس بلاغة آخر " متى فتح
عمر بن الخطاب القدس ؟ ".

كتاب الصف الثاني عشر الجزء الأول : في القواعد صفحة
(73) جملة "ميعادنا القدس، عاصمة دولة فلسطين" وفي درس
القراءة صفحة (40-33) "القدس بوصلة ومجد"، ورد اسم
القدس (17) مرة، من مثل: " وتحتل القدس مكانة دينية كبيرة
في الوعي الفلسطيني" وجملة " تبقى القدس فردوس الأمة
المفقود" وفي القواعد أيضا صفحة (44) جملة " تأوي القدس

إلى كهف الوطن الحزين، وتصطحب معها فتيتها" وجملة " كل مفردة خارج معجم القدس أعجمية لا متسع لها في الوعي" وفي درس التعبير صفحة (46) المطلوب كتابة مقالة بعنوان " القدس زهرة المدائن، وعاصمة فلسطين الأبدية" وفي درس القواعد صفحة (46) جملة " من حرر القدس من الصليبيين؟ ".

وفي كتاب الجزء الثاني: في البلاغة صفحة (86) قال الشاعر عمر أبو ريشة في القدس:
وقف التاريخ في محرابها وقفة المرتجف المضطرب

كذلك قال المتوكل طه واصفا القدس:

هنا القباب على الأفاق ساجدة يتبرها وهناك الموج والماس
هنا الشبابيك والحناء في يدها يضوع السهل من عكا لطوباس

تحليل وتعليق

أقدم شكري واعتزازي وتقديري للقائمين على إعداد المناهج الفلسطينية لجميع المواد خاصة اللغة العربية لجميع الصفوف، من مؤلفين، ومشاركين في ورشات العمل لإعداد الكتب المدرسية، وأخص تقديري للجنة الوثيقة الوطنية لمنهاج اللغة العربية، وعلى رأسهم البروفيسور حسن السلواي، والبروفيسور محمود أبو كتة، والبروفيسور أحمد الخطيب. حيث عمل الجميع على ترسيخ القيم ومضامين الهوية الوطنية الفلسطينية، وهذا يدل على أن العاملين على إعداد المناهج وتطويرها يتمتعون بالخبرة، والكفاءة العالية، والانتماء الصادق، والحس الوطني العميق، وتقدير حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وحرصهم على غرس بذور الانتماء للوطن

في الطفل الفلسطيني، واهتمامهم الكبير في المحافظة على الثوابت الفلسطينية، والتي في مقدمتها، وعلى رأسها القدس.

لقد اهتمت كتب اللغة العربية لجميع الصفوف بشكل عام على التأكيد أن القدس عربية فلسطينية، وأنها عاصمة فلسطين الأبدية، وتتربع في وجدان كل فلسطيني، وعربي، ومسلم، ومتجذرة في الفلسطينيين حتى النخاع، وكان الاهتمام بالمدينة من جميع الجوانب : الدينية، والتاريخية، والتراثية، والسياسية، وأشارت على أنها أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشريفين، وأنها محط أنظار الحجاج المسلمين والمسيحيين في العالم، وركزت الكتب على الفتح الإسلامي للمدينة على يد الخليفة عمر بن الخطاب، وعلى تحريرها من الصليبيين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي ، وأشارت الكتب كذلك الى دفاع الفلسطينيين والعرب عن عروبة القدس؛ لهذا فلا غرابة ان نجد ذكر القدس في الكتب الدراسية للغة العربية قد ورد أكثر من (200) مرة، في جميع مهارات اللغة العربية خاصة مهارة القواعد، لكن مما أثار دهشتي واستغرابي قلة ورود مدينة القدس أو ما يشير اليها في كتاب الصف الأول الأساسي إلى درجة العدم، فكان ينبغي مثلاً في درس نتعرف إلى الحرف (ق) ذكر مدينة القدس (قدس) القاف أول الكلمة، أو نتعرف إلى الحرف (س) السين في آخر كلمة (القدس) وذلك لترسيخ هذه المدينة في أذهان الطلاب الصغار. وكان ينبغي التركيز أكثر على معاناة الفلسطينيين في مدينة القدس، وحصارها، ومنع الفلسطينيين من سائر مدن فلسطين من الدخول إليها، للصلاة، والتسوق. ولاحظت أن الجمل والعبارات التي تناولت القدس والأقصى في معظمها مكررة إما في اللفظ، أو المعنى والمضمون، ولم تغط مساحة القدس التاريخية من خلال الحضارات التي تعاقبت عليها، إما محتلة، أو فاتحة محررة.

يمكننا القول أنه لم تحتل مدينة فلسطينية الأهمية التي احتلتها القدس في كتب اللغة العربية المدرسية كمدينة عربية إسلامية؛ مما يدل على أهميتها، ومركزيتها لدى الفلسطينيين، حيث لا يمكن للفلسطينيين أن يروا دولتهم بدون القدس عاصمة لهم، فهي رمز للسيادة والهوية، والشرعية كمدينة احتلت بالقوة، والإرهاب. وأشارت الكتب إلى محاولات التهويد التي تتعرض لها مدينة القدس بعد الاحتلال للقسم الشرقي منها سنة 1967م، وتناولت الكتب المخاطر المحدقة بالقدس، والجدار الذي يطوقها. والحواز التي تحد من حركتها، وأساليب الاحتلال، وممارسته التي تهدد طابعها الثقافي. لاحظت أن الكتب أهملت التطرق إلى اقتحامات الإرهابيين المستوطنين من الحركات الصهيونية المتطرفة المتكررة للمسجد الأقصى، وإغفال ذكر المرابطين حماة القدس وأقصاها الذين يدافعون بصدورهم العارية، خاصة المعلمة هنادي الحلواني. وشيوخ الأقصى وفرسانه أبطال معركة البوابات وقادتها الشيخ محمد حسين مفتي فلسطين، والشيخ عكرمة صبري، والشيخ عبد العظيم سلهب.

المراجع

1. المعجم الوسيط، مادة نهج، ص957.
2. تحليل محتوى اللغة العربية، أ.د. عبد الرحمن الهاشمي، ود. محسن عطية. ص31.
3. المنهج المدرسي في القرن الحادي والعشرين، أ.د. جودت سعادة، ود. عبد الله إبراهيم، ص351.
4. وزارة التربية والتعليم الفلسطينية (2020) كتب اللغة العربية للمصفوف (1-12) رام الله، فلسطين.

القدس في قلب كلّ مسلم

المقدمة

الحمد لله حمد الشّاكرين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد إمام الأوّلين والآخرين، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين، وعلى من استنّ بسنّته إلى يوم الدّين، وبعد؛

إنّها القدس الّتي لا تغيب عن عقل وقلب وضمير كلّ مسلم حرّ شريف، إنّها القدس الّتي أجاب عن سؤال عنها أحد الأطفال في مدرسة عربيّة عندما سأله أستاذه: ما أبعد عاصمة في العالم؟ فأجاب: القدس، فقال له أستاذه: لماذا؟ فقال: لأنّه منذ سنّين عاما والمسلمون يقولون إنّنا قادمون، ولم يصلوها بعد. القدس ليست كأى مدينة عاديّة، أو عاصمة، إنّها عقيدة في القلوب، ونقش في الضّمائر، ودم في العروق، إنّها أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين الشّرفين، المدينة العظيمة، والمنارة المضيئة، أرض الرّسالات، ومهبط الأنبياء، أرض الإسراء والمعراج، تغلّى بها الشّعراء، وكتب عنها المؤرّخون والعلماء والباحثون، وهي عقيدة لازمة لكلّ مسلم ومسلمة، يحبّها، ويحميها، ويدافع عنها، ويفديها، فمنها يفوح عبق التّاريخ وأصالتها، وهي منارة علم، ومحطّ أنظار العالمين.

وكون مدينة القدس في خطر شديد، والتّفريط فيها تفريط بالدين والعقيدة والتّاريخ والحضارة والوجود؛ لهذا على الأمة الإسلاميّة أن تستيقظ، وتنهض من كبوتها وغفوتها؛ لتعيد القدس

إلى سابق عهدها بعزة وكرامة. ومن هنا ارتأيت أن أقدم لها شيئاً من خلال هذا المقال، وأرجو الله التوفيق.

القدس لغة واصطلاحاً

القدس لغة : قُدُس قُدُسا: أي طهر، وقُدَّس الرجل: زار بيت المقدس، وتقدَّس: تطهَّر، وتقدَّس الله: فهو متقدَّس، والقادس: السفينة العظيمة، والبيت الحرام، والقداسة: الطَّهر والبركة، والقُدوس: الطَّاهر المنزَّه عن النَّقائص، وهو من صفات الله سبحانه وتعالى، والقُدُس: البركة، والقُدُس، وروح القدس: جبريل، أي روح الطَّهر.⁽¹⁾

القدس اصطلاحاً: عاصمة فلسطين، ومن اكبر مدنها التاريخية المحتلة مساحة وسكَّاناً، وأكثرها أهميَّة دينيًّا واقتصاديًّا، وهي بيت المقدس، والقدس الشريف، وأولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، بناها أجدادنا العرب اليبوسيون في الألف الخامسة قبل الميلاد، وتقع ضمن سلسلة جبال الخليل، وتتوسَّط المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط والطَّرف الشمالي للبحر الميت.⁽²⁾

القدس في التاريخ

يعود تاريخ القدس كما ذكرنا إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد عرفت باسم ييوس أو يابوس؛ وهي القبيلة العربيَّة التي سكنتها، وبنت هذه القبيلة قلعة حصينة على الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة عُرفت باسم حصن ييوس، ثم أُقيمت الأسوار حوله، ومعنى ييوس: الحصن، أو الجبل المتعرَّض للشمس.⁽³⁾ وفي هذه المدينة الكنعانيَّة المباركة ظهرت أوَّل جماعة اعتقدت

بالتوحيد برعاية ملكها وزعيمها (ملكي صادق) وأقدم اسم للمدينة عُرفت به هو (أور شالم) اسم كنعانيّ يعني الإله شالم، أي أله السلام لدى الكنعانيين.⁽⁴⁾ ولم يدخل سيّدنا داود عليه السلام القدس إلّا في حدود الألف قبل الميلاد، وهذا يعني أنّ العرب الكنعانيين واليبوسيين كانوا في القدس قبل دخول بني إسرائيل إليها بألفي عام، لذا فإنّ تاريخ اليهود في القدس وحكمهم لها لا يتعدّى (450) سنة، بينما حكمها العرب وسكنوها أكثر من أربعة آلاف عام، فلا حقّ لليهود في فلسطين لا قديما ولا حديثا، وفي ذات السياق يقول الكاتب البريطانيّ كولن ثبرون في كتابه (القدس) عن معاملة المسلمين لليهود: " إنّ المسلمين كانوا متسامحين مع اليهود، وعاشوا معهم بسلام في الوقت الذي كانت فيه أوروبا منغمسة انغماسا كاملا في الاضطهاد".⁽⁵⁾

وظهر سيّدنا موسى عليه السلام في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولم يدخل الأرض المقدّسة إذ خاف بنو إسرائيل من مواجهة العماليق، وقالوا لموسى عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: [فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ] (المائدة: 24).

ولم يدخلوها إلّا في زمن يوشع بن نون، ومع ذلك بقي اليبوسيون في القدس، وسكن بنو بنيامين معهم، وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

لذلك، نستطيع أن نلخص بشكل موجز الحضارات التي مرّت على مدينة القدس وحكمها كما يأتي: حكمت الحضارة الفرعونية القدس سنة (1705 ق. م) ودخلت في حروب

عقائدية مع قبائل (الخابيرو) البدوية وهم قبائل من البدو التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، وورد ذكرهم في النقوش المصرية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وسيطرت الحضارة البابلية على القدس بعد هزيمة اليهود (586 ق. م) ثم الحضارة الفارسية التي هيمنت على القدس في عهد الملك قورش (538 ق. م) ثم الحضارة اليونانية بقيادة الإسكندر المقدوني الأكبر الذي هزم الفرس وسيطر على المدينة (332 ق. م) ثم الحضارة الرومانية التي دخلت في حروب طاحنة مع الفرس، وسيطرت على القدس سنة (63 ق. م) وحرقها الرومان في عهدهم مرتين بسبب العصيان والتمرّد اليهودي، ثم عاد الفرس وسيطروا عليها مرة أخرى سنة (40 ق. م) ثم استعادها الرومان حتى جاء الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحرّرها من الرومان سنة (636م) وبعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي سقطت القدس في أيدي الصليبيين سنة (1099م) وحرّرها صلاح الدين الأيوبي، وهزم ريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا سنة (1187م) وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة (1193م) تمكّن الصليبيون من السيطرة مرة أخرى على القدس، ثم استردّها المسلمون بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (1244م) وبعد ذلك حاول المغول السيطرة على القدس بقيادة هولاكو إلا أنّهم هُزموا في معركة عين جالوت بقيادة الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز سنة (1260م).⁽⁶⁾

ثم جاءت الخلافة العثمانية التي أولت القدس أهميّة كبرى بسبب مكانتها الدينية سنة (1516م) وعند هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) سقطت

القدس في أيدي الجيش البريطانيّ سنة (1917م) الذي أعاد أمجاد الحملات الصليبيّة على القدس، ثمّ خضعت للحكم الأردنيّ بعد خروج الاحتلال البريطانيّ من فلسطين سنة 1948 م حتى سنة 1967م، حين احتلّها الصّهاينة في حزيران 1967م.

الاحتلال البريطانيّ للقدس (1917-1948م)

احتلّت بريطانيا القدس، وأقامت فيها إدارة عسكريّة بقيادة الجنرال كلايتون، وبدأت تسمح لإقامة مستوطنات يهوديّة صهيونيّة من أجل إقامة وطن قوميّ لليهود الصّهاينة في فلسطين تطبيقاً لوعد بلفور المشؤوم، وسمحت للجان صهيونيّة باقتحام بيت المقدس وتدنيسه، وقامت في فلسطين إثر الانتهاكات البريطانيّة والصّهيونيّة ثورات عديدة، منها: ثورة سنة 1920م، وثورة البراق سنة 1929م، وثورة سنة 1933م، وثورة سنة 1936م مع الإضراب المشهور المعروف في فلسطين والعالم والذي استمرّ ستة شهور. وكان الهدف الرّئيس من احتلال بريطانيا لفلسطين هو التّمهيد ولتهيئة الظروف المناسبة لإقامة الكيان الصّهيونيّ وحمايته، كقاعدة عسكريّة اقتصاديّة سياسيّة استراتيجيّة متقدّمة في فلسطين تحمي الوجود الأوروبيّ الغربيّ والأميركيّ؛ لضرب الإسلام والمسلمين، وإبقائهم ضعفاء مشتّتين متناحرين، وتمنع إقامة أيّ وحدة فيما بينهم، لهذا كان السّبب الأساسيّ من الحروب التي شنتها أميركا بمساعدة أوروبّا على أفغانستان، والعراق، واليمن، والفتن والحروب التي أطلقتها وأنشأتها وتغذيها في تونس، وسوريا، وليبيا، ومصر، وفي معظم الدّول العربيّة والإسلاميّة هو تشتيت المسلمين وإضعافهم، وإشغالهم بقضايا داخلية وجانيّة كتنظيم

استراتيجي بعيد المدى؛ كي تبقى القدس وحيدة يتيمة، منعزلة عن العالم الإسلامي من خلال إنهاء وواد أي حركة أو مطالبة بتحرير القدس. وفي إحصاء بريطانيا لمدينة القدس سنة 1921م بلغ عدد سكّانها 62578 نسمة، وعدد قرى محافظة القدس 63 قرية، أشهرها: سلوان، وعين كارم، وبيت محسير، وعمواس، ولفتا، وبالو، وراس أبو عمّار، وصور باهر، والمالحة، والقسطل، وإشوع.⁽⁷⁾

احتلال القدس الشرقيّة، ونكسة فلسطين والعرب سنة 1967م

بدأ الصّهاينة حرب حزيران يوم الإثنين 5/6/1967م بهجوم مباغت لسلاح الجوّ الصّهيونيّ ضدّ القواعد الجوّية المصريّة، وهزمت الجيوش العربيّة (العراق، ومصر، وسوريّا، والأردن) وبمساعدة فنيّة من لبنان، والجزائر، والسّعوديّة، والكويت في ستة أيّام، والبعض قال المعركة حسمت في ست ساعات فقط، وكان نتيجتها احتلال سيناء (61000 كم مربّع) والجولان (1800 كم مربّع) والضّفة الغربيّة (5860 كم مربّع) وغزّة (365 كم مربّع) ومنذ السّاعات الأولى لاحتلال القدس بدأ العدو الصّهيونيّ يعدّ العدة لتهويد القدس، وضّمّها لكيانه السّرطانيّ، وقد وصل وزير الجيش الصّهيونيّ موشي دايان وبرفقته عدد من زعماء اليهود الصّهاينة إلى حائط البراق الشّريف، وهناك أعلن قائلاً: " لقد أعدنا توحيد المدينة الممزّقة عاصمة إسرائيل، لقد أعدنا هذا الهيكل الأقدس، ولن نبارحه أبداً مرّة أخرى " (8) وتكلّم أيضاً موشي دايان بكلام يظهر سمّهم الدّفين ضدّ الإسلام والمسلمين عندما قال من أمام المسجد الأقصى: " اليوم يوم بخير " (9) ومنذ فتح صلاح الدّين الأيوبيّ القدس أقيمت جميع صلوات

الجمعة في المسجد الأقصى باستثناء يوم الجمعة 1967/6/9م
لم تُقم صلاة الجمعة في الأقصى.⁽¹⁰⁾

ومنذ الاحتلال حتّى يومنا هذا، والقدس تعاني من ويلات الاحتلال وتجبره وانتهاكاته واقتحامات المستوطنين الصّهاينة شبه اليوميّة للمسجد الأقصى وباحاته بحراسة من جنود العصابات الإجراميّة الّتي تُسمّى جيش الدّفاع الصّهيونيّ، والشرطة الصّهيونيّة الفاشيّة. وتبعت حكومة الاحتلال بعد احتلالها للقدس ثلاث سياسات تهدف إلى زيادة عدد اليهود في القدس، وتخفيض عدد المسلمين والمسيحيّين الفلسطينيين، وهذه السياسات هي: إقامة المستعمرات الإسرائيليّة في القدس الشّرقية، وممارسة عنصريّة ضد العرب المقيمين في القدس الشّرقية، وإغلاق القدس أمام السكّان العرب من الضّفة والقطاع. ومن المشاريع الخطيرة ضدّ القدس مشروع جدار الفصل العنصريّ الّذي بدأ الصّهاينة العمل به سنة 2003م حيث يرسم حدود مدينة القدس بما يسمّى القدس الكبرى بمساحة 840 كم مرّبع ما يعادل 15% من مساحة الضّفة الغربيّة، وهدفها النّهائيّ فصل شمال الضّفة الغربيّة عن جنوبها، وإقامة شبكة من الطّرق تصل بين المستوطنات بحيث لا يضطرّ المستوطنون الصّهاينة إلى دخول أحياء فلسطينيّة.

القرارات الدوليّة المتعلّقة بالقدس

منذ العام 1967م أصدرت الأمم المتّحدة عشرات القرارات بشأن الاحتلال الإسرائيليّ للأراضي الفلسطينيّة عامّة، والقدس على وجه الخصوص، فصدر عن مجلس الأمن عشرات القرارات بشأن القدس، أهمّها:

- قرار (242) الصّادر في 1967/11/22م، وفيه يدعو مجلس الأمن الدّوليّ كيان الاحتلال الإسرائيليّ الانسحاب إلى حدود ما قبل 5 حزيران 1967م.
 - قرار (254) الصّادر في 1968/5/21م، وفيه يدعو مجلس الأمن كيان الاحتلال الإسرائيليّ إلى إلغاء جميع الإجراءات التّعسفيّة لتغيير وضع مدينة القدس، وينصّ على عدم شرعيّة ضمّ القدس.
 - قرار (271) الصّادر في 1969/9/15م يدين فيه حرق المسجد الأقصى (1969/8/21م).
 - قرار (1322) الصّادر في 2000/10/7م، والذي فيه يشجب مجلس الأمن ويستنكر التّصرّف الاستفزازيّ المتمثّل بدخول أرئيل شارون الحرم الشّريف، وأشار إلى استشهاده أكثر من (80) فلسطينيّاً خلال أسبوع.
 - قرار (2334) الصّادر في 2016/12/23م، وينصّ على عدم شرعيّة المستوطنات في القدس والأراضي المحتلة، ووقف الأنشطة الاستيطانيّة.
- كذلك صدر عن الجمعيّة العامّة في الأمم المتحدة عشرات القرارات الدّوليّة بشأن القدس وممارسات سلطات الاحتلال العدوانيّة والإجراميّة ضدّ المدينة المقدّسة وسكّانها الفلسطينيّين، وأهم هذه القرارات:
- قرار (303) الصّادر في 1949/12/9م، ويتعلّق بعدم اعتراف الجمعيّة العموميّة بإعلان كيان الاحتلال القدس عاصمة له.
 - قرار (150) الصّادر في 1996/11/27م، والذي يؤكّد على أنّ القدس القديمة مدرجة على قائمة التّراث العالميّ

المهدّدة بالخطر، ويشجب قيام سلطات الاحتلال بفتح النّفق بمحاذاة الحائط الغربيّ للحرم الشّريف.

- قرار (159) الصّادر في 2000/6/15م. يبيد القرار القلق إزاء التّدابير الّتي لا تزال تعوق حرّيّة وصول الفلسطينيين إلى مدينة القدس.

- قرار (200) الصّادر في 2016/10/13م يستنكر القرار اقتحام المتطرّفين الصّهيّانية المتواصل للمسجد الأقصى، كذلك يستنكر القيود المفروضة على المسجد الأقصى.(11)

واجبنا اليوم تجاه القدس والمسجد الأقصى

علينا مواجهة الرّواية الصّهيّونيّة الكاذبة المزيفة، الّتي تعمل على حشوعقول النّاس في العالم بمعلومات كاذبة مضلّلة عن أرض فلسطين، خاصّة القدس، ويحرصون على تشويه الحقائق التّاريخيّة وتزويرها، ومحو الشّواهد والتّوابت فيما يخصّ القدس والمسجد الأقصى المبارك، ومن أبرز التّحدّيات الّتي تواجه المدينة المقدّسة مخطّطات الاحتلال تهويد وأسرلة مناهج التّعليم في المدارس الفلسطينيّة في القدس المحتلّة، ومن المعلوم أنّ عدد الطّلبة في القدس أكثر من (85) ألفا يدرسون في (90) مدرسة، لا تسمح سلطات الاحتلال ببناء مدارس جديد، أو وحدات صفّيّة جديدة لتستوعب الطّلبة الجدد وتزايد عدد السكّان، فمدينة القدس بحاجة ماسّة لبناء (1200) وحدة صفّيّة.(12)

من واجب كل مسلم في العالم أن يقدّم وفق طاقته وقدراته ما يستطيع لنصرة القدس وبيت المقدس، فعزّة الإسلام والمسلمين وعظمتهم دائماً تبدأ من فلسطين، وتحديدًا من القدس، فالقدس دليل شموخ الإسلام والمسلمين، فواجب علينا تعليم أطفالنا

وطلابنا على حبِّ الأقصى والقدس لا أن نكون سلبيين تجاه قدسنا وأقصانا، كما فعل القائمون على فيلم الرسالة الإسلاميّ الذي يحكي قصّة رسالة الإسلام، وبعث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم للعالمين حيث أنّ الفيلم لم يتطرّق إلى حادثة الإسراء والمعراج التي تعتبر من أهمّ قضايا العقيدة الإسلامية، وتغافل عنها بشكل مقصود ومفضوح، على الرّغم أنّه كانت فرصة مناسبة جدّاً للإشارة إلى القدس، وأهمّيّتها في ديننا الحنيف، فالإيمان بالإسراء والمعراج جزء من العقيدة الإسلاميّة، كما لم يشر الفيلم مطلقاً إلى المواقف التي لها علاقة باليهود، فلم يذكر شيئاً عن يهود قينقاع، ويهود بني النّضير، ويهود بني قريظة، ويهود خيبر، ولم يذكر أهمّ غزوات الرّسول عليه الصّلاة والسّلام غزوتي مؤتة وتبوك.⁽¹³⁾

لهذا مطلوب من الأُمّة أن تعلن النّفير والجهاد؛ لتخليص فلسطين خاصّة القدس من أيدي الصّهيينة المحتلّين، فيكفي مرور (76) سنة على احتلال فلسطين ومرار (56) سنة على احتلال القدس والأقصى، وهل نسي المسلمون أو تناسوا أنّه إذا احتلّ شبر من أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على كلّ مسلم ومسلمة، تخرج المرأة من دون إذن زوجها للجهاد والتّحرير، والعبد بغير إذن سيّده، كذلك الولد بغير إذن والده، وأحوج ما يكون الجهاد لتحرير الأقصى وإنقاذه من الهدم والتّدنيس هو هذه الأيام الصّعبة والتي تشهد اقتحامات يوميّة للأقصى وساحاته من المستوطنين الصّهيينة المتطرّفين الحاقدين الذين يعلنون جهاراً نهاراً وأمام العالم ووسائل الإعلام العالميّة أنّهم يريدون هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه،

وأنهم تأخروا في ذلك، وهذا كله بدعم ومساندة ومباركة من حكومات الاحتلال المتعاقبة.

لذا على جميع المسلمين الدفاع عن الأقصى، ودعمه، والمساهمة في ترميمه وصيانتته، ودعم المرابطين فيه، ومؤازرة حراسه، والاهتمام بالدعاية والإعلام التي تجمع الناس حوله، ووجوب المراقبة فيه على مدار الساعة من الجميع، ومطلوب منا جميعا أن نتوجه في مشارق الأرض ومغاربها إلى الله بالدعاء لحفظ الأقصى، ودفع الأذى عنه، وأن يفسد الله كل كيد يراد نحوه، والحديث عن الأقصى دائما في المدارس والجامعات ورياض الأطفال، والتأكيد على أهمية القدس وحضورها في عقيدتنا وديننا الحنيف، وكيف نحافظ عليها، وتحريرها من الأعداء، ودعوة الكتاب والمفكرين والباحثين، والعلماء بالكتابة والتدريس عن القدس والأقصى، وعلينا شد الرحال إليه من كل حذب وصوب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". (14)

إنها القدس بؤابة الأرض إلى السماء، وبؤابة السماء إلى الأرض، إليها كان الإسراء، ومنها كان المعراج، فالقدس هي المحور لكل الكرة الأرضية، لذلك ربط الله القدس بمكة المكرمة رباطا عقديا وتعبديا، وربط القدس بالسموات العلا، وخلال الإسراء والمعراج صلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم السلام إماما، وفرضت الصلاة على المسلمين في سماء القدس حين المعراج، وتحريرها واجب على كل المسلمين في العالم، وسيسألون عنها أمام الله تعالى يوم القيامة، قال تعالى: [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] (الصافات: 24) ونرد ما قاله الشاعر

محمود حيدر (حيفا، 1942م) يقول في قصيدة (رسالة من باب العامود):

يا حبيب القدس نادتكَ القباب والمحاريب فقد طال الغياب
إنّها قرّة عينيك وفي زندك الوشم وللكتف الخضاب

الهوامش

- 1- المعجم الوسيط، مادة قُدُس، ص 719.
- 2- انظر تاريخ القدس، جامعة القدس المفتوحة، أ.د. تيسير جبارة وآخرون، ص 8 - ص 9.
- 3- القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ، د. محمد علي البار، ص 82.
- 4- معجم بلدان فلسطين، محمد حسن شراب، ص 597.
- 5- القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 86.
- 6- معجم بلدان فلسطين، مرجع سابق، ص 596 - ص 602.
- 7- المختصر في جغرافية فلسطين، حسين روجي الخالدي، ص 86- ص 88.
- 8- القدس العليا في أبيات الشعراء، إبراهيم الكردي وآخرون، ص 29.
- 9- القدس خلال مرحلة الاحتلال الإسرائيلي، رائف نجم، ص 40.
- 10- تاريخ القدس، جامعة القدس المفتوحة، مرجع سابق، ص 301.
- 11- القدس في القرارات الدولية، عالم الفكر، الكويت، 2010م، ص 239- ص 280.
- 12- Aljazeera.net/blogs. أمكن الرجوع إليه في 2024/8/15 م.
- 13- فيلم الرسالة، إنتاج سنة 1976م، يتمويل من الكويت والمغرب وليبيا، بكلفة (10) مليون دولار، من إخراج المخرج السوري مصطفى العقّاد.
- 14- صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم الحديث (1189) ص 245.

غزة المنبثة من تحت الركام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر المستضعفين المظلومين،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الانبياء والمرسلين،
وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين، وبعد؛

إنّ الكتابة عن غزة العزة ليس بالأمر الهين أو السهل، فهذه
غزة الماضي، والحاضر، والمستقبل، غزة التاريخ،
والحضارة، والصمود، الشموخ، والإباء، والكرامة، الضاربة
في عمق التاريخ القديم، فهي من أقدم مدن العالم، وتتصدّر
أحداث العالم، وعناوين أخباره اليومية بشكل دائم منذ عقود،
وكونها موقعا استراتيجيا بالنسبة لفلسطين، ومصر، وسوريا،
وتعتبر مفتاح القدس، والقاهرة عبر التاريخ القديم والمعاصر،
فكانت غزة، وقاست الكثير من المآسي، والفواجع من جرّاء
الحروب التي قامت بين فراعنة مصر، وأهل العراق من
أشوريين، وبابليين، والبطالسة، والسلوقيين من خلفاء الإسكندر،
والصليبيين، والبريطانيين، والصهاينة اليهود من إجرام غير
مسبوق حتى كتابة هذا المقال.

وكانت غزة أول بلد دخله العرب المسلمون في فتوحهم
لفلسطين في 634/2/4م في خلافة أبي بكر الصديق بقيادة أبي
أمامة الباهلي وعمرو بن العاص، ويكفي المدينة فخرا أنّ جدّ
الرّسول (ص) هاشم بن عبد مناف مدفون فيها، وأنّها مولد
الإمام الشافعي مؤسس المذهب الشافعي الشهير، وأشهر علماء
الإسلام. وفي هذا المقال سأتناول قطاع غزة من حيث الموقع،

والأهميّة، والمساحة، والسكّان، والتّاريخ، والحروب الحديثة
التي شنها الصّهاينة على القطاع، والمخيمات الثمانية فيه.

قضاء غزّة

يشكّل قطاع غزّة حاليًا ما نسبته 1.33% من مساحة فلسطين، إذ تبلغ مساحته الحاليّة (365) كيلومتر مرّبع، وهو قائم في الجنوب من قضاء المجدل، ويحدّه شرقًا قضاء الخليل وبئر السّبع، وجنوبًا قضاء بئر السّبع وبریّة سبّناء، وغربًا البحر المتوسّط، ويحدّه من الشّمال قضاء الرّملة. وبلغ عدد سكّانه حسب إحصاء سنة 1922م (39670) نسمة، منهم (38838) مسلمًا فلسطينيًا، و (750) مسيحيًا فلسطينيًا، و (79) يهوديًا فلسطينيًا و (3) متّولة⁽¹⁾. وسنة 1896م كان قضاء غزّة يضمّ (71) قرية، ويضمّ أربع مدن، هي: غزّة، والمجدل، وخان يونس، والفالوجة⁽²⁾. واحتلّ اليهود الصّهاينة سنة 1948م من الدّيار الغزّيّة المجدل و (45) قرية، ودمروها جميعها تدميرًا كاملاً، وأزالوا معالمها العربيّة والإسلاميّة، دون الالتفات إلى قيمها الأثريّة والدّينيّة، وبلغت مساحة القطاع في نهاية الحكم البريطانيّ (1111,5) كيلو متر مرّبع. والكنعانيّون العرب أقدم من سكن قضاء غزّة، وهم الذين بنوا مدنه وقراه، وقد عرف الكثير من الصّحابة قبل الفتح العربيّ الإسلاميّ كأبي سفيان، وعمر بن العاص، وعمر بن الخطّاب، وغيرهم هذا القضاء؛ لأنّ غزّة كانت تتّجه إليها أنظار تجار قريش في رحلتهم الصّيفيّة إلى ديار الشّام.

غزة في التاريخ

تعتبر غزة قاعدة القطاع، وتاريخها طويل ضارب بجذروه في عمق التاريخ، والحضارة منذ (3300) سنة قبل الميلاد، وكانت منذ القدم ثغرا تجاريًا على البحر المتوسط، وملتقى طريق القوافل بين مصر وسوريًا، وقاعدة حملات الفراعنة القدامى على سوريًا، ومقر عبادة الآلهة (دجون) التي دمر (شمشون) معبدها، واحتلها الملك سرجون سنة (720) قبل الميلاد، والإسكندر الأكبر سنة (332) قبل الميلاد بعد حصارها خمسة أشهر، واحتلها السلوقيون، والرومان، واليهود، وفتحها العرب المسلمون سنة (634) واستولى عليها نابليون سنة (1799) وكانت إبان الحرب العالمية الأولى مسرحاً لعدة معارك بين البيزنطيين والأتراك، واستولى عليها الجنرال الإنكليزي اللنبي في 1917/11/7م، ودخلها الجيش المصري في حرب فلسطين سنة 1948م.⁽³⁾

سمى الكنعانيون غزة هزاتي، والمصريون القدماء سموها غازاتو، والآشوريون سموها عزاتي، وأطلق عليها الفرس هازاتو، والعبرانيون أطلقوا عليها اسم غزة، وسمّاها العرب غزة هاشم نسبة إلى هاشم بن عبد مناف جدّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم الذي مات وهو راجع بتجارته إلى الحجاز، وقبره ما زال موجودا في جامع السيّد هاشم في حيّ الدّرج بغزة، وأقدم من سكنها أجدادنا الكنعانيون ثمّ الفلسطينيين.⁽⁴⁾ والاسم مشتقّ من العزّة، يعني المنعة والقوّة، ومن معانيها: الكنز الملكي، أو الثروة.⁽⁵⁾ ومن المعروف أنّ غزة كانت وجهة لواحدة من رحلتي قريش المذكورتين في القرآن الكريم في رحلة الشتاء

والصَّيف، وغَزَّة الرَّحْلة الصَّيْفِيَّة منها، قال تعالى: [إِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافُهُمْ رَحْلةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)] [قریش: 1-2].

سكّان غَزَّة والظّروف الاقتصاديّة

كان عدد سكّان القطاع سنة 1922م كما أشرنا سابقا (39670) نسمة، أمّا سكّان مدينة غَزَّة فعدهم في السّنة نفسها (16722) نسمة، وبلغ عدد سكّان المدينة سنة 1947م (40000) نسمة، وسنة 1978م (150000) نسمة.⁽⁶⁾ ومن عائلات غَزَّة: آل صقر، وآل طبازة، وأبو ستّة، وآل شحادة، وأبو عودة، وحمودة، وعوض الله، ودحلان، وأنشاصي، والمحلاوي، ومقداد، وصباح، وشبير، واللّحام، والهباش، والمصريّ وعزّام، وبركات، وعوض، والقاعد، وأبو الكاس، وصقر، وشاميّة، وعبّاس، والحمامي، والهوّاش، والآغا، وعبد الشّافي، وعائلات أخرى كثيرة لا مجال لذكرها في هذا المقال.

يعاني سكّان قطاع غَزَّة من أوضاع اقتصاديّة صعبة جدّا منذ الاحتلال سنة 1967م حتى يومنا هذا، فيقول الدّكتور فوّاز إبراهيم أبو ستّة الأستاذ المساعد في القانون الاقتصاديّ الدّوليّ في الجامعة الإسلاميّة بغَزَّة: " قطاع غَزَّة العصب الفلسطينيّ المشدود دائما، والجرح الذي ينزف في خاصرة الوطن، يعيش أجواء المعاناة الحقيقيّة في منفاه الجنوبيّ، لا أحد يسأل كيف يعيش المواطنون في ظلّ أكبر أزمة اقتصاديّة لا وصف لغرابتها، ولا لبشاعتها في كلّ النّواحي الاقتصاديّة في القطاع في ظلّ اختناق اقتصاديّ ألقى بآلاف العاطلين عن العمل إلى الشّوارع يكاد يموت جوعا، والبعض الآخر يكاد يموت من الخجل "⁽⁷⁾ ومع مجيء السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة تحسّن وضع

سكّان غزّة بشكل ملحوظ؛ حيث عملت السّلطة على تطويره، والاستثمار فيه، ولكن بسبب الاحتلال الصّهيوني وإجراءاته التّعسفيّة، والحصار الخانق الّذي فرضته على القطاع خاصّة من سنة 2007م حتى الآن، كذلك الكثافة السكّانيّة المرتفعة جدّا، والأعلى في العالم، والّتي تصل إلى (3650) نسمة لكل كيلو متر مربع واحد، وتصل هذه الكثافة إلى ذروتها في المخيمات الثّمانيّة، فيعيش (100) ألف نسمة في الكيلو المتر المربع الواحد في مخيم جباليا، ويعاني القطاع من شحّ الموارد الطّبيعيّة وانعدامها في كثير من الأحيان، والنقص المستمر في نوعيّة المياه الباطنيّة وكميّتها، واستنزاف الموارد المتواضعة نتيجة للكثافة السكّانيّة العالية جدّا، والاعتداءات الوحشيّة المتكرّرة من سلطات الاحتلال، وافتقار القطاع إلى منشآت البنية التّحتيّة، والّتي تعتبر قاعدة أساسيّة للنّموّ الاقتصاديّ، وإغلاق المعابر والحدود بشكل كامل في كثير من الأحيان كما يحصل الآن في العدوان الأخير على القطاع حيث المعابر مغلقة منذ أكثر من ثمانية أشهر.

مخيمات القطاع

يوجد في قطاع غزّة ثمانية مخيمات تعاني من الكثافة السكّانيّة الأعلى في العالم، ومن التّضخّم الكبير في عدد السكّان، ومعظم العائلات ما زالت تعيش في بيوت صغيرة جدّا مكوّنة من غرفة أو غرفتين، وتأوي من (8 __ 10) أشخاص، وهُجّر أهالي هذه المخيمات من قرى منطقة بئر السّبع، وأسدود، ويافا، والمجدل، والدّ، والرّملة. وتشرف وكالة الغوث الدّولية على جميع المخيمات، إذ تقدّم لها التّعليم، والخدمات الصّحيّة، وغيرها. وظروف المخيمات بشكل عام سيّئة للغاية،

من حيث الوضع البيئي، فتكثر البرك على شكل مستنقعات، وما تقوم به سلطات الاحتلال من هدم للبيوت بين فترة وأخرى بحجج أمنية، ومشاريع تشريد الناس منذ الاحتلال سنة 1967م حتى الآن، وفي المدارس كذلك تعاني الصفوف الدراسية من الاكتظاظ الشديد في عدد الطلاب، وانقطاع الكهرباء المستمر عن المخيمات، والبطالة المرتفعة، وتلوث إمدادات المياه، وقلة توفر مواد البناء. وهذه المخيمات هي:

- مخيم جباليا: وهو أكبر مخيمات قطاع غزة، أنشئ سنة 1949م بعد النكبة، ويبلغ عدد سكانه حالياً حسب إحصاءات السلطة الوطنية الفلسطينية لسنة 2023م (117000) نسمة.
- مخيم الشاطئ: تأسس سنة 1951م، وعدد سكانه حسب إحصاءات 2023م (9000) نسمة.
- مخيم رفح: تأسس سنة 1949م، ويقع بالقرب من الحدود المصرية إلى الجنوب من غزة، ويبلغ عدد سكانه حوالي (100000) نسمة.
- مخيم النصيرات: أنشئ هذا المخيم بعد النكبة بعام سنة 1949م، ويبلغ عدد سكانه حالياً (65000) نسمة.
- مخيم البريج: أنشئ هذا المخيم سنة 1952م، على أنقاض معسكر للجيش البريطاني، ويبلغ عدد سكانه حسب الإحصاءات الحديثة (50000) نسمة.
- مخيم المغازي: تأسس هذا المخيم سنة 1949م، ويبلغ عدد سكانه حالياً (35000) نسمة.
- مخيم دير البلح: يعتبر هذا المخيم أصغر مخيمات القطاع، تأسس بعد النكبة بعام، سنة 1949م، ويبلغ عدد سكانه حالياً (9000) نسمة.

- مخيم خان يونس: أنشئ هذا المخيم سنة 1949م، وبلغ عدد سكانه حسب الإحصاءات الحديثة حوالي (68000) نسمة.(8)

الحروب على قطاع غزة

على مدى التاريخ مرّت على فلسطين عشرات الاحتلالات بدءاً من الفراعنة، وانتهاء بالاحتلال الصهيونيّ البغيض الذي لم ولن يمرّ مثله في تاريخ البشرية أبشع منه، ومن إجرامه، فلا تعجبوا إن أبحرنا في صفحات تاريخ اليهود والصهاينة المجرمين حيث تراهم على حقيقتهم لا يشبعون من سفك الدماء، ولا بالتّمثيل والتّنكيل بنا، والرّقص على جراحنا، وتسويق رواية كاذبة، وإلصاق تهمة الإرهاب بالضحيّة الفلسطينيّة المظلومة، ولكنهم ساقطون لا محالة، ومنتهون، وستلفظهم البشرية والإنسانيّة قريباً؛ لعظم ما قاموا به من مجازر وقتل وإبادة وتدمير، فلاحظوا ما قاله المجرم بن غوريون للمجرم السّفاح الهالك أرئيل شارون ناصحاً إيّاه: " لا تقرأ يا أرئيل، فأنت لا تصلح إلّا للقتل، ونحن نريد قتلة أكثر من مثقّفين "(9) وجميع هذه الاحتلالات دُمّرت، وقتلت، وأسرت، وشرّدت من شعبنا، لكنّها لم تخرق الوعي الجمعيّ ولا الفرديّ، وفشلت في كلّ مخطّطاتها الرّامية إلى تركيع الشعب الفلسطينيّ رغم ضعفه الماديّ والعسكريّ، وما يقوم به الصّهاينة ضدّ شعبنا لا مثيل له في التاريخ، ويجب أن يُدرّس في الجامعات الأميركيّة، وإعلاميّون صهاينة يقرّون أنّ الشعب الفلسطينيّ أصعب شعب في التاريخ.(10)

التاريخ زاخر بالحروب، والجرائم، والمجازر، والكوارث، ولكن ما حصل ويحصل في وطننا الغالي فلسطين خاصة في قطاع غزة الحبيب من جرائم، وإبادة، ومجازر، وتجويع، وتدمير من عصابات الاحتلال الفاقدة لكل معايير الأخلاق والإنسانية غير معهود بتاتا، وبالرغم من ذلك، فأهل فلسطين عامة، وأهل غزة خاصة يمتلكون صمودا، وروحا معنوية وطنية إنسانية ترفض العبودية، والقهر، والظلم، وتتوق إلى الحرية والكرامة، وتعتبر الحرب على فلسطين الحرب الأطول في التاريخ، حرب على شعب أعزل، لكنه متسلح بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبحتمية انتصاره على جلّاده، وزوال الاحتلال، وأن فلسطين بيت المقدس لا يُعمّر فيها ظالم، فمنذ سنة 1917م حتى الآن 2024م، وشعبنا يعاني من ظلم البريطانيين واليهود الصّهيانية والأميركان والغرب، والفلسطيني هو صاحب الحق، والأرض، والتاريخ، والتراث، والمكان. وقد مارس الصّهيانية بمساعدة الغرب التّطهير العرقيّ ضدّ شعبنا منطلقين من فكر متجذّر وفق اتّجاهات ثلاثة، وهي: اقتلاع أهل الأرض عن ديارهم، والاستيلاء على الأرض وما عليها، وما بها من ممتلكات، وثروات، ومسح تاريخهم بإزالة كلّ ذكر لهم في كتبهم ودراساتهم، ومسح جغرافيتهم بالفعل بتدمير قراهم وآثارهم الدّينية والحضارية، بمعنى صياغة تاريخ وجغرافيا جديدة لفلسطين وما حولها (الأردن، وسوريا، ولبنان، ومصر، والسعودية، والعراق) ومن المعلوم لدى جميع العالم أنّ الصّهيونية تضخّي بكل شيء حتى باليهود أنفسهم من أجل المشروع الصّهيوني العالمي، وحوادث كثيرة حدثت تؤكد ذلك، ومن الأمثلة: حادثة إغراق السفينة (باتريا) وكان عليها (300) يهودي عام 1940م قبالة ميناء حيفا، واتّهمت الصّهيونية

البوليس البريطانيّ بهذه الجريمة؛ لكسب عطف العالم، وبعد التّحقيقات ثبت أنّ عصابة شتيرن الصّهيونيّة بقيادة مناحيم بيغن الذي أصبح فيما بعد رئيسا للكيان الصّهيونيّ من قامت بذلك.

لقد عانت غزة منذ الاحتلال حتى الآن أشدّ وأبشع أنواع الإبادة الجماعيّة والمجازر خاصّة من سنة 2008م حتّى الآن، فاعتدت عصابات الصّهاينة، وحكومة الاحتلال الصّهيونيّ على غزّة في ستّة حروب مدمّرة في هذه المدّة بهدف القتل (2008-2024م)، والإبادة الجماعيّة، والنّظهير العرقيّ، وجعل غزّة غير صالحة للحياة، والعالم برمّته خاصّة العرب لا يتحرّكون ليقفوا هذا الجنون الصّهيونيّ، فما زالت غزّة هي الجرح العربيّ الإسلاميّ النّازف، ولا أيّ حكومة أو نظام في العالم يحرك ساكنا. وهذا عرض موجز لهذه الحروب الستّة:

- المعركة الأولى، في 2008/12/27م، حيث بدأ عدوان صهيونيّ غاشم شرس على القطاع استمرّ (22) يوما حتّى 2009/1/18م، استشهد جرّاء هذا العدوان أكثر من (1386) فلسطينيّاً، معظمهم من المدنيّين خاصّة من النّساء والاطفال، وجرح أكثر من (5450) فلسطينيّاً، وأطلقت المقاومة على هذه المعركة (معركة الفرقان) وأطلق عليها الاحتلال (الرّصاص المصبوب).

- المعركة الثّانية، بدأت في 2012/11/14م باغتيال القائد أحمد الجعبريّ، واستمرّت ثمانية أيّام، وأدّت إلى استشهاد أكثر من (150) فلسطينيّاً، وكالمعتاد معظمهم من المدنيّين، وأصيب أكثر من (1000) آخرين. أسمت

المقاومة هذه المواجهة (حجارة السّجّيل) والاحتلال أطلق عليها عمليّة (عامود السّحاب).

- المعركة الثّالثة، بدأت في 2014/7/8م، واستمرّت (50) يوماً، واستشهد في هذا العدوان (2147) فلسطينيّاً، وجرح أكثر من (10870) (آخرين، وأسّميتها المقاومة (العصف المأكول) وأسماها الصّهاينة عمليّة (الجرف الصّامد).
- المعركة الرّابعة، بدأت هذه المعركة في 2021/5/10م، واستمرّت (11) يوماً، أسّميتها المقاومة الفلسطينيّة (سيف القدس) وأسماها الاحتلال الصّهيونيّ (حارس الأسوار) واستشهد فيها أكثر من (200) فلسطينيّ، وأصيب أكثر من (1600) آخرين.
- المعركة الخامسة، بدأت في 2022/8/5م واستمرّت ثلاثة أيّام، أسّميتها المقاومة معركة (وحدة السّاحات) وأطلق عليها الاحتلال الصّهيونيّ عملية (الفجر الصّادق) واستشهد فيها أكثر من (49) فلسطينيّاً، وأصيب أكثر من (360) آخرين، معظمهم من الأطفال والنّساء.
- المعركة السّادسة، بدأت هذه المعركة في 2024/10/7م، بهجوم المقاومة الفلسطينيّة التّاريخي غير المسبوق على فرقة غزة لجيش الاحتلال ومستوطنات ما يسمّى بغلاف غزة، ومعسكرات جيش الاحتلال هناك، وقُتل وأسر وجرح المئات من جنود الاحتلال. وردّت قوات الاحتلال بعنف شديد جدّاً لم يحصل في التّاريخ، وارتكبت مذابح ومجازر وإبادة جماعيّة باستخدام أسلحة محرّمة دوليّاً، وما زال العدوان مستمرّاً حتّى كتابة هذا المقال (حزيران/2024م) وأطلقت المقاومة على هذه المعركة (طوفان الأقصى) وأطلق عليها الاحتلال (السّيوف الحديدية) واعتبرها كيان الاحتلال الصّهيونيّ حرب وجود. واستشهد في هذا العدوان البربريّ حتّى الآن أكثر

من (40000) فلسطيني معظمهم من الأطفال والنساء، وأصيب أكثر من (85000) آخرين، وتم تدمير جميع المستشفيات والجامعات والكثير من المساجد والمدارس، وأكثر من 65% من البيوت في قطاع غزة، ونراهم يتجبحون، ويتفاحرون، ويتباهون بتدمير الجامعات، والمكتبات، والمربعات السكنية الكاملة، وكيف يهدون هذه التدميرات لأطفالهم، وزوجاتهم، وحبيباتهم، وأمهاتهم، فيرسل جندي صهيوني يدمر في غزة رسالة إلى أمه يقول فيها: "عذرا يا أمي، وقتي لحظوي، إنهم لا يتركونا ننقّس، هم كائنات من حواس يقطى، وانتباهات لا تعرف السهو أو النوم، لكن الأمر ملح، ورغبتني في إخبارك برق وأكثر، لقد دمرنا جامعات كثيرة لهم؛ ليعمهم الجهل، واليوم وخلال وقت قصير كنت في جامعاتهم، جامعة الأقصى التي نالت في المرات الماضية نصيبها من التدمير، لكننا سهونا عن مكتبتها، اليوم كان لي الشرف أن حرقها كلها، ووقفت بعيدا عنها قرب حائط عال، ورحت أراقب السنة النار المتطاولة، والريح وهي تسوق صفحات الكتب المتطايرة، شعرت بالفرح يرجّ قلبي، رضاك يا أمي، وفرحت الأم فرحا شديدا، وعبرت عن هذه الفرحة الغامرة بأن قامت بتوزيع نصّ الرسالة على مواقع التواصل الاجتماعي مفتخرة بما قام به ابنها". (11)

هذه غزة العظيمة الجبارة بشعبها، ومقاومتها، وحضورها تقف شامخة في وجه قوى الظلم والطغيان هذه القوى التي تعتقد أنّ ما تقوم به من قتل وتدمير أنّهم يصنعون مستقبلا لهم، ويتناسون أنّ فاتورة الحساب كبرت جدّا، ويوم زوالهم ونهايتهم اقترب، فالظلم عندما يزداد ويستشرس تكون نهاية الظالم قد اقتربت. نعم، لقد غيرت غزة العالم كلّهُ، ورسمت ثقافة إنسانية جديدة أساسها الحقّ والإيمان والعدل. وتقول غزة للعالم أنّ فلسطين ستبقى بقدسها وغزتها وشعبها المرابط المجاهد، وكلّ

شبر من أرضنا شامخاً أبيضاً، والزّوال لمن يستعلي ويستكبر في الأرض، وسيعود من استعلي مشتتاً في الأرض كما كان، فليل الظلم والظلام لن يطول، وسينبلج علينا فجر جديد يملؤه العدل والأمن والحرية والعزة والكرامة، قال تعالى: [أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ] (البقرة: 214).

ملاحظة: وفقاً لإحصائيات وزارة الصحة في قطاع غزة والجهات الرسمية حتى تشرين الأول/2026م، بلغ عدد الشهداء في قطاع غزة 74243 شهيداً، وعدد الجرحى والمصابين 175232 مصاباً، ويقدر عدد المفقودين تحت الانقراض وفي الطرقات 11200 مفقود.

الهوامش

- 1- حسين روجي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص 105، وانظر بلادنا فلسطين لمصطفى مراد الدبّاغ، ص 11.
- 2- مصطفى مراد الدبّاغ، بلادنا فلسطين، ص 11.
- 3- الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص125.
- 4- محمّد حسن شراب، معجم بلدان فلسطين، ص566.
- 5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص202.
- 6- محمّد حسن شراب، معجم بلدان فلسطين، ص567.
- 7- انتصار عبد ربّه، غزّة هاشم نصفها بطالة والنصف الآخر يأكله الرّكود، مجلّة عبير، نيسان وأيار، 1978م، العددان، 11 و12، ص36.
- 8- انظر مريم شاهين، دليل فلسطين، ص441 - ص451.
- 9- محمّد عبد الجوّاد، أشهر السّفّاحين في التّاريخ، ص5.
- 10- عن د. سعيد عيّاد، سيرة ذاكرة وشهادات، وزارة النّقافة الفلسطينيّة، ص25.
- 11- حسن حميد، كتب جامعة الأقصى، جريدة الحياة الجديدة، 2024/5/26م، العدد 1029، ص 12.

بيت لحم مدينة وتاريخ

المقدمة

بيت لحم مدينة لها تاريخ عريق بدءاً من تأسيسها على يد العرب الكنعانيين (200 ق.م) وميلاد السيّد المسيح عليه السلام على أديمها الطهور، وانتهاءً بتحررها من الاحتلال الإسرائيلي الذي جثم على أرضها ما ينوف عن (27) سنة، وهي أول بلد افتتحها الصليبيون، فبيت لحم وعيسى عليه السلام أسمان مرتبطان مع بعضهما بعضاً، فما أن يذكر أحدهما حتى يحضر الآخر في ذهن مباشرة. كذلك ارتبط اسم سيدنا محمد (ص) بسيدنا عيسى عليه السلام أكثر من غيره من الأنبياء والرسل لأسباب كثيرة لعل أهمها: 1- أنهما آخر نبيين بعثهما الله ، فبعث عيسى عليه السلام ، ثم تلاه خاتم الأنبياء محمد (ص) 2- أن سيدنا عيسى عليه السلام بشرّ بسيدنا محمد (ص) قال تعالى : " وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" (الصف:6) 3- محمد (ص) أولى الناس بعيسى عليه السلام، فقال (ص) : " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد".⁽¹⁾

ولا ننسى أن شريعتنا الإسلامية الغراء حرّمت سبّ الأنبياء أو إنكار نبوة واحد منهم، بل عدّت ذلك كفراً يخرج من الملة . قال تعالى :[أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَقِرُّ بِبَيْنٍ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ] (البقرة:285).

أصل التسمية

سمّيت بيت لحم نسبة إلى الإله "لخمو الكنعاني" وهي بالسريانية، بمعنى الخبز، وقال الدّباغ: اسمها الأصلي: أفرات، وأفراته، بمعنى مثمر، ثمّ دُعيت باسمها الحالي نسبة إلى الإله "لخمو" إله القوت والطعام عند الكنعانيين⁽²⁾ ويقول الباحث خليل شوكة في كتابه "تاريخ بيت لحم في العهد العثماني" أول من سكن بيت لحم قبيلة كنعانية حوالي الفين قبل الميلاد، وقد نسبت المدنية إلى الإله "سحاما" أو بيت "إيلي لحاما"، وذكر اسم آخر لها في العهد القديم وهو "أفراتا" أي الخصب باللغة الآرامية⁽³⁾ ويقول حسين روجي الخالدي في كتابه "جغرافية فلسطين" تسمّى بيت لحم أيضاً بيت الخبز، وتعرف أنها مسقط رأس سيدنا عيسى عليه السلام، وتعرف في الكتاب المقدّس باسم بيت داود، واسمها القديم أفرات، وأصبحت اللفظة تعني اللحم المعروف.⁽⁴⁾

الموقع

تقع مدينة بيت لحم على ارتفاع حوالي (775) متراً فوق سطح البحر، وتقع في الجزء الجنوبي من جبال الخليل، وعلى بعد (10) كم إلى الجنوب من القدس، و(73) كم شمال شرق قطاع غزة والبحر المتوسط، و(75) كم إلى الغرب من عمان عاصمة الأردن. وللعلم هناك قرية تقع في قضاء حيفا تحمل اسم بيت لحم، وبلغ عدد سكانها ، وفق احصائية الاحتلال البريطاني سنة 1923م (224) نسمة، كذلك توجد مدينتان في الولايات المتحدة الأميركية تحملان الاسم نفسه بيت لحم : احدهما بلدة تقع بشمال ينوها مبشير في منطقة الجبل الأبيض،

وهي مركز للاستشفاء، أسست سنة 1787م . والثانية مدينة صناعية في بنسلفانيا، أسست أيضا سنة 1787م⁽⁵⁾، وتبلغ مساحة محافظة بيت لحم (22.8) كم².

أهم الآثار والأماكن الدينية في بيت لحم

مدينة بيت لحم زاخرة بالأماكن الأثرية القديمة، والأماكن الدينية خاصة لدى المسيحيين ، لكونها مسقط رأس سيدنا عيسى عليه السلام، وأهم الكنائس في المدينة كنيسة المهد التي بنتها الملكة هيلانة سنة (330) للميلاد، وهي أقدم كنيسة مسيحية في العالم، وهي فوق المغارة التي يظن أن المسيح عليه السلام ولد فيها⁽⁶⁾. ودخلت الكنيسة سنة 2012 قائمة مواقع التراث العالمي، وهو أول موقع فلسطيني يدرج ضمن لائحة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو. وعلى المدخل الشمالي للمدينة يقع قبر راحيل "راشيل" أم سيدنا يوسف الصديق عليه السلام، وقريب من كنيسة المهد في الجهة الجنوبية الشرقية تقع مغارة الحليب وورد اسمها أيضاً في المراجع مغارة اللبن، وفي الجهة الجنوبية الغربية تقع عيون سليمان "برك سليمان"⁽⁷⁾ ومن الأماكن الدينية والأثرية في المدينة والمحافظة: مسجد عمر بن الخطاب، وهو أقدم المساجد فيها، وكنيسة القديسة كثرينا، وكنيسة الأرثوذكس ، وكنيسة حقل الرعاة ، وقلعة مراد الرابع بالقرب من برك سليمان، وبئر النبي داود ، ودير البنات، ودير الجنة المقفلة، ووادي خريطون، وتل الفريديس، ودير مار سابا، ودير مار الياس.

السكان

وفقاً لسجلات الضرائب العثمانية، شكّل المسيحيون نسبة 60% من عدد السكان المدينة ، في القرن السادس عشر للميلاد، وفي منتصف القرن نفسه تساوت أعداد المسيحيين والمسلمين، وحسب إحصائية سنة 1923م في عهد الاحتلال البريطاني لفلسطين، بلغ عدد سكان المدينة (6658) نسمة، منهم (5838) مسيحياً و (818) مسلماً، ويهوديان⁽⁸⁾.

ووفقاً لإحصاءات الاحتلال الصهيوني عام 1967م، حيث بلغ عدد سكان بيت لحم (14.439) نسمة، منهم (7790) من المسلمين ، أي ما نسبته (53.9%) والمسيحيون (6231) نسمة أي ما يعادل 46.1% من سكان المدينة. وبلغ عدد سكان المدينة وفق إحصائيات السلطة الوطنية الفلسطينية لعام 2007 (30.000) شكّل المسلمون منهم 60% والمسيحيون 40%⁽⁹⁾ أما المحافظة فيقدر عدد سكانها (200) ألف نسمة .

وتقع ضمن محافظة بيت لحم العديد من التجمعات السكانية من مدن وقرى ومخيمات، ومن هذه المدن: بيت ساحور، وبيت جالا، والدوحة، ومن القرى: ارطاس، وحسان ونحالين، ووادي فوكين. كذلك يسكن في المحافظة عرب التعمارة، ومنهم: عرب سليمان إسماعيل، وعرب الزير، وعرب الوحش، وعرب العبيدية، ومنهم: عرب محمود عودة الله، وعرب يوسف الخطيب، وعرب جدّوع، وعرب عودة أبو سرحان، وعرب السواخرة، ومنهم: عرب حمد الناموس، وعرب إبراهيم شقير، وعرب عبد القادر جعفر، وعرب الرشيدة، وعرب اهتيم.⁽¹⁰⁾

وتتضم محافظة بيت لحم ثلاثة مخيمات رئيسية ، وهي :
الدهيشة، وعابدة، وبيت جبرين. وهي كسائر مخيمات الضفة
الغربية، فقد تأسست فوق قطع من الأرض استأجرتها وكالة
الغوث الدولية من الحكومة الأردنية:

- 1- مخيم الدهيشة: اختلفت المصادر حول سنة تأسيس هذا
المخيم الذي يبعد عن مدينة بيت لحم من جهة الجنوب كيلو
مترين اثنين، ويقع على الطريق الرئيس الموصل بين
مدينة بيت لحم والخليل . فيقول الدكتور حسن البرميل في
أطروحته الدكتوراة عن اللاجئين وحق العودة أنه تأسس
سنة 1952م. أمّا في صفحة مخيم الدهيشة في موقع وكالة
الغوث على الانترنت تشير أنه تأسس سنة 1949 م وعدد
سكانه حوالي (12000) نسمة.
- 2- مخيم عابدة: تأسس سنة 1950م بين بيت لحم وبيت جالا،
وعدد سكانه حوالي (4000) نسمة.
- 3- مخيم بيت جبرين "العزة": ويعتبر أصغر المخيمات
المعترف بها لدى وكالة الغوث في الضفة الغربية، تأسس
سنة 1950 ضمن حدود بلدية بيت لحم، ويبلغ عدد سكانه
حوالي (2000) نسمة.⁽¹¹⁾

الاقتصاد

تمتاز المدينة بنشاطها في الصناعة، خاصة الصناعة
السياحية، مثل صناعة الصدف، والمسابح والصلبان، ويعتبر
التسوق مصدر جذب رئيس للسياح . خصوصاً خلال موسم عيد
الميلاد. ويشتري السياح تحف خشب الزيتون بكثرة، وتشتهر
بيت لحم بالحرف الدينية المصنعة يدوياً مثل: عرق اللؤلؤ،
والصناديق، وغيرها. وتشتهر مدينة بيت لحم بصناعة الحجر

والرخام والمنسوجات والأثاث والمفروشات، ومصانع الدهان والبلاستيك، والمطاط الصناعي، والأدوية، والمنتجات الغذائية والحلويات. وكانت أول غرفة تجارية زراعية في المدينة أنشئت في 1952/4/16. وفي عام 2008م استضافت بيت لحم أكبر مؤتمر اقتصادي على الإطلاق في الأراضي الفلسطينية الذي بادر به وأشرف عليه رئيس الوزراء ووزير المالية الأسبق في السلطة الوطنية الفلسطينية الدكتور سلام فياض، وشارك في المؤتمر (1000) من رجال الأعمال والمصرفيين والمسؤولين الحكوميين من جميع أنحاء الشرق الأوسط للاستثمار في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتمّ تأمين ما مجموعه (1.4) مليار دولار من أجل الاستثمارات التجارية في الأراضي الفلسطينية، وعقد المؤتمر في قصر المؤتمرات بالقرب من برك سليمان، وأعتقد أن ذلك ذهب أدراج الرياح، ولم يتم تنفيذ ما اتفق عليه في هذا المؤتمر حتى الآن لأسباب عديدة ومتنوعة.

من المحطات المهمة في حياة المدينة

ذكرت بيت لحم في الحرب بين أهلها والملك شاول في نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، عندها هزم شاول وقتلوه.

- كانت بيت لحم مسرحاً لقصة راعوت، حيث أحبّت راعت أحد اقربائها، وتزوجت وأنجبت الملك داود .
- أخذ الملك سليمان بيت لحم مصيفاً له يأتي إليها من عاصمة القدس.
- لجأ رحبعام ابن سيدنا سليمان عليه السلام إلى بيت لحم، وحوصر فيها عام 937ق.م .

- استولى عليها الرومان سنة 63 ق.م حيث نصّب هيرودس ملكاً على فلسطين، وفي عام 37ق.م بنى هيرودوس قلعة بالقرب من بيت لحم يلجأ إليها زمن الحرب.
- في السنوات 132-135م أقام الإمبراطور الروماني هارديان في مغارة المهد تمثالاً لادونيس، وفعل ذلك لاعتناقه المسيحية سرّاً، وخشي أن يعفي الزمن على الكهف ويندر.
- عام 330م جاءت الإمبراطورة هيلانة إلى القدس وبيت لحم للحج، وأمرت ببناء كنيسة المهد بناءً على طلب ابنها قسطنطين، وبقيت حتى عام 528م حيث هدمها السامريون، وأعاد الملك جوستنيان بناءها عام 531م، وبنى حولها سوراً بقي حتى عام 1489م، حين هدم في عصر المماليك.
- في عام 614م غزا الفرس البلاد المقدسة، ولم يهدموا كنيسة المهد، وذلك على غير عادتهم، والسبب رؤيتهم للصورة المصنوعة من الفسيفساء في واجهة الكنيسة، والتي تمثل المجوس أجداد الفرس للسيد المسيح عليه السلام.⁽¹²⁾
- في عام 648م جاء الخليفة عمر بن الخطاب، وفتح القدس، وكتب لبطريق القدس ميثاقه المشهور "العهد العمرية" وفي اليوم التالي زار بيت لحم، وحضر للصلاة، فصلّى داخل الكنيسة عند الحنية القبلية المنقوشة بالفسيفساء، وكتب للبطريق سجلاً أن لا يصلي في هذا الموضع من المسلمين إلاّ رجل واحد بعد واحد، ولا يجمع فيها للصلاة ولا يؤذن فيه .
- ازدهرت بيت لحم زمن الخلافة العباسية، فراجت التجارة، وتيسرت الحرية، والأمن وترميم الكنائس وأماكن العبادة (786-908م) .
- في عام 1099م دخل جيش غود فري دويويون الامير الفرنسي بقيادة تانكرد بيت لحم بداية الحملة الصليبية، وحرق البلد، ولم ينج منها إلاّ كنيسة المهد.
- وقعت البلاد سنة 1187م تحت سيطرة الأيوبيين، وفي عام 1253م خضعت تحت سيطرة المماليك، وفي عام 1263 قام

سلطان المماليك الظاهر بيبرس بتدمير أسوار بيت لحم وأبراجها .

- في سنة 1834م احتل الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا فلسطين وبلاد الشام، ودمر أجزاء من مدينة بيت لحم القديمة .
- في تموز 1917م احتلّ البريطانيون فلسطين، ودخلوا مدينة بيت لحم، وخرجوا منها في 14/أيار/1948م، وبقيت تحت السيادة الأردنية حتى 10/6/1967م وخضعت منذ ذلك التاريخ تحت سلطات الحكم الصهيوني المحتل الغاشم حتى 25/12/1995م حيث دخول السلطة الوطنية الفلسطينية، فأصبحت المدينة خاضعة لسيطرة السلطة الفلسطينية.

الرحالة العرب والاجانب الذين زاروا بيت لحم

زار المدينة العشرات من الرحالة العرب والاجانب الذين تحدثوا عن المدينة من حيث موقعها، وبعدها عن القدس، وأهميتها، ووصفوا المكان وقديسيته، وخاصة كنيسة المهد، وتطرقوا إلى الاماكن الدينية والتاريخية فيها، والمزروعات، وطبيعة الناس وحياتهم، ومن الرحالة الذين زاروها:

- اليعقوبي سنة (891م)، وابن الفقيه (903م) وابن البطريق (930م)، والاصطخري (951م) وابن حوقل (987م)، والمقدسي (985م) وناصر خسرو (1047م) والبكري (1904م)، والإدريسي (1154م)، وياقوت الحموري (1225م)، وان بطوطة (1355م)، والمطران أركلف (700م)، ويليولد (727م)، وبرنارد الحكيم (867م)، وساويلوف (1102م) وقتيلوس (1130م)، وبنجامين توليد (1163م)، وجون ويرزبورغ (1170م)، وبوشارد (1240م)، وفرسكوبالدي وجوش وميجولي (1384م).

هذه هي مدينة بيت لحم مركز المحافظة المدعوة باسمها، الطبيب أهلها، العليل هواؤها، الخصبة تربتها، الجميلة جبالها ووديانها، مدينة السيد المسيح عيسى عليه السلام الذي روى أنه توسّد يوماً حجراً، فمرّ به إبليس، فقال: يا عيسى، رغبت في الدنيا! فأخذه عيسى عليه السلام، فرمى به من تحت رأسه، وقال: هذا لك مع الدنيا⁽¹³⁾ المدينة التي حرص رؤساء بلدياتها الاثنين والعشرون من ميخائيل أبو سعادة (1876-1880) إلى فيرا بابون (2012) رئيس البلدية الحالية ، والتي تعتبر أول امرأة فلسطينية تترأس بلدية مدينة بيت لحم، على جعلها أجمل المدن وأبهاها رغم الظروف الصعبة التي اعتادت المدينة أن تمر بها عبر العصور والأزمان.

الهوامش

1. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها"، حديث رقم (3443)، ص725.
2. محمد حسن شراب، معجن بلدان فلسطين، ص199.
3. خليل شوكة، تاريخ بيت لحم في العهد العثماني، ص15.
4. حسين روجي الخالدي، المختصر في جغرافية فلسطين، ص93.
5. حسين روجي الخالدي، مرجع سابق، ص45.
6. الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص454.
7. حسين روجي الخالدي، مرجع سابق، ص93.
8. حسين روجي الخالدي، مرجع سابق، ص93.
9. رمزي الحذوة، مدينة بيت لحم تاريخها وحاضرها، بحث غير منشور.
10. انظر المختصر في جغرافية فلسطين، ص94.
11. حسن البرميل، اتجاهات الرأي العام للاجئين الفلسطينيين نحو حق العودة، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ص450-ص451.
12. انظر خليل شوكة، تاريخ مدينة بيت لحم، مرجع سابق، ص15.
13. انظر غسان هرماس، باقة من أقوال المسيح، ص16.

مدينة خليل الرحمن والحرف التقليدية فيها

الخليل موقع وتاريخ

الخليل مدينة عريقة، تعد من أقدم مدن العالم، تقع جنوب فلسطين، وتبعد عن مدينة القدس مسافة (36 كم) وهي أرض جبلية ترتفع عن سطح البحر نحو (920م) ، وهي من مصايف فلسطين، غنيه بالينابيع، والآبار والعيون، مثل: عين عرب، وعين دير بحة، وعين نمرة، وعين الفوار، وعين سارة، وغيرها [مدينة الخليل وقراها المنهوبة والمدمرة، رشاد أبو جودة ص 4] ويعود تاريخ المدينة الى ما قبل سنة (3500) ق.م، اذ سكنها الكنعانيون، وذكر أن إبراهيم عليه السلام نزلها في أوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وتعاقب عليها الروم والمسلمون، واحتلتها الفرنجة، واستردها المسلمون، وفي العصر المملوكي والعثماني استعادت المدينة ازدهارها، واستمر ذلك في زمن الانتداب البريطاني، وبين سنتي (1948-1967م) امتد العمران شمالا حتى بلدة حلحول (الموسوعة الفلسطينية الميسرة، ص247) .

وأدى كون الخليل مركز قضاء الخليل، ووجود الحرم الإبراهيمي فيها إلى النمو والاهتمام بها في جميع العهود وتبلغ مساحة أراضيها (75642 دونما) وبلغ عدد سكانها (16677 نسمة) سنة 1922م [المختصر في جغرافية فلسطين، ص110] وبلغ عدد السكان (119401 نسمة) سنة 1977م و(163164 نسمة) سنة 2007م (الموسوعة الفلسطينية الميسرة، ص247) فيها جامعة الخليل، وجامعة بوليتكنيك فلسطين، وفيها صناعات وحرف كثيرة سأطرق إلى أهمها خلال هذا المقال.

أقام الصهاينة المستعمرة الاستيطانية كريات أربع، وهو الاسم الكنعاني للخليل، واستوطن داخل المدينة (400) من غلاة المستوطنين المتشددین المتعطشين للقتل والدماء، وما المجزرة التي قام بها الصهيوني المستوطن الطبيب باروخ غولد شتاين ببيعة، ففي 15 رمضان 1414هـجري الموافق 25\2\1994 ميلادي هاجم هذا المجرم المصلين وهم ساجدون في صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي فاستشهد (29) مصليا داخل الحرم و(31) مصليا خارج الحرم من رصاص الجنود ومئة وخمسين بجراح مختلفة، واستشهد العشرات في الانتفاضة الأخيرة برصاص المستوطنين الحاقدين، ولا ننسى إعدام بريطانيا للمجاهدين عطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل وفؤاد حجازي من صفد يوم الثلاثاء 17/6/1930م، وبعد مذبحه الحرم الإبراهيمي قامت سلطات الاحتلال بمصادرة تدريجية للحرم الإبراهيمي حتى سيطرت على نحو 80% من مساحته، وزادت حياة الفلسطينيين في المدينة تعقيدا وصعوبة، وأصبحت الخليل مركز محافظة في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية.

توصلت السلطة الفلسطينية والكيان الصهيوني في 15/1/1997م إلى التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق تنفيذي لإعادة انتشار القوات الصهيونية في الخليل، ونص الاتفاق على إعادة فتح شارع الشهداء فيها، ولكن هيئات هيئات أن يحترم الصهاينة المعاهدات والاتفاقيات!!

الحرم الإبراهيمي الشريف

يقع في قلب مدينة الخليل، وسمي بذلك نسبة إلى خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي سكن المنطقة، وقد بناه

الأمويون على مدافن الأنبياء، إبراهيم وإسحق ويعقوب وأزواجهم، ويعد رابع مسجد من مساجد الإسلام من حيث الأهمية الدينية، ويعتبر منبر الحرم تحفة فنية، صنع سنة (484م) زمن المنتصر بالله الفاطمي.

منذ الاحتلال الصهيوني في مدينة الخليل سنة 1967م، تكررت الاعتداءات على الحرم الإبراهيمي والمصلين فيه بعلم سلطات الاحتلال وسيطرتها، فمن الاعتداء على المصلين بالضرب والشتم، وسب الإسلام، وسيدنا محمد(ص)، والذات الإلهية، إلى منعهم من الدخول للصلاة، إلى وضع المواد الكيميائية الحارقة في مياه الشرب، إلى اللهو والغناء والرقص، وإدخال الطعام والشراب والكلاب، الى إغلاق الحرم أمام المصلين، ومنع ترميم المسجد وخدمته، ومنع الأذان فيه، وهذا كله يعرفه القاصي والداني.

الصناعات والحرف التقليدية في الخليل

عرفت الخليل بثلاثة أمور مركزية : الحرم الإبراهيمي، والعنب المميز الشهير، وصناعة الزجاج، وتشتهر مدينة الخليل بالكثير من الصناعات والحرف، وأهمها :

(1) صناعة الزجاج :

تعتمد هذه الصناعة على الأفران القديمة، وعلى النفخ في الأنابيب، ويذكر معتصم الأشهب من الخليل الذي ترجم أدبيات الخليل في أدب الرحالة الأوروبيين في القرنين الثامن والتاسع عشر، ذكر أنه لا يخلو أي تقرير من تقارير الرحالة الذين زاروا مدينة الخليل من الحديث عن صناعة الزجاج في المدينة،

ويقتبس الأشهب من نص للرحالة تومسون في كتابه حول هذه الصناعة " أن منتجات صناعة الزجاج في الخليل واسعة ومتعددة، وتفوق تلك التي شاهدها في مدينة سانت بطرس بيرج، ولا مجال للمقارنة "[مجلة العربي، العدد 654 ايار، ص59].

وذكر الرحالة بوجبنزي الذي زار المدينة سنة (1450م) أن هذه الصناعة فن تتميز به مدينة الخليل، كذلك الرحالة فليكس فابري الذي زار المدينة سنة (1483م) وأشار إلى أنه يعمل الكثير من العمال في هذه الحرفة، ووصف الزجاج بأنه معتم وفاتح، وأنهم كانوا يتوارثون هذه المهنة [انظر الخليل القديمة، سحر مدينة وعمارة تاريخيه، ص223]. وفي بداية القرن العشرين أصبحت هذه الصناعة شبه محصورة في عائلة الننتشة، واستخدمت في مدينة الخليل أكثر من طريقة لصناعة الزجاج، منها طريقة القوالب التي تكون معدة من المعدن بشكل الأداة المراد تصنيعها، حيث يتم التقاط العجينة الزجاجية، ومن ثم يتم النفخ داخل القالب لتتخذ الشكل المطلوب، وطريقة السكب. والطريقة الأكثر شهرة إذ زالت هي الأساس في صناعة الزجاج، فهي النفخ الحر بواسطة أنبوب من المعدن .

(2) صناعة الفخار:

وجدت هذه الصناعة في البلدة القديمة، ومن العائلات التي عملت فيها عائلة الفاخوري، وتشير سجلات المحكمة الشرعية الى وجود (6) مفاخر في مدينة الخليل، منها ثلاث لعائلة الفاخوري، وقد توفرت المادة الخام لهذه الصناعة في الخليل، التي تعتمد على مادة الصلصال الطينية التي تستخرج من منطقة الخليل، يضاف إليها الرمل والملح لزيادة تماسكها، وتصنع الأدوات بواسطة العجلة، وتزخرف بعض القطع باليد أو

بوساطة ملقط، ثم توضع في الفرن لفترة من الزمن، ويتم بيعها في الأسواق المحلية.

(3) صناعة الخزف:

ظهرت هذه الصناعة في الخليل في النصف الثاني من القرن العشرين، وارتبطت في بداية ظهورها بصناعة الفخار، وكان أول من عمل بها بشكل مستقل عن الفخار السيد عبد الرحيم جلال التميمي [الخليل القديمة، مرجع سابق، ص228] وتباع المنتجات في الأسواق المحلية، والقسم الأكبر يتم تصديره إلى أوروبا وأميركا اللاتينية.

(4) دباغة الجلود:

تركزت هذه الصناعة في المناطق التي تقل فيها كثافة البيوت، لأنها تحتاج إلى وجود مساحة مكشوفة لنشر الجلود عليها، لأنها تنتج الكثير من الروائح الكريهة، وتحتاج إلى بئر ماء، وأحواض تستخدم لغمر الجلود، وأهم المصنوعات الجلدية القديمة: القرب المصنوعة من جلود الأغنام، وتعتمد هذه الصناعة على توفر المواد الخام من جلود الحيوانات المختلفة، ويبدأ العمل بتمليح الجلود؛ لحفظها من التلف، ثم وضعها في أحواض ماء، ويستخدم الزرنିخ والشيد لتنظيف الصوف والشعر، ويقشط ويغسل، ويترك في ساحة مكشوفة لفترة من الزمن، وبعدها يدبغ الجلد بالسماق أو لحاء البلوط .

(5) تبييض النحاس :

يبدأ العمل بتنظيف أولي للأنية النحاسية، ثم يوضع عليها ماء نار (حامض الكلوردرېك) ويكرر وضع ماء النار مرة ثانية بعد إضافة مادة التوتيا التي تعمل على إطفائه من المواد

الحارقة، وتوضع الأنويه على مصدر النار، وبعد ذلك يتم تدليك الوعاء بالقصدير، الذي يكون على شكل قضبان يبلغ طول الواحد منها حوالي (30سم)، لم تعد هذه الحرفة موجودة في البلدة القديمة بعدما كانت معروفة ومشهورة، حيث أصبح أصحاب الأفران والمطاعم يقومون بهذا العمل بأنفسهم، فضلا عن وجود البديل عن الأواني النحاسية .

(6) حرفة الغزل والنسيج:

وجدت هذه الصناعة في البلدة القديمة، وقد ذكرها الرحالة الذين زاروا المدينة، ومنهم القساطلي سنة 1874م وقال: " أنه يوجد في هذه المدينة نحو خمسين نولا لنسيج العبي الزريفة، وأشغالهم بهذه الصنعة جيدة كالدمشقيين، وربما أحسن منهم" [الخليل القديمة، مرجع سابق ص236] واعتمدت هذه الصناعة على صوف الضان وشعر الماعز ووبر الجمال، وكان يتم استيراد خيوط الحرير والصوف الجاهز من الخارج، ووجدت سوق في المدينة سميت بسوق الغزل.

وتوجد حرف أخرى كثيرة اشتهرت وتشتهر بها مدينة الخليل منها، النجارة، والحدادة، ومعاصر زيت الزيتون القديمة، ومعاصر السمس، وصناعة الحلقوم بأنواعه المختلفة، وطحن الحبوب، والأكياس، ومعاطف الفرو.

قضية اللاجئين الفلسطينيين أعدل وأصدق قضية عرفها التاريخ

مقدمة

يشكل موضوع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم الأصلي الذي قام عليه الكيان الصهيوني، أساساً مهماً في الربط بين قضية فلسطين التي بدأت بشكل فعلي عام 1948م، وبين احتلال بقية أراضي فلسطين الذي تم في حزيران عام 1967م، ومن دون عودة اللاجئين البالغ عددهم الآن حوالي خمسة ملايين نسمة لن تتجج أية مفاوضات أو اتفاقات سلام، إذ يرفض اللاجئون تقزيم حق العودة واختزاله بعودة اللاجئين إلى أراضي الدولة الفلسطينية التي ستقام على مساحة 5650 كم²، وهي أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة، وتحاول إسرائيل أن تعيد جزءاً بسيطاً جداً من هؤلاء الفلسطينيين اللاجئين إلى أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية.

جذور القضية

تتلخص جذور القضية بأن اليهود الصهاينة - وبمساعدة بريطانيا دولة الانتداب على فلسطين، وبعض الدول كأمريكا وأوروبا - خططوا لإقامة دولة للصهاينة في فلسطين على حساب الشعب الفلسطيني، صاحب الحق التاريخي على أرض فلسطين، وبدأت القضية من مؤتمر بال في سويسرا عام 1897م، مروراً بوعد بلفور عام 1917م، وانتهاءً بانسحاب بريطانيا من فلسطين في 14/5/1948م، وتسليم البلاد والسلاح والمواقع للعصابات الصهيونية (شترين، والأرغون،

والهاجانة) المدربة تدريباً جيداً والمجهزة بكل أنواع الأسلحة. وكانت بريطانيا قد مهدت لذلك بأنها جعلت فلسطين تحت ظروف سياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية، ودولية، مناسبة لغرس هذا الكيان، وخلقه، وزرعه في فلسطين، وحمايته، ونموه، ورعرعته، حتى يقف على رجليه، ويسيطر على المنطقة كلها، وساعدت في ذلك بعض القوى العربية.

بلغ عدد اليهود في فلسطين في نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945م حوالي (660.000 نسمة) وفي هذه الفترة كان من الممكن رؤية التغير الذي طرأ على الجماهير اليهودية في فلسطين، واتضح أنهم يسيرون في طريق التبلور القومي، بحيث جعل بالإمكان القول إن فلسطين تتغير من قطر ذي قومية واحدة، هي القومية العربية، وجماهير يهودية حكمها حكم الأقلية، إلى قطر ثنائي القومية، يعيش فيه شعبان؛ العربي واليهودي، على علم أن نسيج المؤامرة كان في منتصف القرن (التاسع عشر) مؤامرة الصهيونية في طرد شعب فلسطين واقتلعه من أرضه وبيوته في يافا، وعكا، وتل الربيع، وزكريا، وعجور، والرملة، وحيفا، واللد، وصفد، وساعد الحركة الصهيونية في تحقيق هذا الهدف كما أسلفنا دول كبرى، وبعض القوى العربية، وظروف الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت في صالح الصهاينة، قال بن غوريون: (إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد بلفور، فالحرب العالمية الثانية ستأتي بالدولة اليهودية)، وبتطور القضية الفلسطينية، وفي ظل صمت دولي، وعلى مرأى من جميع العالم، تم تهجير حوالي 900.000 فلسطيني من (531) قرية ومدينة عام 1948م،

ويبلغ تعدادهم الآن حوالي خمسة ملايين لاجئ (عند إعداد هذا المقال، تموز 2009)، وعدد الشعب الفلسطيني حسب إحصائية 2008م حوالي (10 ملايين) فلسطيني، 13 % منهم في الضفة وغزة، ومنهم مليون لاجئ 25% من مجمل عدد اللاجئين، ويحاول اليهود حصر المفاوضات عليهم فقط. وجرى ما جرى في دير ياسين والدوايمة ومسجد دهمش في اللد، وخريش، ويافا، وزكريا، والبريج، وموضع المجازر، والتشريد، نضج واحترق من كثرة ما كتب وبحث حوله، (61) عاماً وما زال اللاجئين مشردين في كل بقاع العالم(وعند إصدار هذا الكتاب أصبح لهم مشردين 78 عاماً)، وستظل قضيتهم أعدل قضية عرفها التاريخ القديم والحديث بشهادة العالم أجمع، وستبقى مقلقة لأرباب السياسة الذين أخرجوا في عدم حلها، سيما وأن مشاكل اللاجئين في العالمم تحل بسرعة، خلال أيام، أو أشهر على الأكثر.

مخيمات اللاجئين الفلسطينيين

يبلغ عدد مخيمات اللاجئين في غزة، والضفة الغربية، ولبنان، وسوريا، والأردن، حسب وكالة الغوث (59) مخيماً، وهي، في غزة: جباليا، رفح، الشاطئ، خان يونس، النصيرات، البريج، المغازي، دير البلح. في الضفة: بلاطة، طولكرم، جنين، عسكر، الدهيشة، شعفاط، الجزون، قلنديا، العروب، الأمعري، نور شمس، الفارعة، عقبة جبر، دير عمار، عين السلطان ، مخيم رقم 1، عايدة، بيت جربين، الفوار، قدورة. في الأردن: الوحدات، ماركا، إربد، الحصن، الزرقاء، سوف، جرش، الطالبية، جبل الحسين، خان الشيخ. في سوريا: حمص، الست زينب، جرمانا، سبيطة، خان دنون، حماة، درعا، مخيم

الطوارئ في درعا، اليرموك. في لبنان: عين الحلوة، نهر البارد، الرشيدية، البرج الشمالي، البداوي، برج البراجنة، شاتيلا، البص، وبفل، المية ومية، خبيبة، مار إلياس [عبد ربه، 1996]. والعدد الحقيقي للمخيمات 76 مخيماً، فالمخيمات غير المسجلة لدى وكالة الغوث هي عبارة عن تجمعات سكانية للاجئين الفلسطينيين لا تدخل في لوائح الوكالة، ولا ترصد لها أية موازنات، ولا تستفيد من خدمات الوكالة، ومن هذه التجمعات: مخيمات حنارات والرمل في سوريا، والمعشوق والقاسمية في لبنان.

كيف يكون حق العودة حقاً مقدساً وقانونياً وممكناً؟

فلسطين للعرب الفلسطينيين، وإن تشريدكم عنها بقوة السلاح والقتل والتشريد وبالتأمر الدولي والمجازر المبرمجة لا يسقط حقهم في أراضيهم وبيوتهم والعودة إليها، فالقرارات الدولية موجودة، (وتشير بعض الدراسات والإحصاءات إلى أن سكان (442) قرية هجروا لأسباب عسكرية مباشرة أي 89% من مجموع القرى المهجرة والمدمرة، والحرب النفسية أدت إلى تهجير (50) قرية أي بنسبة 10% من مجموع القرى و(5) قرى خرجت طوعاً بناء على أمر المختار أو عمدة الحامولة [أبو ستة، 1999].

فالمرجعية الدولية وقرارات هيئة الأمم المتحدة تعطي شرعية العودة، وقوانينها تبين أن العودة ممكنة، ولكن في ظل ضغط إجباري على الدولة الصهيونية، (فقرار 194 الصادر عن الجمعية العامة في 1948/12/11م يطالب بإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم التي شردوا عنها، وليعيشوا بسلام مع

جيرانهم، وتشير إلى ذلك الفقرة (11) من هذا القرار) [عبد ربه، 1996].

وهذا القرار وغيره من القرارات مثل 3236 و 242 و 181 تقر حقوق الشعب الفلسطيني بمن فيهم اللاجئين، ويعتبر القرار 194 أهم قرار كما يقول الباحث الفلسطيني سلمان أبو ستة، إذ يتضمن القرار 194 الذي يعتبر أهم قرار للاجئين يحتوى على ثلاثة قرارات، وهي:

1. حق اللاجئين في العودة إلى بيوتهم
2. إنشاء آلية التنفيذ اسمها لجنة التوفيق الدولية.
3. يعطى اللاجئين الغوث والتشغيل إلى أن يعودوا إلى ديارهم [أبو ستة ، 1999].

ويعتبر منع إسرائيل، ومعارضتها لعودة اللاجئين استمراراً لخرق القوانين الدولية وتحديها، ولكن المجتمع الدولي لا يحرم ساكناً ويرضى بهذا التحدي، ولا يكلف نفسه بالضغط على الكيان الصهيوني لإعادة اللاجئين، وبالنسبة للتعويض لا يعتبر ثمناً للوطن، ولكنه ثمن للبعد والعذاب والخسائر التي لحقت بالفلسطينيين نتيجة بعده قهراً عن وطنه، فالقانون الدولي واضح بهذا الخصوص، وهو العودة والتعويض، وليس العودة أو التعويض.

من المسؤول عن تعويض اللاجئين نتيجة تهجيرهم؟

كما قلنا للاجئ حقان: حق العودة، وحق التعويض. العودة إلى دياره التي هو صاحبها، وتعويضه عن المعاناة، واستغلال الصهاينة لعقاراته، واستثمارها وعمل ملايين الدنانير طوال (61 عاماً) وهي عمر تشريد الشعب الفلسطيني، لهذا فالمسؤول

عن التعويض الحكومات والسلطات المسؤولة وهيئة الأمم المتحدة، وبريطانيا، وكل من له تأثير على اللجوء، فقد عانى الفلسطينيون معاناة لم تحدث لشعب في التاريخ، تمثلت في طردهم الجماعي من بيوتهم، ورميهم في العراء، ومصادرة حقوقهم، وتصفيتهم جسديا وتدنيس مقدساتهم، وانتهاك حرمتهم، بشكل يخالف كل المبادئ السماوية، والقوانين، والأعراف الدولية، وهذا وصمة عار على جبين العالم، والمنظمات الدولية، التي تقف متفرجة، ومساعدة للمجرم على الاستمرار في طغيانه وإجرامه. وقد نظمت حكومة كندا في فترة سابقة ورشة عمل كان هدفها تحديد الأساس القانوني للتعويض، ومن يستحقه وكيفية تنفيذ ذلك، وعرض الإسرائيليون المشاركون في الورشة آراءهم في قضية التعويض وشروطهم، (وقام الباحث الفلسطيني الدكتور سلمان أبو ستة باستعراض الحجج الإسرائيلية، ولخص آراء خبراء القانون الدولي في الموضوع نفسه، وهي آراء جاءت بمجملها مضادة للحجج الإسرائيلية) [انظر جريدة الأيام، 29/6/1999م].

من آراء القانون الدولي بالعودة والتعويض

التعويض حق معترف به حسب القانون الدولي، وهناك (40) حالة دولية مماثلة تم فيها دفع التعويض دون شرط. وبعض آراء الخبراء تنطلق من الآتية:

1. حق العودة والتعويض في القانون الدولي يقوم على أن كل ضرر يقابله الالتزام بإصلاح الضرر، وتم إدراج هذا الحق في القانون الدولي لحقوق الإنسان، وفي مؤتمر القانون الدولي الذي عقد في القاهرة في عام 1992م

وصدر عنه مبادئ القانون الدولي لتعويض اللاجئين،
وخلاصة الإعلان إنه إذا طردت دولة مواطنيها مباشرة
أو بشكل غير مباشر، فإن لهم حق العودة والتعويض معا
[جريدة الأيام ، 1999/9/29م].

2. من الحالات الدولية التي تمت فيها العودة والتعويض؛
حادثة الذين طردوا من القرم 1944م، والمرأة التي
رفعت قضية في استرجاع حقها وملك لها في قبرص
التركية، وأصدرت المحكمة الأوروبية في
1998/7/28م حكماً بالاسترجاع والتعويض. [أبو ستة،
1999].

3. يؤكد رجال القانون الدولي أن حق اللاجئين لا يسقط
بتوقيع أي اتفاق، فهو حق فردي مطلق، ولا يسقط
بالتقادم وليس له حد زمني [أبو ستة، 1999]. وهناك آراء
كثيرة للخبراء لا مجال لذكرها في هذا المقام، أو في هذه
العجالة.

اللاجنون ومفاتيح بيوتهم التي هجروا منها

إن العديد من الفلسطينيين ممن هجروا من فلسطين عام
1948م ما زالوا حتى الآن يحتفظون بمفاتيح منازلهم التي
هجروا منها في فلسطين، وذلك شعوراً منهم بالارتباط العميق
بأراضيهم وممتلكاتهم وبحقهم المقدس في العودة، وأنها حاصلة
لا محالة. وكما يقول محمود عبيد (أبو إبراهيم) من قرية بيت
عطاب، والذي توفي في هذا العام 2009م عن عمر يناهز 110
أعوام: (هذه المفاتيح رمز لحقنا في أراضينا، وأننا هجرنا عنها
بالقوة والقتل، ولا بد من العودة إليها بالوحدة والقوة، ووقوف
المسلمين والعرب معنا والعالم أجمع، وستظل الأجيال تتوارث

هذه المفاتيح، كي لا ينسوا أراضيهـم وحقوقهم إلى أن تتم العودة) [حوار الكاتب مع محمود عبيد، 2007م].

بتاريخ 1949/12/8م صدر قرار عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (302) القاضي بتأسيس وكالة الغوث الدولية، لترعى شؤون اللاجئين الفلسطينيين، وتهتم بهم، حيث تقاعست الأمم المتحدة عن تنفيذ القرار (194) فلجأت إلى الالتفاف حوله بإقامة الأونروا التي هدفها إغاثة اللاجئين، أما الشعب الفلسطيني فيريد الإغاثة إلى أن يتسنى له حق العودة [سمارة، 1992].

ونلاحظ في السنوات الأخيرة التقليلـات في البرامج التي تقدمها الوكالة كافة، خصوصاً في المجال الصحي، وحسب التقديرات التي تشير إليها دراسات استطلاعات الرأي على عمل الوكالة، فإنها قلصت أكثر من 70% من خدماتها خلال العشر سنوات الأخيرة، وعند زيارة مدارس الوكالة، وعياداتها الطبية، تلاحظ هذه الحقيقة، وهذه مؤشرات من حق الناس أن يقولوا عنها أنها تمهيد للدمج والتوطين، وفرض حل مصطنع لمشكلة اللاجئين (وحمل الدكتور أسعد عبد الرحمن كامل المسؤولية في العجز الذي تعانيه الوكالة لتقصير الدول المانحة، وسوء إدارة وكالة الغوث، الأمر الذي يعالج بعدم تسلم بيرت هانس المفوض العام للأونروا مهام قيادتها) [نضال الشعب، 1997م]. ولكني أختلف مع الدكتور أسعد عبد الرحمن الرئيس السابق لدائرة شؤون اللاجئين في السلطة الفلسطينية حول ما تدعيه الوكالة أن هناك عجزاً في ميزانيتها فأرى أن العجز المدعى هو تبرير لتقليص الخدمات، وبالتالي إنهاء الوكالة، وتصفية القضية، حيث إن وكالة الغوث هي الشاهد الرئيس

على تشريد ملايين الفلسطينيين، وعدم إعادتهم إلى بيوتهم،
ويبدو أن هناك عوامل سياسية، وقوى من خلف الوكالة، هي
التي تحركها باتجاه الحل السياسي الهزيل للقضية الفلسطينية.

وأخيراً لا بد من تمسك الفلسطيني بحقوقه، وأن يستمر
بالمطالبة بالمرجعية الدولية وعليه أن لا يستعجل الحلول
والتفاوض مع العدو، الذي يتربص به ليوقعه في شرك
مؤامراته، لإنهاء القضية العادلة، والنهج السلمي التصفوي،
الذي بدأ الترويج له منذ عقود للتخلص من اللاجئين وتصفية
قضيتهم، ومن يمثل اللاجئ هو الحريص والأمين على حقه
وسلامته وعودته إلى الأرض التي شرد عنها، ولا يوجد في
برنامج بديل عن العودة. ورحم الله أبا سلمى القائل في قصيدة
(سنعود) من ديوان المشرد:

فلسطين الحبيبة كيف أحيا

بعيداً عن سهولك والهضاب

فلسطين الحبيبة كيف أغفو

وفي عيين أطيف العذاب

ويسألني الرفاق ألا لقاء

وهل من عودة بعد الغياب ؟

غداً سنعود والأجيال تصغي

وفوق شفاهنا حمر الرغاب

نعود مع العواصف داويات

مع البرق المقدس والشهاب

مع الرايات دامية الحواشي

على وهج الأسنة والحراب

اللاجئون الفلسطينيون وحقوقهم في القانون الدولي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم :[أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39)الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)].
(الحج:39-40)

بعد مرور خمسة وستين عاماً على تشريد مليون فلسطين من قراهم ومدنهم في أراضي عام 1948م بقوة السلاح والإرهاب، وعجز المجتمع الدولي عن إيجاد حل لهؤلاء اللاجئين الذين أصبح عددهم الآن سبعة ملايين لاجئ، وانتشار ظاهرة اليأس في أوساطهم ، وتردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية في مختلف أماكن الوجود الفلسطيني، ما زال اللاجئين الفلسطينيون متمسكين بحقوقهم كاملة ، وفي مقدمتها حق العودة والتعويض. وتظهر بين حين وآخر اتجاهات عديدة تدعو إلى إحياء قضيتهم، معتبرين تقديم الخدمات، وحق العودة خطأ لا يمكن تجاوزه لأي كان .

نظرة في حقوق اللاجئين

لقد أصبح حق العودة مفهوماً يدركه اللاجئ الفلسطيني، وأصبح هذا الحق مرجعية الفعل الاجتماعي الفلسطيني بمضامينه الاجتماعية والسياسية المختلفة، وكما يمثل الإطار الديناميكي للنضال الفلسطيني ضد الاحتلال. ويمنع إخضاع هذا الحق للحسابات السياسية أو للاتفاقات المرحلية، ويمنع التنازل عنه تحت غطاء اللاواقعية في إيجاد آلية لتنفيذ قرار حق العودة من قبيل المجاملة السياسية لإسرائيل لأغراض نفعية شخصية؛ لأن في ذلك تكريساً للأهداف الصهيونية القائمة على التوطين

أو الدمج أو الحلول الاقتصادية أو بالعودة المشروطة إلى أماكن السلطة الوطنية الفلسطينية، وبالتالي نسف كل قرارات الشرعية الدولية التي أكدت على حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا منها، لهذا نجد إسرائيل غير راضية عن وكالة الغوث (الأونروا) ليس فقط بسبب صفتها الدولية الشاهد على مشكلة اللاجئين ، وإنما لكونها جهازاً ثبت فشله في تفكيك المشكلة من وجهة نظر إسرائيلية.

إن لقضية اللاجئين الفلسطينيين أهمية دولية كبرى، فهذه القضية أرقّت صانعي القرار في المجتمع الدولي ، والمؤسسات الدولية، فاستحوذت على الكثير من القرارات الدولية التي صنعت في أروقة الأمم المتحدة، والتي أكدت في مجملها حقوق اللاجئين في الإغاثة والتشغيل والحماية والمساعدة، وحق العودة، وفشلت جميع مشاريع حل هذه القضية المستندة إلى القرارات الدولية والقانون الدولي بسبب رفض الجانب الإسرائيلي حق العودة ، ورفض الجانب العربي إعادة التوطين، فاستمرت مأساة اللاجئين، وطال أمدها، والمعاناة تتصاعد وتتفاقم، حيث ما يزال اللاجئين الفلسطينيون يعيشون في المخيمات في ظروف اقتصادية واجتماعية ونفسية سيئة جداً. على الرغم أنهم الرقم الصعب على الخريطة السياسية، وفي معادلة الصراع، ويفترض أن يكونوا على قائمة اهتمامات الوطن دائماً.

القرارات الدولية الخاصة باللاجئين الفلسطينيين

لقد صدر عن مجلس الأمن، والجمعية العمومية في هيئة الأمم المتحدة أكثر من (50) قراراً تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر باللاجئين الفلسطينيين ، ومساعدتهم ، وحمايتهم،

وعودتهم، وتعويضهم، وإعطائهم حقوقهم كافة، وحسن رعايتهم، واستضافتهم في البلدان المضيفة التي هجروا إليها، وكلها صادرة بصفة قانونية يحميها القانون الدولي. وأهم هذه القرارات:

قرار (194) الصادر بتاريخ 11/12/1948م. والمتعلق مباشرة بحق العودة والتعويض، وقرار (302) الصادر في 8/12/1949م القاضي بتأسيس وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى، وقرار (2121) الصادر في 19/11/1948م، وقرار (1514) الصادر في 14/12/1960م، وقرار (237) الصادر عن مجلس الأمن في 14/6/1967م، وقرار (242) الصادر في 22/11/1967م، وقرار رقم (2588) الصادر بتاريخ 15/12/1969م، وقرار (2621) الصادر في 12/10/1970م، وقرار (2672) الصادر في 8/12/1970م، وقرار (2628) الصادر بتاريخ 4/11/1970م، وقرار (2792) الصادر في عام 1971م، وقرار (3236) الصادر بتاريخ 22/11/1974م، وقرار (3151) الصادر بتاريخ 14/12/1973م، وقرار (3379) الصادر بتاريخ 10/11/1975م، وقرار (2649) الصادر بتاريخ 30/11/1970م .

لقد تناولت وركرت هذه القارات وغيرها في مجملها على القضايا المحورية الآتية:

1. حق العودة والتعويض عن الخسائر التي لحقت بممتلكات اللاجئين بسبب عدم استخدامها خلال اللجوء أو الضرر الذي أصابها.
2. قضية اللاجئين باقية وحية بشهادة عملية من الأمم المتحدة ما دام اللاجئين بعيدين عن أراضيهم، ولم تتم إعادتهم إليها.

3. حق العودة والتعويض حق فردي وجماعي لا يسقط بالتقادم، وهذا الحق غير قابل للتصرف من أي جهة كانت، وهو مكفول بوجوبية الاحترام حتى في أثناء الحرب.

4. تقديم الغوث والمساعدة، وتوفير العمل لجميع اللاجئين بكل الطرق والأساليب والغوث والمساعدة وتشمل الكثير من مفاصل الحياة أهمها: الصحة والتعليم ، والتموين، والماء، والإنارة، والطاقة، وما شابه ذلك، وهذا حق اللاجئ في المساعدة حتى انتهاء المعاناة والعودة إلى بيته وأرضه، لتزول عنه صفة اللجوء.

5. تعريض مشكلة اللاجئين الفلسطينيين السلم والأمن الدوليين للخطر ما دامت قائمة.

6. العودة والتعويض لمن يرغب من اللاجئين في العودة، والتعويض الكامل لمن لا يرغب في العودة.

7. احترام حقوق الفلسطينيين عنصر لا غنى عنه من أجل إقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط.

8. الأخذ بمبدأ المساواة بين الشعوب في الحقوق ، والإعداد لبرامج تنفيذية تكون غايتها تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المعترف بها دولياً.

9. مناشدة جميع الدول والمنظمات الدولية أن تمد بدعمها الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترداد حقوقه ، وتقديم المساعدات للاجئين.

10. الإقرار بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين نشأت عن إنكار حقوقهم الثابتة التي لا يمكن التخلي عنها ، وبأن اللاجئين شعب لا مجرد كتلة من اللاجئين ولهم حقوقهم الدولية.

حقوق اللاجئين والمزايا بموجب الاتفاقيات والمواثيق الدولية

إن حاجات اللاجئين الذين يعيشون في بلد اللجوء كثيرة، ويعتمدون في توفيرها وتحقيقها على الحكومة المضيفة، وعلى

المساعدات الدولية، وتقوم معايير المعاملة التي يمكن للاجئ توقعها من بلد اللجوء تكون مستمدة من البلد المضيف تقوم بمعاملة اللاجئ الذي في بلدها بناء على قانون اللاجئين، وقانون حقوق الإنسان، واتفاقية سنة 1951م، وبروتوكول سنة 1967م وهي:

1. عدم التمييز: ويقوم على عدم ممارسة أي تمييز عنصري ضد اللاجئين ، وتوفير الأمن الجسدي المتمثل بصورتيه الحماية من الإبعاد، والعنف.
2. مبدأ عدم الرد.
3. مبدأ توفير الأمن والمساعدة الإنسانية.
4. العمل والتوظيف.
5. حرية الحركة والتنقل.
6. التعليم.
7. الوثائق الشخصية ووحدة الأسرة.
8. الحماية وتقوم على توفير الحقوق في الأمن، والغذاء، والمأوى، والماء، والصحة، وتعزيز الأمن الشامل بتوفير الإنارة (الكهرباء) الملائمة، ووضع التسهيلات الصحية في أماكن آمنة، وفيها إنارة جيدة، والحصول على الإغاثة، والمساعدة، والحماية عن طريق الضمان الاجتماعي.

أين يعيش اللاجئون الفلسطينيون اليوم ؟

تقديرات توزيع اللاجئين الفلسطينيين وفقاً لمنطقة السكن حسب إحصائية سنة 2003م أوردها الدكتور حسن البرميل في أطروحته الدكتوراه سنة 2003م:

العدد	المكان	العدد	المكان
415,066	لبنان	703,512	الضفة الغربية
6,523	الدول العربية	115,542	العراق وليبيا

قطاع غزة	922,674	سوريا	436,157
السعودية	39,402	أميركا	236,357
الأردن	2,797,674	مصر	61,917
دول الخليج عدا السعودية	124,230	الدول الأجنبية الأخرى	300,977

اللاجئون الفلسطينيون يعانون على جميع الأصعدة بسبب تهجيرهم، وطردهم، واقتلاعهم من بيوتهم وأرضهم بقوة السلاح، والإرهاب، وعدم السماح لهم من الانقاع من ممتلكاتهم؛ لهذا فمن حقهم الحصول على حق العودة والتعويض نتيجة استغلال الصهاينة المحتلين عقاراتهم، والحصول على مليارات الدولارات من استثمارها بدون حق أو وجه شرعي أو قانوني طوال مدة التشريد والتهجير، وما زال يلاقي فيها اللاجئ الفلسطيني أقسى وأشد أنواع العذاب والقهر والحرمان، والغربة. وهذان الحقان أقرهما القانون الدولي، واعترف بهما المجتمع الدولي برمته، ويقول الخبراء في القانون الدولي في هذا الأمر:

- أ. حق العودة ، والتعويض في القانون الدولي يقوم على أن كل ضرر يقابله الالتزام بإصلاح الضرر.
- ب. يؤكد القانونيون الدوليون أن حق اللاجئين لا يسقط بتوقيع أي اتفاق، فهو حق فردي مطلق، ولا يسقط بالتقادم، والحق يتعلق بالخدمات والمساعدات، والعودة والتعويض، وكل الاتفاقات بدون موافقة اللاجئ الفردي نفسه باطلة. لهذا، لا بد من تمسك كل فلسطيني بهذا الحق، والاستمرار بالمطالبة به، والتأكد والإدراك بأن الحقوق تنتزع انتزاعاً، وعدم فقد الأمل، وعدم القبول بالتسوية، أو المفاوضة أو التنازل عن هذا الحق، فهو حق مقدس، ومن الثوابت الفلسطينية الراسخة والثابتة.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. اتجاهات الرأي العام للاجئين الفلسطينيين نحو حق العودة، دراسة ميدانية في الضفة الغربية وقطاع غزة، حسن عبد الرحمن البرميل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، 2003م، مصر.
3. الدليل الخاص بحماية اللاجئين الفلسطينيين، إصدار بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، 2009م، فلسطين.
4. اللاجئون الفلسطينيون في القانون الدولي، مساق يدرس في كلية الحقوق، جامعة القدس، فلسطين.
5. اللاجئون وحلم العودة إلى أرض البرتقال الحزين، صلاح عبد ربه، إصدار مركز بديل، 1996م، فلسطين.
6. فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003م، فلسطين.

الفلسطينيون (71) عاماً من اللجوء والمجازر والعذاب. وماذا بعد؟

المقدمة

إن حجم المجازر التي تعرض لها الشعب الفلسطيني وعظمتها وصلت درجة تفوق الخيال، وكل التوقعات، مما دفع بعض قادة الصهاينة أنفسهم إلى أن يصرحوا بأقوال تشير إلى ضخامة هذه المجازر وبشاعتها، فيقول القائد الصهيوني هارون كوين: "ذبح سكان قرى بأكملها، وقطعت أصابع النساء، وأذانهن، لانتزاع القطع الذهبية منها" ويقول الحاخام الصهيوني يوثيل بن نون: "الظلم التاريخي الذي الحقاه بالفلسطينيين أكثر مما ألحقه العالم بنا".⁽¹⁾

في هذا المقال البحثي، سأحدث عن نكبة الشعب الفلسطيني، وما رافقها وتبعها وتلاها من نكبات، ومجازر، ومعاناة، ودمار حل وما زال يحل بالشعب الفلسطيني المجاهد، والفايض على الجمر منذ أكثر من (71) عاماً، من أجل إنعاش الذاكرة، وتنوير الجيل الجديد بأحداث النكبة ومعانيها.

نكبة سنة 1948م

إن استلها الماضي بصورته الصحيحة والحقيقية، يشكل دافعاً وحافزاً للنضال، وعامل ثبات وتقدم، ومعرفة التاريخ شرط أساس من شروط معرفة النفس، وهذا كله يصب في خندق مجابهة التحديات، والتغلب عليها، وإن معرفة الشعوب النائرة صاحبة الحقوق لماضيها، والواعية على حاضرها

تساعد على تخطي كل ما يعيق إحراز النصر في مواجهة محتاليها وجلاديهها، والانتصار عليهم، وانتزاع حقوقها انتزاعاً، فالحق ينتزع ولا يستجدى، ولا يقدم على طبق من ذهب، أو فضة.

تعتبر نكبة الفلسطينيين عام 1948م وصمة عار في جبين العالم والإنسانية، وهينة الأمم المتحدة التي أصدرت عشرات القرارات بحق العودة والتعويض، والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، ولم تطبق قراراً واحداً، فامتدت النكبة أكثر من (71) عاماً، والشعب الفلسطيني مشرد عن أرضه، ويعاني ويلات اللجوء، وظلم الاحتلال، وعدوانه ليل نهار. فلقد تعرض الشعب الفلسطيني إلى تطهير عرقي شامل وكامل، كما أشار وبين الباحث والمؤرخ اليهودي إيلان بابيه في كتابه "التطهير العرقي في فلسطين" فيقول: "إنني أتهم السياسيين الذين خططوا والجنرالات الذين نفذوا الخطة، بارتكاب جريمة تطهير عرقي، وإنني عندما أذكر أسماءهم، لا أفعل ذلك لأنني أريد رؤيتهم يحاكمون بعد وفاتهم، وإنما كي أستحضر مرتكبي الجرائم والضحايا بصفاتهم بشراً، وكي أحول دون إرجاع الجرائم التي ارتكبتها إسرائيل إلى عوامل زنبقية مثل الظروف، أو الجيش، وما شابه ذلك من تعابير غامضة تسمح للدول ذات السيادة بالإفلات من تبعات ما ترتكبه من جرائم، وللأفراد بالإفلات من قبضة العدالة، إنني أتهم، لكني أيضاً جزء من المجتمع المدان"⁽²⁾، وكان مخطط القتل والطرده والتهجير قبل سنة 1948م بكثير، ففي حزيران سنة 1938م يقول الزعيم الصهيوني دافيد بن غوريون مخاطباً اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية "أنا أؤيد الترحيل القسري، ولا أرى فيه شيئاً غير

أخلاقي"(3) وكان قد وجه رسالة إلى قادة الهاجاناة تذكرهم بأن تطهير فلسطين يبقى الهدف للخطة دالت (وهي الخطة التي نفذتها العصابات الصهيونية في جرائمها ضد الفلسطينيين عام 1948م وألويتها العسكرية، غولائي، وكرياتي، والكسندروني، وهرئيل الذي كان بقيادة اسحق رابين، ولواء عتسيوني، وغيرها، فمثلاً كلف اللواء الصهيوني مهمة تطهير وتدمير القرى الواقعة إلى الشرق والشمال من تل أبيب، ويافا، ومن ثم التحرك مع وحدات أخرى بإخلاء الساحل الفلسطيني من السكان الفلسطينيين حتى مدينة حيفا، ومن ثم مهاجمة وتطهير طيرة حيفا، وعين غزال، وإجزم، وكفرلام، وجبع، وعين حوض، والمزار، وفي بعض الحالات كان يحدث القتل، والإعدام والتصفية بناء على قائمة معدة مسبقاً، ومأخوذة من ملفات خاصة تشتمل على من شارك في ثورة 1936م مثلاً، وكانت العصابات تستخدم الجرافات الكبيرة في التدمير والتهجير من خلال مكرهم الأسطوري الذي يسوقونه للعالم بأن إسرائيل تخوض حرباً من أجل البقاء، وكانت العصابات الصهيونية تتلقى الأسلحة والدعم من دول كثيرة في العالم خاصة الكتلة الشيوعية الشرقية والتي فترة الهجوم في أيار 1948م أرسلت أسلحة متطورة، خاصة المدافع الجديدة من عيار 0.45 التي لا مثيل لها لدى القوات العربية، وكان للحزب الشيوعي الإسرائيلي الدور الكبير في ترتيب هذا الدعم.(4)

وتعود أسباب خسارة الفلسطينيين في النكبة إلى:

1- انسحاب بعض القوات العربية من مواقع القتال، مما أتاح احتلال مساحات واسعة من الأراضي، ومن هذه المناطق: النقب، والجليل الأعلى.

2- اختلاف ميزان القوى من حيث العدد والعدة، فالقوات العربية كانت حوالي (22) ألف مقاتل، والعصابات الصهيونية حوالي (62) ألف مقاتل.

3- اكتساب الميليشيات الصهيونية لخبرات كثيرة اكتسبتها من الحربين العالمية الأولى والثانية، واستخدمت هذه الخبرات في فلسطين.

4- ضعف المقاومة والتنظيم الفلسطيني، وقلة التسليح .

5- مساندة أميركا وإنجلترا وفرنسا لوجود دولة يهودية في فلسطين⁽⁵⁾، وعند استشهاد عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس في فلسطين يوم 1948/4/7م، وجدت في جيبه الرسالة الرسمية المشهورة التي كانت موجهة للأمين العام لجامعة الدول العربية وموقعة باسمه وهذا نصها: " السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية- القاهرة. إنني أحملكم المسؤولية بعد أن تركتم جنودي في أوج انتصاراتهم بدون عون أو سلاح."⁽⁶⁾.

من المذابح الصهيونية التي ارتكبتها العصابات الصهيونية سنة 1947م وسنة 1948م، وما بعدها

لو أردنا أن نكتب عن المجازر خلال (72) سنة من 1947م حتى الآن، لما كفتنا الآف الصفحات والمجلدات، لتصف ما قام، ويقوم به الاحتلال الصهيوني وعصاباته ضد شعبنا من اغتيلات، وقتل، وذبح، وتشريد، وترويع، ومصادرة، وسجن، وهدم بيوت، ومنع تجول، ونفي، وإبعاد خارج الوطن، واجتياحات، ومنعنا من الصلاة ودخول القدس، والحرمان من الدراسة والسفر و... ولا بد أن نشير إلى أشهر المذابح التي ارتكبتها العصابات الصهيونية (شتيرن والأرغون والهاجانة) ضد شعبنا، حتى لا ينسى أطفالنا ما ارتكبه الصهاينة ضد وجودهم وطفولتهم، وشعبهم، ولتبقى أرواح الشهداء تطارد القتلة المجرمين. وهي: مذبحة بلدة الشيخ في 31/12/1947م، ومذبحة قرية الحسينية الواقعة شمال شرق صفد، والتي قامت بها عصابات البالماح التابعة للهاجانة في 13/3/1948م، فاستشهد (15) فلسطينياً وجرح أكثر من (20) بجراح خطيرة، وتم نسف (12) منزلاً⁽⁷⁾. ومجزرة الطنطورة في 22/5/1948م، ومذبحة قرية أبو شوشة في 14/5/1948م، ومذبحة دير ياسين في 9/4/1948م، ومذبحة نحالين في 29/3/1954م، ومذبحة دير أيوب في 2/11/1954م، ومذبحة كفر قاسم في 29/10/1956م، ومذبحة خان يونس في 3/11/1956م، ومذبحة السموع في 13/11/1966م، ومذبحة صبرا وشاتيلا في 17/9/1982م، ومذبحة عين الحلوة في 17/5/1984م، ومذبحة الحرم الإبراهيمي في 25/2/1994م،

ومذبحة قانا 18/4/1996م حيث استشهد أكثر من (106) من المدنيين الفلسطينيين الذين لجأوا إلى مقر الوحدة الدولية للأمم المتحدة اليونيفيل ومذبحة مخيم جنين من 29/3 - 9/4/2002م، وكان من اللافت للانتباه أن الاهتمام انصب في المجازر التي حصلت خلال سنة 1948م وما تلاها خاصة مذبحة دير ياسين، على الرغم من حدوث مجازر مروعة قبل 1948م منها مجزرة قرية الشيخ في 31/12/1947م، وذهب ضحيتها حوالي (600) شهيد فلسطيني مدني، فالعصابات الصهيونية اعتادت على ارتكاب مجازر جماعية ضد الأبرياء المدنيين الأمنيين في بيوتهم خاصة النساء والأطفال.

من القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية

على الرغم من صدور أكثر من (100) قرار عن مجلس الأمن والجمعية العمومية في هيئة الأمم المتحدة تتعلق بالقضية الفلسطينية وباللاجئين الفلسطينيين، تدين وتشجب الاحتلال الصهيوني، وتدعوه إلى الالتزام بها، وتطبيق بنودها، إلا أن الاحتلال الاسرائيلي لم يطبق، ولم يلتزم بأي من هذه القرارات، ولم تسع الهيئة الدولية لتطبيقها بالضغط على الاحتلال، أو تهديده باستخدام القوة، أو بأي إجراء كان، بينما كانت تطلق قراراته، وتدعو إلى شن حروب ضد دول لأسباب تافهة وبسيطة وكاذبة كالحروب المتتالية على العراق وأفغانستان، فالأمم المتحدة تكيل بمكيالين، وتجعل من الاحتلال الصهيوني كياناً فوق القانون. ومن القرارات الدولية بشأن القضية الفلسطينية:

1- القرار رقم (194) الصادر عن الجمعية العمومية في 1948/12/11م، وتحدث القرار عن اتخاذ التدابير اللازمة بغية حل جميع المشاكل المتعلقة بفلسطين، وتسوية النزاع، ووجوب السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم، والعيش في سلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكاتهم التي فقدوها، وكذلك دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة بموجب مبادئ القانون الدولي⁽⁸⁾ على الرغم أنه كان شرط قبول كيان الاحتلال في الأمم المتحدة أن تطبق هذا القرار، ولم تطبقه، ولم تعره أي اهتمام، وقبلت في الأمم المتحدة.

2- القرار رقم (242) الصادر عن مجلس الأمن في 1967/11/22م، صدر بعد النكسة، حيث شنت دولة الاحتلال عدواناً على الدول العربية في حرب خاطفة سميت بحرب الأيام الستة فاحتلت الضفة الغربية (5860 كم²) من الأردن، وقطاع غزة (365 كم²) من مصر، وهما ما تبقى من فلسطين، كما احتلت الجولان من سوريا (1800 كم²)، وصحراء سيناء (60000 كم²) من مصر. ويؤكد هذا القرار على وجوب انسحاب دولة الاحتلال الإسرائيلي من الأراضي التي احتلتها في هذه الحرب، ويؤكد على عدم جواز اكتساب أي إقليم بالحرب، وضرورة إقامة سلام عادل ودائم يتيح لكل دولة في المنطقة أن تحيا حياة آمنة⁽⁹⁾.

3- القرار رقم (3236) صدر عن الجمعية العامة في 1974/11/22م، اذ يؤكد هذا القرار بأن مشكلة فلسطين تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر، وأن الشعب الفلسطيني قد

منع من التمتع بحقوقه غير القابلة للتصرف، ويؤكد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم دون تدخل خارجي، والحق في الاستقلال والسيادة الوطنية، وحق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، وتعويضهم عن خسارة ممتلكاتهم، وعن معاناتهم المريرة، ويؤكد القرار أيضاً إلى أن الشعب الفلسطيني طرف رئيس في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط. والمهم في القرار اعترافه بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقاً لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، ويناشد القرار جميع الدول والمنظمات الدولية أن تساند وتدعم الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترداد حقوقه، ويطلب القرار من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقيم اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل الشؤون المتعلقة بقضية فلسطين.⁽¹⁰⁾

4- القرار رقم (452) الصادر عن مجلس الأمن في 1979/7/22، والذي اعتبر أن المستوطنات في الأراضي المحتلة لا تحمل أي صفة قانونية، وأن الوضع القانوني للقدس لا يمكن تغييره من جانب واحد.⁽¹¹⁾

5- قرار رقم (672) الصادر عن مجلس الأمن في 1990/10/12م الذي يدين ويشجب قتل قوات الاحتلال الصهيوني أكثر من (20) فلسطينياً عزل في المسجد الأقصى، وإصابة (150) آخرين بجراح مختلفة.

6- القرار رقم (2334) الصادر عن مجلس الأمن في 2016/12/23م، ويدعو إلى وضع نهاية للمستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية.⁽¹²⁾

مشاريع توطين اللاجئين الفلسطينيين

ظهرت محاولات كثيرة للبحث عن مشاريع حلول سياسية لقضية اللاجئين الفلسطينيين وتوطينهم، ضمن مخططات تهدف إلى تهجير الفلسطينيين وتشتيتهم وتصفية وجودهم، وحقوقهم الوطنية، ومن هذه المشاريع ما هو أميركي ومنها ما هو أوروبي، ومنها ما هو صادر عن كيان الاحتلال الصهيوني، وجميعها فشلت وسقطت بفضل قوة الفلسطينيين وصلابتهم في رفضهم هذه المشاريع التصفوية الخبيثة، ومن هذه المشاريع:

1- مشروع بلاند فورد الأمريكي سنة 1951م، ويعمل على إعادة دمج اللاجئين في أراضي الدول التي يتواجدون فيها على مدى ثلاث سنوات.⁽¹³⁾

2- مشروع جونستون الأمريكي سنة 1953م، ويقوم هذا المشروع على تطوير وادي الأردن، وتوليد الطاقة الكهربائية، واتباع خطة بأسلوب اقتصادي تجنب بسهولة عقبات الحل السياسي.⁽¹⁴⁾

3- مشروع سميث بروتي الأمريكي سنة 1953م، يدعو المشروع إلى زيادة الضغط على الدول العربية؛ لفتح أبوابها للاجئين، ووقف معونة الأمم المتحدة (وكالة الغوث) بعد مدة محدودة، وتقديم الولايات المتحدة الأمريكية المعونة إلى الدول التي توفر مساكن للاجئين الفلسطينيين، ومنحهم حق المواطنة.

4- مشروع دالاس الأمريكي سنة 1954م، ويركز هذا المشروع على إعادة تأهيل اللاجئين، أو توطينهم في البلدان العربية التي هاجروا إليها.⁽¹⁵⁾

5- مشروع همفري الأمريكي سنة 1957م، ويدعو إلى إعادة التوطين مع التعويض، خاصة في العراق ووداي الأردن.⁽¹⁶⁾

6- مشروع همرشلود الأمريكي سنة 1959م، وينص على تعزيز قدرة اللاجئين على إعالة أنفسهم، والاستغناء عن المساعدات التي تقدمها اليهم وكالة الغوث، وتوطينهم في الأماكن التي يتواجدون فيها، ومناشدة الدول العربية التعاون مع الوكالة الدولية لتنفيذ المشروع.⁽¹⁷⁾

7- مشروع جوزيف جونسون الأمريكي سنة 1961م، وهذا المشروع كسائر المشروعات يهدف إلى محاولة التضييل والالتفاف والتحايل على قرار حق العودة رقم (194)، ويشير هذا المشروع إلى تخيير اللاجئين بين العودة أو التعويض، وتكون العودة بموافقة دولة الاحتلال، وظروفها الأمنية.⁽¹⁸⁾

8- مشروع توطين اللاجئين في الصومال وليبيا، وهو مشروع أوروبي سنة 1950م، عرضه مندوب إيطاليا في مجلس الأمن، ويقضي بتهجير وتوطين اللاجئين الفلسطينيين إلى كل من ليبيا والصومال، وكانت هاتان الدولتان مستعمرتين إيطاليتين في ذلك الوقت.⁽¹⁹⁾

9- مشروع إيدن الأوروبي 1955م، ويؤكد هذا المشروع على البعد الإنساني فقط لقضية اللاجئين من خلال وضع حد لمأساتهم عن طريق تقديم مساعدة مالية لتسوية مشكلتهم.⁽²⁰⁾

10- توطين اللاجئين في إيران وقبرص وليبيا، وهو مشروع أوروبي سنة 1956م، ويدعو إلى إعطاء آلاف من اللاجئين بعض الأموال، وتهجيرهم إلى هذه الدول، ليستقروا ويعملوا فيها.⁽²¹⁾

وهناك عشرات المشاريع الصهيونية، منها: مشروع شاريت سنة 1956م، ومشروع أشكول سنة 1965م، ومشروع فايتس سنة 1967م، ومشروع أبا إيبان سنة 1968م، ومشروع جاليلي، ومشروع ال(14) نقطة سنة 1971، ومشروع أرئيل شارون سنة 1971م لتصفية مخيمات اللاجئين في قطاع غزة، ومشروع ألون، ومشروع بيغن سنة 1973م، ومشروع رئيس وزراء الاحتلال الأسبق إسحق شامير سنة 1989م بهدف إجهاض انتفاضة الحجارة (1987م) فاقترح بعقد مؤتمر دولي لحل المشكلة، وإيجاد شروط سكن أفضل للاجئين، والمساهمة في تلبية احتياجاتهم دون تقديم أي مساعدة مالية.⁽²²⁾

القارئ لهذه المشاريع والمطلع عليها يلاحظ أنها تنتظر إلى القضية الفلسطينية خاصة اللاجئين إلى أنها قضية إنسانية خدمتية، فتعمل على محاولة معالجة النتائج، وليس الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج، وكلها محاولات خبيثة غير واقعية لتصفية القضية، وآخرها محاولة دونالد ترامب الرئيس الأمريكي بمشروعه المدعو بـ (صفقة القرن) 2017م والتي

أطلق عليها الرئيس الفلسطيني محمود عباس (صفحة القرن)، وستفشل هذه الصفقة كما فشلت عشرات الصفقات والمشاريع التصفوية والمؤامرات السابقة على مدى (71) سنة، والتي كلها تهدف إلى إنهاء القضية الفلسطينية العادلة وتصفيتها، فلن ينجح أي مشروع أو صفقة لا يعيد للشعب الفلسطيني حقوقه، ويوافق عليه الشعب كله.

إلى متى سيظل يعاني الشعب الفلسطيني من ويلات الاحتلال الصهيوني وجرائمه من النكبة حتى الآن، ومحاولات الاحتلال طمس الوجود الفلسطيني، ومحو معالم هذا الوجود التاريخية ، والتراثية، والثقافية، حتى أنه يعمل على تغيير الأسماء الفلسطينية في تراثنا، وتاريخنا، وجغرافيتنا إلى أسماء عبرية، وينسب إليه بعض المأكولات التراثية، أو الملابس وغيرها، فطردنا، وهدم قرانا لا يعني نسيانها، بل يحتم علينا القيام بخطوات عملية في مقاومة الاحتلال، وزيارة هذه القرى والمدن دائماً، وترديد أسمائها لطلبتنا وأولادنا، وذكرها على الدوام في المناسبات، والمحافل الدولية، وزرع لافقات في أرجاء الوطن تحمل أسماء قرانا ومدننا، وتراثنا العربي الإسلامي، لترسيخها في الذاكرة الفلسطينية إلى أن تعود إلى أهلها، بالوحدة والتكاتف، والصمود، والإصرار والثبات على حقنا في فلسطيننا وأقصانا، وكل شبر في فلسطين ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً.

الهوامش

- (1) ويكيبيديا الموسوعة الحرة، أمكن الرجوع إليه في 2019/2/28
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (2) التطهير العرقي في فلسطين، إيلان بابيه، ص7.
- (3) التطهير العرقي في فلسطين، مرجع سابق، ص1
- (4) التطهير العرقي في فلسطين، مرجع سابق، ص156.
- (5) أمكن الرجوع إليه في 2019/3/4. [Https://wizi.com](https://wizi.com).
- (6) <https://www.paldf.net/forum/showthread.php?+=1100998>
أمكن الرجوع إليه في 2019/3/12 م .
- (7) جريدة القدس، الأحد 2019/3/3 م ص9 العدد (17806)
- (8) اللاجئين وحلم العودة إلى أرض البرتقال الحزين، صلاح عبد ربه.
ص144- ص146.
- (9) اللاجئين وحلم العودة إلى أرض البرتقال الحزين، مرجع سابق،
ص147- ص149.
- (10) اللاجئين وحلم العودة إلى أرض البرتقال الحزين، مرجع سابق،
ص149- ص151.
- (11) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. أمكن الرجوع إليه في 2019/3/9
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (12) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. أمكن الرجوع إليه في 2019/3/5 م.
- (13) اتجاهات الرأي العام للفلسطينيين نحو حق العودة، رسالة دكتوراه،
ص107.
- (14) اتجاهات الرأي العام للفلسطينيين نحو حق العودة، مرجع سابق،
ص108.

- (15) الموسوعة الفلسطينية ج2، أنيس الصايغ وآخرون، ص153.
- (16) اتجاهات الرأي العام للفلسطينيين نحو حق العودة، ص10-11.
- (17) المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية. عبد الهادي مهدي، ص212.
- (18) اتجاهات الرأي العام للفلسطينيين نحو حق العودة، مرجع سابق، ص114-115.
- (19) اللاجئون الفلسطينيون بين حق العودة واستدخال الهزيمة، عادل سمارة، ص35.
- (20) الموسوعة الفلسطينية، ج2، مرجع سابق، ص33.
- (21) اللاجئون الفلسطينيون قضية تنتظر حلاً، فالح طويل، ص80.
- (22) اتجاهات الرأي العام للفلسطينيين نحو حق العودة، مرجع سابق، ص117-124.

كي لا ننسى مجازر تُدان فيها الضحية ويُكْرَم المجرم القاتل كفر قاسم، وصبرا وشاتيلا، والحرم الإبراهيمي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
إمام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن استن بسنته
إلى يوم الدين، وبعد.

إن حرب الإبادة الجماعية التي تشنها عصابات الحركة
الصهيونية، والمتمثلة اليوم بما يسمى جيش الدفاع لدولة
الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني الأعزل المدني
الذي ينشد السلام دائماً، مستمرة من قبل سنة 1948م حتى
كتابة هذا المقال، حيث ارتكب الصهاينة أكثر من (120)
مجزرة مسجلة بتفاصيلها ودقائقها، ذهب ضحيتها عشرات
الآلاف من المدنيين الفلسطينيين معظمهم من النساء والأطفال
والشيوخ، وتقتلها مصادر فلسطينية وعربية ودولية. وتهدف هذه
المجازر إلى قتل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين وترويع
الشعب وإخافته، وجعله يترك أرضه وينساها، ويهجر قضيته
وطنه بلا رجعة، ولكن هيهات لهم ذلك، فما زال الفلسطينيون
شعب وقيادة متمسكين بأرضهم وحقوقهم وثوابتهم، مهما
حصل.

في هذه المقالة البحثية سأحاول أن أقف على ثلاث مجازر
ضخمة وكبيرة ذهب ضحيتها أكثر من (5000) شهيد
فلسطيني، تحمل في نفوسنا إلى يوم الدين جروحهم وذكراهم

التي لا تندمل، وهي مجزرة كفر قاسم، ومجزرة صبرا وشاتيلا، ومجزرة الحرم الإبراهيمي، فيها دروس للأجيال القادمة؛ كي لا ننسى.

(1) مجزرة كفر قاسم:

كفر قاسم قرية فلسطينية، تبلغ مساحتها (58) دونماً، وتتبعها أراض مساحتها (12765) دونماً، وهي آخر قضاء طولكرم من الجنوب. ارتكبت القوات الصهيونية يوم الإثنين 29-10-1956م بحقها مجزرة مروعة على أيدي حرس الحدود، حيث صدرت الأوامر بمنع التجول على القرية، وأبلغ المختار وديع أحمد صرصور قوات الاحتلال بوجود (400) شخص من أهالي القرية خارج بيوتهم، فوعده قائد الوحدة بتسهيل عملية عودتهم، لكن هؤلاء اليهود لا يرقبون فينا إلا ولا ذمة كما قال سبحانه وتعالى: [كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ] (التوبة: 8) فكان يتم احتجاز العائدين في مجموعات عند طرف القرية الغربي، وقتلهم جميعاً بإطلاق الرصاص عليهم، فكانت حصيلة الضحايا (49) شهيداً، وعندما كشف النقاب عن المجزرة، حوكم القتلة بمحكمة صورية، وصدرت بحقهم عقوبات هزلية مخففة، وأبرز القتلة المقدم أُلوف شدمي، قررت المحكمة أنه مذنب بخطأ فني، وغرمته قرشاً إسرائيلياً واحداً، وعرف لدى الفلسطينيين فيما بعد بقرش شدمي.⁽¹⁾

لقد كان هذا المجرم شدمي الذي غرم قرشاً واحداً قد طالب شموئيل مالينكي قائد الوحدة العسكرية في القرية بأن يفرض حظر التجول على القرية ليس بطريقة الاعتقال بل بإطلاق النار، وعندما سُئل عن مصير العائدين إلى القرية بعد دخول

حظر التجول حيز التنفيذ، قال شدمي: "الله يرحمه، لا أريد مشاعر"(2) وبناء على أوامر شدمي، فكانت أوامر ملازم غبرائيل داهان لسريته الموكلة بكفر قاسم إن إطلاق النار بهدف القتل دون تمييز بين النساء والأطفال والرجال عمل مشروع(3). وقد علق دافيد بن غوريون رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي المحتل ووزير الدفاع وهو يتصبب خجلاً من المجزرة بقوله: "لن يتكرر هذا الأمر في إسرائيل " وذلك أمام الكنيست في جلسة 12-12-1956م(4)، لكن التاريخ كذب تعهد بن غوريون هذا، ولا ننسى أنه من قال في الخمسينيات من القرن الماضي: "نحن نحتاج إلى اتفاق مع العرب، ولكن ليس لتحقيق السلام في هذا البلد، السلام شيء حيوي حقاً بالنسبة لنا، فلا يمكن لدولة أن تبنى وهي في حالة حرب، ولكن السلام لنا هو مجرد وسيلة، والهدف هو الوصول بالصهيونية إلى أعلى غاياتها، لهذا السبب فقط نحتاج إلى السلام، فالشعب اليهودي لا يجرو أن يقبل أي اتفاق لا يخدم هذا الهدف"(5).

صدر كتاب "مذبحة كفر قاسم سيرة ذاتية سياسية سنة 2018م صادر عن دار الكرمل، وهو البحث التاريخي الأول الذي كتب عن المذبحة، ويكشف للمرة الأولى شهادة شدمي، حيث قال: كانت محاكمته صورية معروفة نتائجها سلفاً تمثيلية، ويقول إن من أسباب المذبحة كانت ضغطاً من أعلى لإخفاء عملية (الخد) وهي خطة سرية لطرد عرب المثلث إلى الأردن، والتي لم تكشف حتى الآن. ويقول: "موضوع كفر قاسم يقلقني طوال الوقت لأنه لغم دست عليه، ولكن نحن نعيش بالبندقية، ولولاها نحن غير موجودين، فأنا أحترمها؛ لأنها تحمل في داخلها الموت"(6).

شهداء المجزرة: يعتبر الشهداء قيمة كبيرة في حياتنا، فهم الأحياء عند ربهم، والشموع التي ما زالت مشتعلة لتضيء لنا درب الحرية نحو التحرير، فجدير بنا أن نكرمهم ونخلدهم بذكرهم ما استطعنا، ومن هؤلاء الشهداء في هذه المجزرة:

صفا عبدالله صرصور (45) عاماً، فاطمة صالح صرصور (14 عاماً)، زغلولة أحمد عيسى (45 عاماً)، عثمان عبد عيسى (30 عاماً)، فتحي عثمان عيسى (12 عاماً)، طلال شاكر عيسى (8 أعوام)، حلوة محمد بدير (60 عاماً)، أمنة قاسم طه (50 عاماً)، بكريه محمد طه (17 عاماً)، علي نمر فريج (17 عاماً)، صالح سلامة عامر (18 عاماً)، رياض رجا حمدان (8 أعوام).⁽⁷⁾

(2) مجزرة صبرا وشاتيلا:

صبرا وشاتيلا مخيمان فلسطينيان في بيروت الغربية بلبنان، لجأ إليهما الفلسطينيون اللاجئون الذين شردوا وطردها من قراهم ومدنهم وبيوتهم عام 1948م بقوة سلاح العصابات الصهيونية (شثيرن والارغون الهاغاناة) بعد أن قتلوا الآلاف من الشعب الفلسطيني الأعزل، ودمروا ونسفوا بيوتهم، ويسكن المخيمين المتجاورين بعد خروج القوات الفلسطينية منهما عام 1982م حوالي خمسة عشر ألف لاجئ معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ.

كثيرة هي المذابح التي تعرّض لها شعبنا الفلسطيني خلال المئة عام الماضية، من الاحتلالين البريطاني والصهيوني، ولكل مجزرة قصص وحكايات صدمت العالم، وحركت

مشاعره، وأدّمت قلبه، ولكن لمجزرة صبرا وشاتيلا وقع خاص، إذ تعتبر هذه المجزرة أكثر الفصول دموية في تاريخ شعبنا، والتاريخ العالمي ببشاعتها وطريقة تنفيذها وعدد الضحايا والشهداء، حيث استمرت ثلاثة أيام بلياليها: 16-17-18/9/1982م بقيادة المجرم الهالك شارون وزير الحرب الصهيوني، ورفائيل إيتان قائد أركان الجيش الصهيوني المحتل في حكومة سفاح مجزرة دير ياسين (4/9/1948م) مناحيم بيغن، وقائد جيش لبنان الجنوبي العميل سعد حداد، وقائد الكتائب المتنفذ إيلي حبيقة. حيث كانت مهمة جيش الاحتلال الصهيوني محاصرة المخيمين، وإنارته ليلا بالقتال المضئية، ومنع هرب أي شخص، وعزل المخيمين عن العالم، وبهذا تسهل المهمة على القوات اللبنانية العملية للصهاينة لقتل الابرياء الفلسطينيين دون خسارة رصاصة واحدة، وبوحشية لم يشهد لها العالم، ولا التاريخ مثيلا.

وما كان السفاحون مرتكبو المجزرة ليجرؤوا على مجرد الاقتراب من المخيمين لو بقيت القوات الفلسطينية هناك، ولكنّ المؤامرة الأميركية والصهيونية والعربية بإخراج المسلحين الفلسطينيين وإجلأهم من لبنان كانت السبب في هذه المجزرة، حيث تعهّد المبعوث الأميركي فيليب حبيب آنذاك لمنظمة التحرير الفلسطينية بحماية المخيمات، وكالمعتاد مارس الرؤساء العرب الضغط الكبير على المنظمة لتوافق على الأوامر الأميركية وتنفيذها.⁽⁸⁾

المجزرة وعدد شهدائها:

اختلفت الروايات حول عدد الشهداء، وفي كل الحالات والروايات تتراوح العدد ما بين (3000 و 5000) شهيد،

عائلات كاملة أزهرت وأبيدت، ولم يبق منهم أحد، فبدأت المجزرة بدخول ثلاث فرق من قوات الكتائب العميلة إلى المخيمين، وكل فرقة تتكون من خمسين مسلحاً، بحجة وجود 1500 مسلح فلسطيني في المخيمين، وقامت المجموعات المارونية والعزل قتلًا بلا هوادة، أطفال في سن الثالثة والرابعة وجدوا غرقى في دمائهم، حوامل بقرت بطونهن، ونساء تمّ اغتصابهن قبل قتلهن، رجال وشيوخ ذبحوا بالسكاكين، وقطعت رؤوسهم بالبلطات والسواطير، أكثر من خمسين ساعة من القتل المستمر، وسماء المخيم مغطاة بنيران القنابل المضئية ليلاً⁽⁹⁾.

لقد كان بين الشهداء اللبنانيون ومصريون وسوريون وأردنيون وسودانيون وجزائريون، ولكن الغالبية العظمى من الفلسطينيين. ومن الشهداء الفلسطينيين: قاسم محمود أبو حرب، وليد قاسم أبو حرب، حسن قاسم أبو حرب، عائدة محمود أبو ردينة، ومن الشهداء الأردنيين: محمود أبو ديب، رياض محمود، ومن الشهداء اللبنانيين: منير أبو ذهب، علي أسعد، ومن الشهداء السوريين: ياسر أبو ياسر، ناصر أبو ياسر، ومن الشهداء المصريين: فرج إبراهيم، إمام سمرجي، ومن الشهداء الجزائريين: إسماعيل أبو يحيى، آمال هيرات⁽¹⁰⁾.

حتى اليوم لم يستطع العالم محاسبة المجرمين ومحاكمتهم، بل على العكس يتم تكريمهم وترقيتهم، فيكون السفاح القاتل مكرماً، والضحية هي المدانة، وشهد كيان الاحتلال الصهيوني اضخم تظاهرة ضمت حوالي نصف مليون متظاهر من شعب الاحتلال الإسرائيلي احتجاجاً على المجزرة، وفي الوقت ذاته يستقيل شارون من منصب وزير الدفاع، ويعين في منصب

وزير بلا وزارة، وبعد ذلك تمّ انتخابه رئيساً للحكومة، وقام بمجازر عديدة في الأراضي الفلسطينية، ولم تتم محاكمته رغم ثبوت التهم عليه.

توثيق وتمثيل فني للمجزرة:

إن هذه المجزرة الرهيبة تستوطن الذاكرة، إنها جريمة بربرية لا تغفر، ولا تنسى. مجازر تتلوها مجازر، بهدف استئصال وجودنا من فلسطين، أو من أي مكان قريب منها، حتى من كل العالم، يريدونا أن نتبخر، ولا يكون لنا وجود على الكرة الأرضية. لقد تأثر كثير من الفنانين الفلسطينيين والعرب بالمجزرة، وصنعوا أعمالاً فنية خاصة بها، من بينهم: ناجي العلي، وعبد الحى مسلم، وضياء الغزاوي، وسامي محمد، وعدنان يحيى، وإسماعيل شموط، وغيرهم. وفي عام 2008م صدر فيلم وثائقي تحريكي إسرائيلي، كتبه وأخرجه آري فولمان باسم (فالس مع بشير) ويتحدث الفيلم عن اجتياح دولة الاحتلال الإسرائيلي جنوب لبنان، ودور إسرائيل في المجزرة وتيسيرها، وصدرت عدة كتب تتحدث عن المجزرة، وتصف بشاعتها، من بينها: كتاب (من بيروت إلى القدس) للطبيبة الجراحة أنغ سوي تشانغ من سنغافورة، وكتاب (مجزرة صبرا وشاتيلا) وهو كتاب توثيقي للمؤلفة بيان نويهض الحوت، والذي صدر سنة 2002م واستمرت الكاتبة في إعداده وتوثيقه بشكل كامل عشرين سنة⁽¹¹⁾.

(3) مجزرة الحرم الإبراهيمي:

مجزرة في رحاب الأنبياء، في مسجد سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأنبياء، تسيل الدماء الطاهرة، دماء المصلين الساجدين لله،

فاعتبرت أفظع مجزرة شهدتها الأراضي المحتلة منذ عام 1967م، والمحتل دائماً يكون الخصم والقاضي، ويمنعنا حتى من أن ندافع عن أنفسنا، أو أن نسعف جرحانا، أو أن نواري شهداءنا التراب. ففي فجر يوم الجمعة 1994/2/25م أقدمت مجموعة من المستوطنين المجرمين يقودهم الإرهابي باروخ غولدشتاين طبيب من معتصة كريات أربع، وعضو بارز في حركة كاخ اليمينية المتطرفة، يهودي مهاجر أصله من نيويورك على الهجوم على المصلين في المسجد الإبراهيمي في الخليل، وهم ساجدون في الركعة الأولى من صلاة الفجر، فألقوا عليهم القنابل، وأمطروهم بوابل من الرصاص، وأغلق جنود الاحتلال الذين يحرسون الحرم أبوابه؛ لمنع المصلين من التمكن من الهرب، كما منعوا الفلسطينيين القادمين من خارج الحرم من الوصول إلى ساحته لإنقاذ الجرحى، وقام عدد من الجنود بإطلاق النار على المصلين خلال محاولتهم الهرب، وتم قتل المصلين الذين دافعوا عن أنفسهم وحاولوا صد المجرم باروخ برصاص الجنود⁽¹²⁾. ولهذا وصف بعض الصحفيين والمتابعين للحالة الفلسطينية أن هذا اليوم الدامي ارتكبت فيه قوات الاحتلال الصهيوني ثلاث مجازر في ذات اليوم؛ الأولى: ما قام به المستوطنون بقيادة باروخ داخل الحرم، وقتل العشرات من المصلين. والثانية: عندما تدفق الجنود ومعهم عدد من المستوطنين إلى الداخل عند توقف إطلاق النار، ولم يخرج المجرم باروخ، قاموا بفتح النار من أسلحتهم على الذين تجمعوا حول باروخ، ولم ينج منهم أحد. والثالثة: فقد فتح جنود الاحتلال النار على الناس الذين حضروا لنجدة إخوانهم وإسعافهم، ولحق الجنود المجرمون بالمصابين ومسعفيهم حتى ابواب المستشفيات، فقتلوا المزيد منهم، بل حتى وفي أثناء

تشجيع الشهداء ودفنهم قام الجيش بقتل عدد من المواطنين، ففي هذا اليوم الأسود كانت ثلاث مجازر، وهذا ما تحدثت به مجلة فلسطين المسلمة في عدد شهر نيسان من سنة 1994م، كذلك جريدة الراي الأردنية في عدد شباط من العام 1994م. وكنت أنا ممن هبوا لمساعدة الجرحى الذين نقلوا إلى مستشفى بيت جالا الحكومي، من أجل التبرع بالدم وعشرات الشباب الآخرين، فشهدت استشهاد الشاب محمد يوسف غياظة من نحالين (17) سنة أمام عيني، وهو واقف بالقرب من المستشفى، فأصابته الرصاصة في رأسه، فاستشهد على الفور، ولم يكن يبعد عني سوى بضعة أمتار. شهداء مجزرة الحرم:

بلغ عدد الشهداء أكثر من (34) شهيدا، منهم (30) داخل الحرم، و(4) خارج الحرم. ومن هؤلاء الشهداء: راند عبد المطلب النتشة (20) سنة، علاء بدر أبو سنيينة (17) سنة، خالد خلوي أبو سنيينة (58) سنة، كمال جمال قفيشة (13) سنة، طارق عدنان أبو سنيينة (14) سنة، رامي عرفات الرجبي (11) سنة، أيمن أيوب القواسمي (21) سنة، عطية محمد السلايمة (33) سنة، طلال محمد دنديس (26) سنة، وائل صلاح المحتسب (28) سنة⁽¹³⁾.

دروس وعبر من هذه المجازر:
أهم الدروس والعبر التي نستخلصها من هذه المجازر الرهيبة:

1- يجب علينا أن نحرس مساجدنا بطرق وأساليب تتوافق وظروفنا ووضعنا، فنحن كفلسطينيين ومسلمين مستهدفون، وفي حالة حرب وعداء مع الصهيونية العالمية، وغيرهم من

أعداء الإسلام والإنسانية، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا
 حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا] (النساء: 71) وقال تعالى:
 [وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ
 وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ
 أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ
 مَيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ
 مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۗ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
 لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا] (النساء: 102). فالمجازر التي استهدفت
 المصلين وهم في أثناء صلاتهم خاصة في السجود كثيرة، في
 فلسطين، ومصر، وأفغانستان، والعراق، وآخرها مجزرة مسجد
 النور الواقع وسط كريست تشيرش بنيوزلندا في
 2019/3/15م، وذهب ضحيتها أكثر من (50) شهيدا، ومثلهم
 من الجرحى، ومن الشهداء خمسة فلسطينيين⁽¹⁴⁾.

2- يسعى أعداء الأمة إلى الانقضاض على الإسلام؛ بهدف
 إطفاء نور الحق، وطمس الحقيقة الساطعة من خلال تشويه
 ديننا، وتشكيكنا فيه، وضربنا، وإرهابنا، وإضعاف معنوياتنا،
 وتهجيرنا من بلادنا وموطننا، بإعمال الأيدي الخفية فينا التي
 تعبث بأمنا، ولكن ليعلموا أَنَّ اللَّهَ تَكْفُلُ بهزيمة أعداء الدين في
 هذا المجال، قال تعالى: [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ
 مُنْمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] (الصف: 8).

3- علينا أن لا نصدق أعداء الله، ولا نثق بهم، ولا نأمن جانبهم
 تحت أي ظرف كان، وعلينا أن نكون متحدين دائما معتصمين
 بحبل الله، وإنهاء الانقسامات، وتطبيق ذلك بالفعل لا بالقول،
 وعلى أرض الواقع عمليا، فعدونا يتربص بنا، ولا يلتزم

بمواثيق، ولا بعهود، قال تعالى: [كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ] (التوبة: 8).

4- العالم لا يعير دماءنا انتباها او اهتماما حتى لو سالت أنهارا، فهذا العالم يكون في سبات عميق عند ظلمنا وقتلنا وتدميرنا، أما لو خُدش صهيوني محتل بحجر فلسطيني تقوم له الدنيا ولا تقعد، فصرح حاخام يهودي خلال تابين الإرهابي غولدشتاين قبل دفنه بقوله: "إنَّ مليون عربي لا يساؤون ظفر يهودي واحد" ويصف المستوطن اليهودي الحاقد يمينيين يشي الإرهابي غولدشتاين: "بأنه قام بعمل بطولي حقيقي بقتل العرب، ويتمنى أن يفعل أكثر اليهود مثله".⁽¹⁵⁾

5- إصرار المفاوض الفلسطيني والقيادة الفلسطينية على التمسك بالثوابت، واغتنام الفرص في خلق واقع جديد خاصة عندما يساندنا الرأي العام العربي والدولي الذي استنكر المجازر بشدة، وأصبح لديه تحول في تبرير تفكيك المستوطنات كخطوة أولى رئيسة على طريق السلام الحقيقي⁽¹⁶⁾. وكان موقف القيادة الفلسطينية في هذا الثابت، والقدس، والاسرى، والشهداء موقفا بطوليا رائعا، خاصة أنهم لم يساوموا عليها، ولم يتراجعوا قيد أنملة في ذلك، كذلك مواجهة صفقة العار، ومؤامرة المنامة الاقتصادية.

الهوامش

- (1) موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، ص 519 .
- (2) كفر قاسم المجزرة السياسية، (1976م)، إميل حبيبي، ص 13 .
- (3) المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني (1948 – 2001)، ط 6 (2001)، ص 54 .
- (4) المرجع السابق نفسه، ص 56 .
- (5) مجلة فلسطين (1994)، العدد الأول، ص 1 .
- (6) جريدة الحياة الجديدة، 2018/10/13م، العدد 8217، ص 8، شؤون إسرائيلية .
- (7) المجزرة على حقيقتها، الذكرى الأربعون لمجزرة كفر قاسم، مجلس كفر قاسم المحلي، 1996م، ص 30 .
- (8) أمكن الوصول إليه في 2019/6/25م،
<https://www.alhadath.ps/article/64700/35>
- (9) أمكن الرجوع إليه في 2019/6/26م،
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (10) أمكن الرجوع إليه في 2019/6/25م،
<https://info.wafa/ar-page.aspx?id=7625>
- (11) أمكن الوصول إليه في 2019/6/25م،
<https://www.alhadath.ps/article/64700/35>
- (12) المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مرجع سابق، ص 91 .
- (13) مركز المعلومات الفلسطيني، شهداء مجزرة الحرم الإبراهيمي، 1994م .
- (14) مجلة الإسراء، العدد (146)، مقال ما بين مجزرتي نيوزيلندا والخامس عشر من رمضان في المسجد الإبراهيمي قواسم مشتركة، الشيخ إبراهيم خليل عوض الله، ص 14، ص 19 .
- (15) المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، مرجع سابق، ص 98 .
- (16) المجزرة، المحامي حجازي إسماعيل الشيوخ، ص 115- ص 116 .

تجربة اعتقال في سجون الاحتلال (البصة - الخليل - الظاهرية - النقب)

ولدت في 11/6/1965م في مخيم الدهيشة، مخيم هيئة الأمم المتحدة . لم أعش الطفولة، ولم أعرف معناها، حرمت كالآخرين من أطفال المخيم من كل شيء، فكان جام غضب المحتل الصهيوني كله مصبواً على رؤوسنا في المخيمات والمناطق المحتلة . ولدت في غرفة صغيرة حقيرة، لا تتجاوز مساحتها (6 م²)، ولا أدري ما سر ثباتها، وبقاتها وهي بلا أعمدة، ولا أساسات، كنا نعيش في هذه الغرفة البائسة عشرة أشخاص، فيها ننام، وفيها نتناول الطعام، وفيها نستقبل الضيوف، وفيها ندرس على ضوء سراج جدي القديم الذي جلبه معه، وهو مطرود من الإرهابيين الصهاينة بقوة السلاح من قريته الحبيبة زكريا . وكان دائماً يزاحم صياحي وصياح إخوتي أصوات الجنود عبر مكبرات الصوت : " ممنوع التجول، ممنوع فتح الشبابيك والأبواب، وكل من يخالف الأوامر، يعاقب بشدة، أو يطلق عليه النار " .

حرم المخيم حتى منتصف السبعينيات من معظم الخدمات: الماء، والكهرباء، والحدائق العامة، والمكتبات، والمستوصفات والعيادات الصحية باستثناء عيادة الوكالة التي كان فيها طبيب واحد، يعالج في اليوم أكثر من مئتي مريض. وكانت المراحض عامة، إذ لكل حارة مكونة من خمسين أسرة مرحاض واحد تشترك في استخدامه لقضاء الحاجة. لا أريد أن أسهب في الحديث عن الظلم والقهر والمعاناة والحرمان التي قاسينا مرارتها في المخيم، فكل دقيقة عشناها فيه لا تكفي مئات الصفحات لوصفها، والكتابة عنها. وهنا أنا بصدد الكتابة عن تجربة اعتقالي في بداية الانتفاضة الأولى (1987م)، وكنت قد اعتقلت قبل الانتفاضة ثلاث مرات لمدد بسيطة لا تتجاوز المدة في كل واحدة منها أكثر من أسبوع . أما التجربة الأخيرة

موضوع مقالي هذا، فاستمرت لثلاثة أشهر قضيتها في معتقلي
الظاهرية والنقب الصحراوي، كل يوم فيها يضاهي عذاب سنة،
فالسجانون وحوش آدمية رضع الحقد والخسة والسادية، تتلذذ
بالقتل والتعذيب .

كان يوم الثلاثاء 15/3/1988م يوماً جميلاً مشمساً،
الساعة التاسعة صباحاً، الإضراب العام يسود الأراضي
الفلسطينية المحتلة عام 1967م، وكانت انتفاضة الحجر قد
دخلت شهرها الثالث. اقتحم سبعة جنود من لواء جولاني بيتنا،
ووضعوا فوهات بنادقهم في صدورنا، بعدما أطلق الضابط
ثلاث طلقات في الهواء محذراً قائلاً: "ارفعوا أيديكم، ولا
تتحركوا". ثم وضع الأغلال البلاستيكية في يدي، كذلك في يدي
ابن عمي، وهذه الأغلال اللعينة تضغط على الأيدي بشدة، وظل
الجنود يضربوننا ويركلوننا بشدة في كل مكان في أجسادنا إلى
أن وصلنا المحطة الاعتقالية الأولى معتقل (البصة) في بيت
لحم، ووضعوا على رؤوسنا أكياساً وسخة من الخيش،
أحضرها من حاوية القمامة، غطت رؤوسنا حتى أسفل
الرقبة، وأراد الجندي أن يشد الكيس من أسفل لـيخنقني، فدفعته
بقوة حتى أوشك أن يقع على الأرض قائلاً له: "أتريد أن تخنقني
بهذا الكيس الوسخ النتن مثلك يا حقير!". فهجم علي الجنود
وضربوني بعنف حتى أغمي علي، وأدركت حينها أنهم يريدون
قهرنا من البداية، وإذلالنا وتدمير شخصياتنا، وجعلنا نشعر
بالرعب والتبعية والاستسلام . حينها بدأ ابن عمي يصرخ فيهم:
"ماذا تفعلون؟ لقد قتلتم الأستاذ، كفاكم تنكيلاً به".

وفي اليوم التالي، وفي حوالي الساعة الرابعة فجراً نقلونا
أنا وثلاثين معتقلاً من محافظة بيت لحم إلى معتقل الظاهرية
(المسلخ) وهو من ضمن عشرات المعتقلات ومراكز التوقيف
التي أقامها الاحتلال بشكل تتنافى ظروف الحياة فيها مع
القوانين والأعراف الدولية نظراً للظروف الإنسانية والصحية

الصعبة فيها، من اكتظاظ وإذلال، وخدمات متردية جداً، وعدم ملاءمتها حتى للحيوانات. وفي الطريق أذاقونا كل ألوان العذاب، ضرباً وركلاً وشنماً. وكان الضابط يطلب منا أن نكرر ونعيد ما يقول من ألفاظ بذينة ووقحة، وكنت أرفض، فضربني بعصا غليظة على رأسي ضربة أفقدتني الوعي، وتقيأت على ملابسي، وما زالت آثار هذه الضربة ماثلة حتى يومنا هذا. وقبل وصولنا معتقل الظاهرية عرجت بنا الحافلة على سجن الخليل، المحطة الاعتقالية الثانية، حيث أبقونا هناك لأكثر من عشر ساعات أذاقنا فيها حراس السجن ألواناً جديدة من صنوف العذاب. وعند وصولنا معتقل الظاهرية، المحطة الاعتقالية الثالثة، أنزل الضابط جميع الأسرى من الحافلة وأبقاني وحدي فيها، وقام برش الغاز المسيل للدموع المركز داخلها، انتقاماً مني لرفضني أوامره، فساءت حالتي.

أوقفونا مشبوحين على الحائط أكثر من يومين، وتناوب على ضربنا وركلنا أكثر من عشرة جنود بقيادة الكابتن (توتو) والكابتن (بيجو) هكذا كانا يسميان نفسيهما، وضابطة صهيونية، كانت تطلب منا أن ننام على بطوننا وتدعس على ظهورنا قائلة: "أنا أحب أن أدوس على ظهور العرب" وكررت هذه العملية أكثر من ثلاث مرات. وكان يطلب من المعتقلين عمل وتقليد أشياء قذرة كثيرة، حينها كنت أشعر بأشياء غريبة تحصل داخلي يصعب وصفها، فهذا الضرب المبرح المصحوب بالإهانات والشتائم يرمي إلى خلق جو من الرعب يجعلوه داخل الأسير منذ بداية اعتقاله لينهار ويستسلم.

وقبل توزيعنا على الزنازين والغرف أدخلونا بعد أن عرونا من ملابسنا على الطبيب العسكري الذي أشبعنا ضرباً قائلاً: "يبدو أن الجنود لم يعملوا اللازم تماماً، فدعوني أكمله وأتشرف بضربكم" وقام بضربنا باستخدام عصاً موضوعة أمامه على الطاولة على الرغم من أن أجسادنا تلونت بالألوان

الطيف الشمسي، فكانت البقع الحمراء، والسوداء، والزرقاء، والخضراء، والبنية. وأكثر ما أثر في الفتى الضرير الذي بقي الجنود يضربونه ويعذبونه متهمينه بإلقاء الحجارة على الجيش، وادعوا أنهم لم يعرفوا أنه ضرير إلا بعد اثني عشر يوماً، ثم أفرجوا عنه.

وزع المعتقلون الثلاثون في مجموعتي على الغرف، وكان نصيبي غرفة رقم (4) وما أدراك ما الغرفة (4)؟ مساحتها (36 م²) حشرونا (60) معتقلاً فيها، فلا تكفي لنا واقفين، فكيف نائمين. والغرفة قديمة جداً تقتصر إلى الصيانة والتهوية، وسخة، وأرضيتها غير مستوية ومحفورة، ولا تصلح حتى لمعيشة الحيوانات. وفي إحدى زوايا الغرفة وضع (دلو بلاستيكي) لقضاء الحاجة، وتكفي روائحه المنبعثة أن تمهد الطريق لعشرين مرض عضال أن تدب فينا. وكان نصيب الغرفة من الماء في اليوم عشرين لتراً، لا تكفي للشرب. عشرة أيام لم يلامس الماء وجهي، كذلك الأسرى الآخرين. وكنا نتميم بأرضية الغرفة للصلاة، وكان الجنود يدخلون الغرفة كل يوم خمس أو ست مرات من أجل العدد بشكل مفاجئ، ومجرد دخولهم يجب أن نفرز واقفين ملاصقين للجدران لأكثر من ساعة، وفي إحدى المرات في أثناء دخول الجنود الغرفة وقفنا بسرعة حيث فقد أحد الشباب من مخيم قلنديا وعيه لأكثر من ربع ساعة، ومن ثم تم نقله إلى الطبيب العسكري ليوقطه بطريقته الخاصة.

وخلال التحقيق معنا مارسوا التعذيب والتخويف بإظهار أدوات التعذيب، وأسلاك الكهرباء والتهديد باستعمالها، والإرباك النفسي من خلال إفقاد الشخص حس الزمان والمكان وجعله عاجزاً عن معرفة هويته الذاتية. ثم نقلت مع أكثر من مئة أسير من الغرف إلى خيام نصبت قريبة منها في ليلة باردة جداً، ولم يزودونا ببطانيات لتغطي بها، وأمضينا تلك الليلة

نتحرك ونركض كيلا نتجمد من البرد، أو نصاب بأمراض قاتلة. وبعد أربعة أيام نقلنا إلى معتقل النقب (أنصار 3) المعروف صهيونياً بكتسيعوت وهو المحطة الاعتقالية الرابعة والأخيرة، وكنت من أوائل الشباب الذين افتتحوا هذا المعتقل في قلب الصحراء، وفي الطريق مارس الجنود ساديتهم وحقدهم ضدنا، وكان السائق يسوق ببطء حتى تطول المسافة، ويزداد الزمن، فكسرت أياد، وسالت الدماء من الوجوه، وشج رأس أحد الشباب، فكانت أجواء حرب حقيقية بعزف من طرف واحد، طرف القوي المسيطر، فرقص الجنود على أنغام موسيقى وأغان عبرية لم نفهمها، لكننا فهمنا أنهم يستمتعون بالرقص على جراحنا وأهانتنا وآلامنا، وكان أكثر من تلقى الضرب والركل والتعذيب الأسير المعتقل طالب غيث من الخليل، فكان يتمتع بجسم رياضي متين أغرى الجنود بالإكثار والإمعان في تعذيبه. ومكثنا في النقب عدة شهور، نصارع فيها الزواحف من أفاع وغيرها، والحشرات السامة كالعقارب، ونصارع المرض، ويرد الليل، وحر النهار، والذي كان يعذبنا أكثر هو شعورنا أن آخرين خارج السجن يتألمون من أجلنا ولا يعرفون مصيرنا. يقوم هذا المعتقل في الصحراء ضمن ظروف جوية متقلبة، وتثور عواصف غبار يعمي الأبصار، وكان جنود الاحتلال يرفضون إنزال أطراف الخيم، إلا وقت الطعام فقط. كل شيء غريب في سجن النقب حتى الذباب ثقيل الدم، الذي كنا نطرده مراراً وتكراراً ويصر على العودة. لا أريد أن أطيل في وصف سجن النقب، فقد تحدث عنه الدكتور عبد الستار قاسم بالتفصيل في كتابه (أيام في معتقل النقب) الصادر عن لجنة الدفاع عن الثقافة الوطنية الفلسطينية في القدس سنة 1989م، وكنت قد التقيت الدكتور عبد الستار في أثناء الشرح لدى وصولنا السجن في 1988/4/2م.

في أحد الأيام تسمم أكثر من مئتي معتقل بعد تناول وجبة العشاء التي كانت عبارة عن بطاطا فاسدة، فنقل بعض

المتسممين إلى مستشفى في مدينة بئر السبع، وكان بيننا أطباء وممرضون أشرفوا على معالجة معظم المصابين ميدانياً، وقاموا على مواساتهم، إنها ليلة قاسية مخيفة مرعبة، كانت كابوساً ثقیلاً.

في إحدى المرات خلال أخذ العدد بدأت مجموعة من الجنود المرافقة للضابط المشرف بركل أحد المعتقلين بأرجلهم، فوقفنا وقفة رجل واحد، فهربوا جميعاً وبدأوا يطلقون الرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع، وكانت سيارة عسكرية مزودة برشاش (500) بدأت تطلق الرصاص على الأرض، وبين أرجلنا فتناثر التراب في وجوهنا، وأصيب بعض المعتقلين إصابات طفيفة، وبعد استمرار التمرد لأكثر من ساعتين تم الاتفاق على تهدئة الأمور. وبعدها أخذوا حوالي عشرة معتقلين كنت واحداً منهم، ووضعونا في زنازين مصنوعة من الجبس، مساحة الواحدة منها 80 سم² × 120 سم². وما أدراك ما زنازين الجبس؟ فمن غضب عليه العالم مجتمعاً، وضع فيها، فيموت المعتقل أكثر من مئة مرة في الساعة الواحدة من ضيق التنفس والاختناق، ولا أدري كيف بقينا أحياء بعد مكوثنا خمس ساعات فيها كأنها العمر كله.

كم كنت أشتهي رشفة من القهوة، أو الكولا، أما الشاي فكان نصيب كل معتقل كوبين اثنين في اليوم، الأول في الصباح مع وجبة الفطور، والآخر مع وجبة العشاء، ولكن ما أن يصلنا كوب الشاي حتى يكون مثلاًجاً. لقد كنا نقضي الوقت بعمل المسابقات الثقافية، والمناظرات، والجلسات التي نتحدث فيها عن القضية الفلسطينية، وكنت موجهاً لإحدى الخيام العشرة التي كانت في قسمنا، حيث كانت كل خيمة تشتمل على خمسة وعشرين معتقلاً، وصممت برنامجاً خاصاً بخيمتي بالإضافة إلى البرنامج العام الذي كان يشترك فيه الجميع، ركزت في هذا البرنامج على محو الأمية، فكان في خيمتي أربعة شباب لا

يعرفون القراءة والكتابة، وخلال شهر واحد أصبحوا يقرأون
الجريدة بشكل جيد.

لم يزدني الاعتقال إلا تمسكاً بحقي كلاجئ فلسطيني
بالعودة إلى أرضي وأرض أجدادي، فبيتي هناك على ربوة في
قرية زكريا أحلم به كل يوم وليلة، فلن أتنازل عن حقوقي حتى
لو أعطوني أجمل مكان في العالم، وإن طالت الظلمة والليل،
وضاقت السماء، وتشققت الأرض، وتزلزلت تحت قدمي لن
أنحني، ولن أستسلم، فأنا إنسان، والإنسان الحر الشريف لا
يتنازل عن حقه، ولا يستسلم، ولا يعطي الشرعية للمحتل بأن
يأخذ أرضه، ويقيم عليها حلمه الكاذب.

الأسرى وأدب السجون

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن استن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

إن قضية الأسرى الفلسطينيين أهم القضايا التي تسعى جاهدين من قيادة ومؤسسات وشعب على إبرازها، وجعلها حية حاضرة دائماً في كل المحافل والمناسبات والمواقع، وأن تأخذ مساحة مستحقة في صفحات الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي. قد كنت كتبت في أعداد سابقة عن تجربتي الشخصية في الاعتقال والأسر، وعن الأسرى وموقف القيادة من هذه القضية، وأساليب التعذيب، ومعاناة عائلات الأسرى، والمؤسسات الرسمية التي تعنى بشؤونهم، وشهداء الحركة الأسيرة داخل السجون والمعتقلات من سنة 1967م حتى شباط 2019م. وفي هذا العدد سأحدث عن أدب السجون من حيث تعريفه، وعوامل ظهوره، والأجناس الأدبية التي اهتم بها الأسرى، وسمات أدب السجون وحضوره في المناهج والمقررات المدرسية، والجامعية، والجوانب الإبداعية للأسرى.

تعريف أدب السجون

إن أدب السجون مرتبط بالسجن وتجاربه، وهو كلام يعبر عن معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل، أو هو الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ الانفعالات النفسية التي يشعر بها المتكلم. وأدب المقاومة هو الأدب الذي يدعو للحرية، والتخلص

من العبودية بالمقاومة الشرعية والمشروعة، أما أدب السجون هو الذي يكتبه الأسرى في المعتقلات، ويستوفي الحد الأدنى من الشروط، وما يكتب عن السجون والأسرى خارج السجن من غير الأسرى، أو من المحررين لا يعد أدب سجون، ويمكن تسميته "أدب عن السجون"⁽¹⁾، ويشترط أن يكون هذا الأدب من أجناس الأدب كالرواية، والقصة، والشعر، والمقالة، والخطبة، والمسرحية، والرسالة، لأن هناك انتاجات أخرى غير أدبية للأسرى كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية والتاريخية، والأمنية، والفكرية، والترجمات وغيرها.

ظهور أدب السجون

إن تجربة السجن ملهمة للكثير من الأسرى خاصة الكتاب والشعراء منهم، فأدب السجون قديم في الأدب العربي، ابتداءً بأبي فراس الحمداني وروميته في العصر العباسي، ونظم قصيدته الخالدة "أراك عصي الدمع" وهو واقع بالأسر حبیباً بسجون الروم، مروراً برواية الأديب عبد الرحمن منيف، شرق المتوسط "التي تعتبر أول رواية من نوعها في الوطن العربي تتحدث عن أدب السجون في العصر الحديث، والتي فرغ من كتابتها عام 1972م، وصدرت طبعتها الأولى عام 1975م، وانتهاءً بكتاب الأب الروحي للأسرى الفلسطينيين عيسى قراقع "امرأة الساعة السادسة والثلاثين، والذي يتحدث في معظمه عن الأسرى وعذاباتهم معتبراً قضيتهم قضية الشعب الفلسطيني والعالم بأسره. وخارج السجن قد يكتب الأسير تجربته في رواية، أو يكتبها آخر بعد أن يقص عليه تجربته.

لقد ساعدت عوامل كثيرة في ظهور أدب السجون في فلسطين أهمها الحالة النفسية التي يعيشها الأسير المبدع، ويعبر عنها بالغضب، والألم، وبث الأمل في النفوس، كذلك التجربة، وما يمر به الأسير في أسره من مواقف وخبرات وتجارب تمثل مادة ثرية جداً بالنسبة للأسير، كذلك اعتبار الكتابة أداة من أدوات المقاومة، خاصة إدراك الأسرى بأنهم يشكلون رأس الحربة في مواجهة الاحتلال ومقاومته، وإثبات حق الفلسطيني في أرضه ومقدساته ووطنه، فيرون أنه من الواجب عليهم توثيق تجاربهم بطريقة أدبية ثورية تنم عن حالة نضالية تؤدي بأسلوب مؤثر في الشعب والعالم، بنقل هذه التجارب التي تقضح العنصرية الصهيونية، وإجرام الاحتلال ضد الأسرى، وشعبنا الفلسطيني، وساهم أيضاً في ظهور هذا الأدب وتطوره داخل السجون دخول الكتب الأدبية للأسرى في العام 1972م، والتي مثلت العصر الذهبي للأسرى على الصعيد الثقافي بشكل عام⁽²⁾، ومن أسباب ظهور أدب الأسرى تنامي قوة الحركة الوطنية الأسيرة، وتطور أساليب الإسناد الجماهيري لها، ووجود التلفاز، مما أتاح للأسرى الاطلاع على العالم الخارجي، ودور المجالات والنشرات والصحف، التي كان يصدرها الأسرى، واهتمامهم بنشر النصوص الأدبية والقصائد الشعرية في مجلات أدبية خاصة كصدى نفحة (صدرت في سجن نفحة عام 1989م) والصمود الأدبي (صدرت في سجن عسقلان 1986م) ونشر أعمال بعض الأسرى خارج أسوار السجن بعد تهريبها بطرق مختلفة.⁽³⁾

الأجناس الأدبية التي اهتم بها الأسرى

اهتم الأسرى داخل السجون بمجالات وأجناس أدبية متعددة، أهمها:

1- المجالات الأدبية: مثل، الصمود الأدبي، وصدى نفحة، والهدف الأدبي، والنهضة وغيرها.

2- الشعر: والذي يعد نموذجاً هاماً من نماذج شعر المقاومة الملتزم، خاصة وأن معظم شعراء فلسطين دخلوا السجون، وتميز شعر المعتقلات بكونه مقاوماً، جاء في أتون معركة ضارية بين الأسرى وبين إدارة قمع السجون بأجهزتها المختلفة، فتفجرت مواهبهم الشعرية، ليقفوا في مقدمة المجابهة؛ ليعبروا عما يختلج في نفوسهم من ألم وحزن وأسى. وبرز عدد كبير جداً من الشعراء داخل المعتقلات، كان أبرزهم: المتوكل طه، ومحمد أبو لبن، ومحمود الغرباوي، وعبد الناصر صالح، وعز الدين المناصرة، وخليل توما، وفايز أبو شمالة، وعيسى قراقع، والشهيد عمر القاسم، وتوفيق زياد، وراشد حسين، وعلي الخليلي، والشهيد معين بسيسو، وغيرهم. ومن الشعر الخالد والمميز الذي كتب داخل السجون: نشيد عسقلان الذي تحول إلى نشيد الحرية للأسرى الفلسطينيين والعرب للشاعر محمد أحمد أبو لبن نظمه في سجن عسقلان في غرفة رقم (14) سنة 1976، وقام بتلحين القصيدة الأسير محمود أبو الزنايط، وسرعان ما انتشرت في كل السجون لتصبح أغنية المعذبين في مواجهة الجلادين، وصوت المتمردين على العبودية وسياسة الإذلال المتعمد، وسؤال الحرية الدائم في معارك صامتة تجري خلف قضبان السجون، ويقول في هذا النشيد:

عسقلان عسقلان عسقلان
سجل يا تاريخ قل يا عسقلان
في لهيب الدم حدث يا زمان
عن رجال .. عن جباه لا تهان
عسقلان عسقلان عسقلان
كم حملنا ظلمة الليل الطويل
كم صبرنا ما عرفنا المستحيل
نحن شعب ليس فينا من ذليل
ما سما نذل ولا ساد جبان(4)

3- الرواية والقصة: تعد الرواية والقصة القصيرة من أكثر الأجناس الأدبية المعبرة عن حالة الاعتقال قياساً بالأجناس الأدبية الأخرى التي خرجت من رحم السجون، وبرز عدد كبير من كتاب الرواية وقرأت لأكثر من ثلاثين أدبياً أسيراً، ولعل أبرزهم الروائي وليد الهودلي الذي كتب عدداً من الروايات، أشهرها رواية "ستائر العتمة" من جزأين، والتي تناولت موضوع تجربته في الاعتقال وظروف السجن، وصدرت الطبعة الأولى سنة 2003م، ومنها غرفة العصفير وهم عملاء يخدمون الاحتلال داخل السجون، فيقول في روايته "بصراحة أنا أخشى من العصفير، إنهم ثعالب مأكرة، لا تدري كيف يتصيدون منك كلماتك .. ألا يكون الصمت خيراً لي ولك، ولكنك تستطيع التحكم بكلماتك، لسانك حصانك، يا أخي لي تجربة مريرة معهم في حبسة سابقة، أدخلوني إلى غرفة العصفير، كنت قد سمعت بهم، ولكني لم أتصور بأنهم يجيدون التمثيل بهذه البراعة، لقد جعلوا من أنفسهم أمامي أتقياء بررة، استغلوا تديني، ومثلوا علي التدين تمثيلاً في غاية الإتيقان، صدقتهم يا لسذاجتي في ذلك الوقت"(5)، ورواية ستائر العتمة

طبعت عدة طبعات، ونجحت نجاحاً غير مسبوق لم يعرفه المشهد الثقافي الفلسطيني من قبل، فتم طبعة أربعين ألف نسخة، فقال اليهودي عن ذلك: "سر نجاح قصة ستائر العتمة أنها جاءت في وقت انتفاضة الأقصى، حيث تكررت الأخطاء ذاتها التي كان يقع فيها المعتقل أيام الانتفاضة الأولى في فترة التحقيق، فكان لا بد من كتابة تحذر من هذه الأخطاء، وجاءت على شكل قصة يعيشها القارئ ويعيش مشاهدتها"⁽⁶⁾، كذلك رواية "أحياء في غياهب السجون" للأسير الأديب محمود العدوين، وتشرفت بمراجعتها وتدقيقها، حيث وصلت إلي من داخل السجن؛ لأقوم بمراجعتها وتدقيقها لغوياً سنة 2012م حيث صدرت الرواية في تلك السنة، وتحدث في روايته عن التجربة الاعتقالية في سجون الاحتلال ومراحلها من الاحتلال البريطاني حتى اليوم، وقسمها إلى مرحلة الضياع، ثم مرحلة البحث عن الذات، ومرحلة اكتشاف الذات الوطنية الفلسطينية في واقع الأسر، ومرحلة تثبيت الذات الوطنية الفلسطينية في واقع الأسر⁽⁷⁾، ورواية الهروب من سجن الرملة لحمزة يونس وهي رواية حقيقية صدرت سنة 1999م.

وهناك روايات كثيرة، منها: فرسان الحرية لهشام عبد الرزاق، وثمان للشمس، لعائشة عودة، والشمس تولد من الجبل، لموسى الشيخ ومحمد البيروتي، وظل الغيمة السوداء، وعلى جناح الدم لشعبان حسونة، والذي كتب أيضاً مجموعة من القصص القصيرة بعنوان "أمسية سجين". ورواية أمير الظل لبعد الله البرغوثي، وأيام في معتقل النقب للدكتور عبد الستار قاسم، وسجن السجن لعصمت منصور، وغيرها من الروايات.

4- المسرحية: اهتم بعض الأسرى بالمسرحية في نهاية السبعينيات، وفي هذه المرحلة برزت محاولات لتأليف المسرحيات القصيرة، والتي كانت تعرض في الأمسيات الأسبوعية الترويحية، أسهم في إيجادها ونشطها انعدام وسائل التسلية، والشعور بضرورة إيجاد وسائل ترفيهية ترويحية تزيل التوتر، وتقتل الرتابة، وتشكل في الوقت ذاته محاولة فنية لإعادة شحن الأسرى بالطاقة والنشاط لاستقبال أسبوع جديد، كما جرى استغلالها لتعميق الوعي، وتطوير المعرفة، ومعالجة بعض القضايا الواقعية. وكانت تمثل في غرف زنازين بر السبع التي كانت تتسع لسبعين أسيراً، مسرحيات من بينها: مسرحية "رنبة الدم"، ومسرحية "فدائي جريح". وتأثر الأسرى بالمسرحية كفن بعد دخول التلفاز السجون، وبرز من كتّاب المسرحية الأسرى الأدباء: حسن عبد الله الذي كتب طرقات على باب الأمل، ومن مذكرات زيتونة، وإعلاميون في مهمة، والنفق، وإبريق الذهب، ووليد الهودلي الذي كتب مسرحيته "رامي ومحكمة الذئاب".⁽⁸⁾

5- الخاطرة: أبدع الأسرى في كتابة الخاطرة الأدبية، وكتب الأسرى في أنواع الخاطرة الثلاثة، الرومانسية، والوجدانية، والإنسانية، وأكثروا من كتابة الخاطرة الإنسانية التي تركز على قيم الصداقة والأخلاق الفاضلة والتضحية الوطنية، ومن الذين أبدعوا في كتابة الخواطر من خلف القضبان، عبد الفتاح حمائل "ترانيم خلف القضبان"، وعلي جدة "إلى ولدي محمد" ومحمد عبد السلام "خواطر من الزنزانة".

6- الرسالة: استطاع الأسرى الفلسطينيون في السبعينيات بعد الكثير من الخطوات النضالية بانتزاع حق مراسلة ذويهم عبر

الصليب الأحمر الدولي، ومن ثم عبر البريد الرسمي، ومع مرور الوقت تطورت الامكانيات الأدبية للأسرى فأصبحت رسائلهم أشبه بنصوص أدبية حملت مشاعرهم، وعبرت من أفكارهم، ثم تحولت من وسيلة إخبارية مباشرة تحمل السلامة إلى الأهل إلى نصوص أدبية راقية، وبعضها صيغت على شكل قصائد شعرية، أو خواطر، أو قصص قصيرة. لهذا تمثل رسائل المعتقلين قيمة أدبية ونضالية وتاريخية، تمكن من خلالها الوقوف على مراحل التجربة الاعتقالية وخصائصها، والتعرف إلى ظروف ومستوى تطور المعتقلين، وشكلت الرسالة نافذة للمعتقل المناضل على أسرته ومجتمعه والحياة، ويقول الدكتور حسن عبد الله في كتابه "كلمات على جدار الليل، أثر الرسالة في حياة المعتقل الفلسطيني": "الرسالة جزء أصيل في التجربة الاعتقالية، وهي مرآة يمكن للدارس أو القارئ من خلالها، قراءة مراحل التجربة، وفهم خصائصها وسماتها، نظراً للصلة الوثيقة بين الرسالة والواقع الاعتقالي". (9)

سمات أدب السجون

نلاحظ أن هناك جملة من المميزات التي اختصَّ بها أدب السجون بالتزامه بالقيم المنسجمة مع مبادئه، والملتصقة بنبض قضيته، فأدب السجون يلامس القضية العامة، ويتجاوز الهم الفردي، ومن هذه المميزات والسمات التي حف بها الأدب في باستيلات العدو الصهيوني من شعر ونثر:

1- العمق، فإنّ إنتاج الأدباء الأسرى يمتاز بعمق التعبير في الدلالة والمضمون، وفي الربط بين الفكرة والأسلوب.

2- الرمزية، فالفكرة الكبيرة التي تحيا في ضمير مفعم بالحيوية، ربما تعجز التعبيرات والألفاظ أن توضحها ، وإن تضمنت كل تحسين أو تنميق أن تحيط بها تصويراً وبناءً.

3- التصوير الفني، فكثيراً ما ترى أن الأديب في قلاع الأسر يلجأ إلى فرط عقود اللغة وما حدث من جواهر ليعيد تشكيل فكرته وشعوره في قالب لغوي جديد، فيغدو الحرف كالريشة في يد الفنان في تشكيل لوحته التي سكب فيها جمالية الإبداع التي تسكن شغاف روحه.

4- البلاغة، فالصناعة البلاغية سواء من علم المعاني أو علم البيان رائج الاستخدام، كالكنائيات، والاستعارات، والتشبيهات، والمجاز المرسل، والمحسنات اللفظية والبديعية التي تحمل طابع التفان في التعبير دون تكلف أو تشدق.

5- الاختزال، أي ضبط الفكرة التي تحتاج إلى فقرات طويلة في فقرة صغيرة.

6- العاطفة المتأججة، وهذا ما نجده في معظم كتابات الأسرى، فلا تكاد تجد مقطوعة في مبنائها ومعناها إلا منسجمة مع العاطفة التي تحكم القالب اللغوي المستخدم.

7- سعة الخيال، فتتفاعل الفكرة في خيال الكاتب مع صور إبداعية بقالب لغوي خاص.

8- الحزن المشوب بالتحدي، فمسحة الحزن لا تكاد تفارق المقطوعات الأدبية على اختلاف موضوعاتها، حتى تلك التي

أراد بها صياغة مساحة من الفرح، لا تكاد تخلو من ألم أو آهات أو دموع، فأفراحهم، أفضل ما نعبّر عنها بالجراح الباسمة.

9- الثقافة الواسعة، حيث يهتم الأسرى بتنمية ذواتهم ومهاراتهم وقدراتهم، فتظهر ثقافتهم من خلال المستوى الجيد الذي يكتبونه به شكلاً ومضموناً.

الاهتمام بأدب الأسرى فلسطينياً

لقد انتزع أدب الأسرى من السجانين الصهاينة انتزاعاً، وصار له حضوره الكبير، ويكفي لكي نبين مدى الاهتمام الكبير بأدب السجون في المجتمع الفلسطيني، والحياة العامة أن نتناول جانبين، الأول: ما يقدمه مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة بقيادة الأسير المحرر الدكتور فهد أبو الحاج مدير المركز ومؤسسه، خاصة موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب جزأيا الأول والثاني اللذين قدما قصصاً للأسرى والأسيرات الفلسطينيين والعرب، قصة الوطن الفلسطيني الأسير، وقدما لشعبنا وللعالم أجمع وقائع معجزة انتصار اللحم العاري على سياط السجان، وهي معجزة التاريخ الإنساني الحديث بلا منازع، وهي كذلك واحدة من دعائم الحق العربي الفلسطيني في الوجود، فتناولت الموسوعة في جزئها الأول خمسة وستين أسيراً تحدثوا عن قصصهم وتجاربهم وأدبياتهم، كذلك في جزئها الثاني تناولت قصص وتجارب ثمانية وتسعين أسيراً.

ومن الأمثلة في الموسوعة تجربة الأسير المحرر وليد الهودلي، الذي خرج من المعتقل بأربعة عشر مؤلفاً ما بين

روايات، ومجموعات قصصية، ودراسات، وكتب في المسرح وأدب الأطفال⁽¹⁰⁾، ومن المعلوم أن هذا الأديب الأسير المحرر حصل على المرتبة الثانية في مسابقة الإعلام والصحة من خلال كتاباته تحت عنوان "الصحة والمرض في السجون والمعتقلات" وحصل على المرتبة الثالثة في مسابقة فلسطين للرواية العربية بروايته "ليل غزة الفسفوري".

والثاني: أدب الأسرى في المناهج الفلسطينية المدرسية والجامعية، حيث كان الاهتمام بهذا الأدب لا يرتقي إلى حجمه، وأهمية قضية الأسرى، إذ وجدت أن بعض الكتب المدرسية لبعض الصفوف تناولت هذا الأدب كما يأتي: كتاب الصف السابع الجزء الأول، موضوع كتبه مؤلفو الكتاب د يوسف عمرو وآخرون بعنوان الأسرى قضية شعب وأمة، وكتاب الصف التاسع، الجزء الأول، مقال الأسير المحرر نبهان خريشة بعنوان: سيرة القيد والقلم، وكتاب الصف الحادي عشر، الجزء الأول، رسالة أسير: لا تقل لأمي للأسير محمد برّاش، والجزء الثاني من الكتاب لهذا الصف نص شعري بعنوان رسالة من المعتقل للشاعر الأسير المحرر سميح القاسم، وكتاب الصف الثاني عشر (التوجيهي) مقال للأسير وائل محيي الدين بعنوان: مرافعات أمام ضمير غائب. وجميع هذه النصوص رائعة، وقدمت بطريقة جميلة تجعل الطلاب يتفهمون قضية الأسرى، ويتفاعلون معها. أما في الجامعات فبدأت جامعة الخليل بتدريس مساق "الحركة الأسيرة" كما أشار الدكتور بلال الشويكي رئيس قسم العلوم السياسية في الجامعة تدريس مساق الأسرى كمطلب اختياري أعده المدير العام بهيئة شؤون

الأسرى والمحربين الأسير المحرر الدكتور رأفت حمدونة،
ويتكون المساق من خمس وحدات، وهي:

- 1- الحركة الأسيرة، النشأة والتطور.
- 2- العوائق وبناء الذات.
- 3- التجربة الديمقراطية والمسيرة الثقافية والتعليمية في السجون.
- 4- البنى التنظيمية والوسائل النضالية للأسرى في مواجهة السجان.
- 5- إبداعات الأسرى في السجون الإسرائيلية.(11)

لقد وجدت أن أدب السجون له انعكاسه الإيجابي على نفسية الأسير والواقع الاجتماعي والواقع الاعتقالي، وكونه يعبر عن ذواتهم وآمالهم ووجودهم، وطموحاتهم الشخصية والوطنية، أو يخرجهم من ضغوط الاعتقال إلى عالم الخيال الرحب، وكان لأدب السجون تأثير كبير على المجتمع الفلسطيني بصدق المشاعر، والبعد عن الذاتية والمصلحة الشخصية، وأوصلنا إلى الكثير من الرمزية والتجارب الاعتقالية، وتحذير المقاومين في الكثير من النواحي التي تعد فروقاً في عدة مجالات وقوى الانتماء والتواصل في النضال حتى تحقيق الحرية. وأختم بما قاله الأسير عبد الناصر عيسى المعتقل من (28) عاما والقيد لم يكسر إرادته: "إذا مزق الأسير أوراقه، وسكن في برشه وكف عن المشاركة بأشكالها، ازداد ألمه، واستبدت به المتاعب، فالإيجابية تقاوم الأسير".(12)

الهوامش

- 1- أدب السجون الخصائص والمميزات، د. رافت حمدونة.
<http://alasara.ps/ar/index.php?act=postaid=33183>
أمكن الرجوع اليه في 2019/6/19م.
- 2- مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، إبداعات انتصرت على القيد، المؤتمر الأول، ص43.
- 3- أدب المواجهة، سلمان جاد الله، ص113-ص 114.
- 4- نشيد الحرية، الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد أبو لبن، ص4-ص5.
- 5- ستائر العتمة، وليد الهودلي، ص20.
- 6- موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب، مركز أبو جهاد لشؤون الحركة الأسيرة، جامعة القدس، ص702.
- 7- أحياء في غياهب السجون، محمود العدوين، الصفحات: ص22، ص25، ص26، ص44.
- 8- أدب السجون الخصائص والمميزات، مرجع سابق. أمكن الرجوع إليه في 2019/9/17م.
- 9- كلمات على جدار الليل، حسن عبد الله، ص27.
- 10- موسوعة تجارب الأسرى الفلسطينيين والعرب مرجع سابق، ص699.
- 11- جريدة الحياة الجديدة، 2019/5/10م العدد (8426)، الصفحة السادسة.
- 12- جريدة القدس 2019/6/19م العدد (17907)، الصفحة الخامسة.

أسرانا في القلوب

المقدمة

إنّ الأسرى الفلسطينيين يشكلون رأس الحربة في مواجهة الاحتلال ومقاومته، ومقارعته، وإثبات حق الفلسطيني في أرضه ومقدساته ووطنه الذي ليس لديه بديل عنه، فهؤلاء الأسرى يضحون بأعلى ما لديهم، وما يملكونه، ألا وهي حريتهم، إنها مسيرة كفاح طويلة لهذا الشعب، الذي لم يقاوم ويضحي شعب مثله في هذا العالم، ولم يتعرض شعب منذ بداية الخليقة لظلم مثل الظلم الذي تعرض له، وما صبر شعب كصبر هذا الشعب الفلسطيني القابض على الجمر منذ أكثر من مئة عام منذ الاحتلال البريطاني حتى الآن، فأعطى أسيرنا الفلسطيني المثل الأعلى في الصمود والتضحية والفداء، واستحق أن يكون أهم الطلائع النضالية على طريق إنهاء الاحتلال، وتحقيق الحرية والاستقلال.

لذا لا يجوز إهمال أمر الأسرى، أو التخلي عن إيجاد سبل لتخليصهم بكل السبل المتاحة والممكنة، كذلك القيام بإعالة أسرهم وعائلاتهم وذويهم، وتربية أبنائهم، وتوفير متطلبات الحياة الأساسية لهم. لذا رأيت في هذا العدد أن أكتب عن قضية الأسرى متناولاً بعض الجوانب التي تتعلق بالأسرى وقضيتهم، وفي أعداد قادمة سأتناول جوانب أخرى إن شاء الله .

موقف القيادة الفلسطينية متمثلة بالرئيس أبو مازن تجاه الأسرى

لقد عملت القيادة على الدوام من أجل تخليص أسرانا من أسرهم. وما ترك الرئيس محمود عباس، والقيادة الفلسطينية مكاناً في العالم، أو مؤسسة دولية، أو منبراً عالمياً إلا وتحدثوا فيه عن أسرانا البواسل، وطرحوا قضيتهم بكل قوة وجدية، وأفنعوا دول العالم من أجل الضغط على الاحتلال، لإطلاق سراح الأسرى، ونتيجة ذلك تم إطلاق سراح معظم الأسرى الذين كانوا في الأسر قبل اتفاق أوسلو. وما تزال القيادة الفلسطينية تعمل جاهدة على تخليص الأسرى جميعهم، وتضع صوب عينيها تبييض السجون بالكامل بالرغم من ضغوطات سلطات الاحتلال على السلطة الفلسطينية من أجل وقف مخصصات الأسرى ورواتبهم. فقال الرئيس أبو مازن في هذا الخصوص: " حتى لو تركت موقعي لن أساوم على راتب شهيد أو أسير، فأنا رئيس الشعب الفلسطيني عامة: ومنهم الأسير والشهيد والجريح والمبعد والمهجر".⁽¹⁾

وقال الرئيس أيضاً في مقابلة معه لوكالة وفا في 2018/7/23م: "لو بقي قرش واحد سنصرفه على عائلات الشهداء والأسرى، ونعتبر الشهداء والأسرى كواكب ونجوماً في سماء نضال الشعب الفلسطيني، ولهم الأولوية في كل شيء، وكل التقدير للحركة الأسيرة التي نعتبرها تعبد الطريف لاستقلال فلسطين".⁽²⁾

لهذا كان موقف الرئيس محمود عباس منطلقاً من الواجب الشرعي في خلاص الأسرى وفكهم من سجون الاحتلال، ولن

يهدأ للقيادة الفلسطينية بال إلا بإطلاق سراح أسرانا جميعهم، وعودتهم إلى أهلهم وذويعهم، ليكملوا مسيرة حياتهم سوياً في ظل الدولة الفلسطينية تطبيقاً لقول الرسول (ص): "فكوا العاني -يعني الأسير- وأطعموا الجائع، وعودوا المريض".⁽³⁾

الأسرى والأسير

تشير إحصائية رسمية صدرت من مركز الإعلام والمعلومات الوطني الفلسطيني التابع "لوقا" إلى أن عدد الأسرى الفلسطينيين والعرب بالسجون والمعتقلات الصهيونية بلغ (8000) أسير أما قبل انتفاضة الأقصى (أيلول 2000م) بلغ (1500) أسير، منهم (240) طفلاً، و (73) امرأة، موزعين على (22) سجوناً ومعتقلاً، وعدد الأسرى الإداريين (567) أسيراً. وأبرز السجون والمعتقلات الصهيونية المركزية هي: سجن غزة المركزي، وسجن بئر السبع المركزي (إيشل)، وسجن عسقلان المركزي، وسجن الرملة، وسجن كفارونا، ومعتقل المسكوبية، وسجن النقب الصحراوي، وسجن عوفر، وسجن تلموند، وسجن نفحة، وسجن الدامون، وسجن الجلبوع، وسجن شيطنة (شطة سابقاً) وسجن مجدو، وسجن الدامون، وسجن الشارون.

أساليب التعذيب في سجون الاحتلال

معظم الشعب الفلسطيني ذاق مرارة الاعتقال والسجن، وأدرك شعبنا والعالم أجمع أن الاحتلال لا يرحم، ولا يرجمنا بالورود والياسمين، بل يرجمنا بالصواريخ والقنابل والرصاص، ويصب جام غضبه علينا دائماً، إذ يعمل على إرهابنا، وقتلنا،

وتجويعنا، وإذلالنا، وإهانتنا، ويريد أن يجعل منا شعباً معوقاً جسدياً، ونفسياً، وفكرياً، واقتصادياً، وعلى كل الأصعدة والمستويات، ولكن هيهات له ذلك، وخلال الأسر يحاول الاحتلال جاهداً أن يمارس كل أنواع وأساليب التعذيب الجسدي والنفسي، ولعل أبرزها:

- تغطية الوجه والرأس بكيس قذر، مما يؤدي إلى تشويش الذهن وإعاقة التنفس.
- الشبح، وأصله وقوف الأسير أو جلوسه في أوضاع مؤلمة جداً، والتقييد من الخلف لفترات طويلة قد تصل إلى بضعة أيام.
- الحرمان من النوم فترات طويلة .
- الحبس في زنزانة ضيقة جداً.
- الحرمان من الطعام، أو إعطاء الأسير قدرًا قليلاً منه لا يفي بحاجة جسمه، أو عدم إعطائه الوقت الكافي لتناول الطعام.
- الضرب المبرح من ركل وخنق، وضرب على الأماكن الحساسة، والحرق بأعقاب السجائر، والتعرض للصدمات الكهربائية، والضرب الوحشي المفضي إلى الموت، كضرب رأس الأسير بالحائط، والضرب على الكبد والمعدة والكلى.
- تعريض الأسير لموسيقى صاخبة جداً تؤثر بشكل كبير على الأعصاب والحواس.
- التهديد بإحداث عاهات وإصابات بالعجز الجسدي، أو النفسين أو الجنسي، وكانت حالات من الأسرى تم الضرب فيها على أسفل الظهر والرقبة، مما سبب لها عاهات دائمة.

- الحط من كرامة المعتقلين، حيث يرغب المعتقل على القيام بأمور من شأنها الحط من كرامته، وإذلاله، مثل: الطلب منه تقبيل حذاء المحقق، أو القيام بالنباح، أو المواء، أو النهيق، وغير ذلك من أفعال تتم عن سادية الاحتلال، وانحطاط أخلاقه .
- تهديد المعتقل بالاغتصاب، والاعتداء الجنسي عليه، أو على زوجته وذويه.
- اعتقال الأقارب من أجل الضغط على الأسير.
- حبس الأسير مع العملاء الذين يعملون لحساب المخابرات الصهيونية (العصافير) .
- أسلوب الهز الخطير، مما يؤدي إلى إصابة الأسير بحالة إغماء ناتجة عن ارتجاج في الدماغ.
- حرمان الأسير من قضاء حاجته، وحرمانه من الاستحمام وتنظيف جسمه.
- إجبار الأسير على القيام بحركات رياضية مؤلمة جداً، مثل: وضع القرفصاء، أو جلسة الضفدع فترات طويلة.
- سكب الماء البارد جداً على الأسير تارة، والماء الساخن جداً تارة أخرى.
- تعرية الأسير تعرية كاملة، وتقييد يديه من الخلف، وإلقاؤه في العراء في الليالي الباردة جداً.
- صلب الأسير على رأسه لفترات طويلة، مع استخدام الهراوات للضرب على الساقين وبين الفخذين والبطن.
- الركوع على طاولة قصيرة الأرجل على البطن، والرأس مغطى بكيس نتن قدر من القماش، ويبدأ المحقق بالضرب

على الخصيتين، والظهر، والرأس، والكبد، مما يسبب
آلاماً حادة، وجروحاً تنزف دماً ينتج عنها تورم الخصيتين،
والتهابات مزمنة تسبب تمزق أنسجة الخصية الداخلية.(4)

معاناة أهالي الأسرى والمعتقلين في أثناء زيارتهم لأبنائهم

يعاني ذوو الأسرى أصناف الذل والمهانة على أيدي قوات
الاحتلال، وإدارات سجونهم، لحرمانهم من التواصل الإنساني
مع أبنائهم، فتتحكم سلطات الاحتلال بعملية منح التصاريح
اللازمة لذوي الأسرى للزيارة، فيكون معظمها الرفض الأمني
تحت حجج ومسميات لا طائل لها؛ من أجل عزل الأسير عن
العالم الخارجي، وتكمن المعاناة من الإجراءات المريعة
والمعقدة ولساعات طويلة التي يمر بها ذوو الأسرى قبل أن
تكتحل عيونهم برؤية فلذات أكبادهم وأسراهم من خلف
القضبان، والألواح الزجاجية للحظات قليلة، وتكون الرؤية
ضعيفة، والصوت غير واضح؛ مما يخلق مزيداً من الإرباك
والتوتر والمعاناة الشديدة، كذلك مصادرة، أو إتلاف الجنود
الهدايا المجلوبة لأبنائهم من الأشياء التي هم بحاجة ماسة إليها،
أو يحبونها ويرغبون بها، بحجج أمنية واهية. ويكون خروج
الزائرين من بيوتهم من أجل الزيارة الساعة الثالثة قبل الفجر؛
ليجتمعوا في الأماكن التي يحددها لهم الصليب الأحمر الدولي
ليلتحقوا بحافلاته المتوجهة للسجون .

والمؤلم جداً أن ترى الزائرين يقضون ساعات طويلة على
الحواجز العسكرية، خاصة في أيام الشتاء والبرد القارس، وأيام
الصيف في الحر القاتظ، وحملات التفتيش المهينة، ومن
الأهالي يفرح بوصوله السجن بعد أكثر من عشر ساعات

معاناة، لكنه يفاجأ بأن ابنه أو الأسير الذي سيزوره محروم ومعاقب من الزيارة كإجراء عقابي لا مبرر له، وهناك أسرى لم يزرهم أهلهم إلا مرة كل ثلاثة أعوام أو أكثر، كذلك يتحدث أهالي الأسرى عن إبقائهم لساعات طويلة في غرف انتظار خارجية مكتظة للغاية في درجة حرارة مرتفعة، ومعدومة التهوية بدون ماء، أو أية خدمات، كما رافقها تعطيل متعمد، وتأخير في آلية إخراج الأسرى إلى غرف الزيارة لملاقة ذويهم، وهذه الإجراءات القمعية أدت إلى إصابات بين ذوي الأسرى، تمثلت بحالات إغماء بين المسنين، والمرضى، وكان طبيب السجن يرفض التدخل؛ لإنقاذ حياة من استدعت حالته إلى التدخل الطبي. وبعد انتهاء الزيارة يبقى ذوو الأسرى أكثر من ساعتين ينتظرون رحمة الجنود؛ ليحضروا لهم بطاقات هويتهم التي تحتجز لدى إدارة السجن قبل الدخول للزيارة.

إن الزيارة عقوبة للأسرى ولذويهم، بكل ما فيها من مشقة وتعب، وقهر، ومعاناة، وعذاب، وإذلال لا حدود له .

المؤسسات الرسمية التي تعنى بشؤون الأسرى والمحربين

حقيقة إن قضية الأسرى تهم جميع الشعب الفلسطيني، وتشغل بال المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، والقيادة، وجميع الفصائل، فهي قضية يلتقي عندها الجميع، ولا يختلف فيها اثنان، وكان الشعب الفلسطيني وما زال في المخيمات والمدن والقرى يهب لنصرة الأسرى في معارك الأعماء الخاوية في الاضراب عن الطعام الذي يخوضه الأسرى، فرادى أو جماعات، فيتحرك الشارع الفلسطيني كله، ويقدم

الفلسطينيون الشهداء والجرحى من أجل الأسرى. وأهم المؤسسات الرسمية التي تعنى بشؤون الأسرى هي:

- نادي الأسير الفلسطيني، والذي تم تأسيسه سنة 1982م في احتفال جماهيري كبير في جامعة بيرزيت، ويصدر النادي مجلة بعنوان (الأسير)، إضافة الى العديد من التقارير والنشرات الإعلامية حول ظروف الأسرى وأوضاعهم، ويهدف الى رعاية شؤون الأسرى داخل السجون، والأسرى الذين تحرروا وعائلاتهم، والاهتمام بتأهيل الأسرى وتدريبهم، ونشر التراث الفكري والثقافي والاجتماعي في داخل السجون، وتوثيقه كجزء من التراث الوطني الفلسطيني.
- هيئة شؤون الأسرى والمحررين: وهي إحدى مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسست عام 1998م، وفقا لمرسوم رئاسي من الرئيس الشهيد ياسر عرفات، ضمن أهداف تحرير كافة الأسرى، وضمان الحياة الكريمة لهم ولعائلاتهم، وتأهيلهم، وانتزاع المكانة القانونية الدولية لهم، وتقديم خدمات كثيرة لهم داخل الأسر، وبعد تحريرهم، أهمها: التعليم، والتأمين الصحي، والعمل، وغيرها.
- مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة في جامعة القدس (أبو ديس) ويرأسه الدكتور فهد أبو الحج، والذي تأسس سنة 1997م، ويعمل ضمن أهداف ومحاور ثلاثة كما قال لي الدكتور فهد، وهي: متحف دائم وأبدي للحركة الأسيرة، وتجميع أرشيف وطني للحركة الأسيرة، وعمل موسوعة فلسطينية عن معاناة الأسرى والمعتقلين وتجاربهم

النضالية، على اعتبار أن الحرب مع الصهاينة بجزئها الأكبر حرب إعلامية فكرية بامتياز.⁽⁵⁾

- مؤسسة الضمير المستقلة، والتي تأسست في القدس سنة 1992م، وتعنى بقضايا حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، وفي مقدمتها حقوق الأسرى السياسيين في سجون الاحتلال.

- مركز الدفاع عن الحريات والحقوق المدنية (حريات) والذي تأسس سنة 1992م في مدينة القدس، بهدف الدفاع عن حقوق الإنسان الفلسطيني وحمايته من انتهاكات الاحتلال بما فيهم الأسرى.

- الحركة العالمية للدفاع عن الأطفال، والتي تأسست سنة 1992م، وتهدف للدفاع عن الأطفال خاصة الأسرى منهم.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر ودورها في حماية الأسرى والمعتقلين

منظمة الصليب الأحمر الدولية منظمة لها ثقلها ووزنها الدولي، وتحترم من الدول كافة، ولكن سلطات الاحتلال التي تلقي بالقوانين والمواثيق الدولية عرض الحائط، لا تحترم منظمة الصليب، ولا تحترم غيرها، ويعتبر كيان الاحتلال نفسه فوق القانون، فلا يحترم اتفاقيات جنيف لشؤون الأسرى، والأطفال، وحماية المدنيين، وحقوق المواطنين الراحين تحت نير الاحتلال.

فكيف تستطيع منظمة الصليب الأحمر أن تقوم بدورها المتمثل بتوفير الحماية للأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، ومقراتها ينتهكها ويقتحمها جنود الاحتلال متى

يشاؤون، ويعيثون فيها فساداً، ويعتقلون ويضربون من أرادوا في داخلها من مواطنين فلسطينيين وغيرهم، ومثال ذلك اقتحام قوات الاحتلال مقر الصليب في القدس يوم 2012/1/23م واعتقال النائب محمد طوطح، والوزير السابق خالد أبو عرفة، وتقول سلطات الاحتلال في ذلك: لا توجد وضعية دبلوماسية لمقرات الصليب الأحمر، ولا حصانة لهذه المقرات، وأبسط حقوق الأسرى لا تستطيع هذه المنظمة أن تعيدها للأسرى، وهو إدخال صحيفة القدس لهم، بعد أن حرموا منها.⁽⁶⁾

شهداء الحركة الأسيرة

لقد شكلت الحركة الأسيرة معلماً بارزاً في تاريخ نضال الشعب الفلسطيني، وسجلت عبر مسيرتها الطويلة تجارب رائعة رغم مرارة القيد، وقسوة السجن، لهذا تعتبر الحركة الأسيرة الخط المتقدم، والجهة الأمامية للمقاومة الفلسطينية، فيقاوم الأسرى بأمعانهم الخاوية، وبصبرهم وصمودهم على ظلم الجلادين والسجانين، وشعارهم: "نعم لآلام الجوع، لا لآلام الركوع" فقدمت الحركة الأسيرة من سنة 1967م حتى الآن شباط/ 2019م (218) شهيداً أسيراً، وكان آخرهم الشهيد الأسير ياسر بارود (51) عاماً، والذي استشهد في 2019/2/7م، وكان قد أمضى (28) عاماً في سجون الاحتلال القمعية⁽⁷⁾، وكان أول شهداء الحركة الأسيرة في الإضرابات عن الطعام الشهيد عبد القادر جبر أبو الفحم خلال الإضراب الشهير في سجن عسقلان في 1970/5/5م. واستشهد راسم حلاوة، وعلي الجعفري، واسحق مراغة في 1980/7/24م خلال إضراب سجن نفحة الذي استمر لمدة (19) يوماً، واستشهد الأسير عزيز عويسات نتيجة الضرب المبرح في

2018/5/19م في سجن ايشل. واستشهد (75) أسيراً بعد قرار تصفيتهم وإعدامهم بعد الاعتقال و (72) شهيداً نتيجة التعذيب و (62) نتيجة الإهمال الطبي و (7) شهداء أسرى نتيجة إطلاق النار المباشر عليهم .

ملاحظة: استشهد العشرات من الأسرى الفلسطينيين بعد تاريخ نشر هذا المقال سنة 2019م.

الهوامش

1. أقوال محمود عباس 2017/7/2م، www.wasse3sadrak.com، أمكن الرجوع إليه في 2019/2/9م.
2. www.arabic.sputniknews.com/arab، أمكن الرجوع إليه في 2019/2/10م.
3. صحيح البخاري، حديث رقم (3046)، كتاب الجهاد والسير، باب فك الأسير، ص638.
4. www.wafa.ps/ar-page.aspx?id=3967، أمكن الرجوع إليه في 2019/2/10م.
5. مقابلة مع الدكتور فهد أبو الحاج، 2017/5/20م، في مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة في جامعة القدس.
6. www.maannet.net/content، أمكن الرجوع إليه في 2019/2/10م.
7. جريدة القدس، العدد 17779، ص10، 2019/2/8م.

من علماء فلسطين
البروفيسور عبد الرحمن عباد العيسة
(1945م – 2015م)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمه للعالمين، إمام العلماء والقاصدين والموحدين أجمعين،
وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين وبعد :

إن من حقوق الأستاذ على تلميذه أن يكون مخلصا ووفيا له
في حياته ومماته، فوجدت أن الكتابة عن أستاذي الكبير العالم
الجليل الراحل بجسده عنا، والباقي بفكره وعلمه بيننا ما حيينا
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عباد جزء بسيط من الإخلاص
والوفاء له، وأرجو أن أفيه جزءاً من حقه، رغم ما قد يعتريني
من تقصير في الكتابه والحديث عن هذا العالم العبقري المتميز
في علمه، وخلقه، وحبه للقدس، وفي كتاباته وتنوعها. فحلمك
علي أيها العباد يشد من عزيمتي، ويحن على قلبي، ويتلطف
به، لأجمع قواي، فأتجرأ وأكتب عنك ، سائلا الله العلي القدير
التوفيق والسداد .

لقد كان من حسن حظي أن أكون قريبا للدكتور عباد في
السكن خلال إقامته في مخيم الدهيشة، وأن أكون أحد طلبته في
المدرسة، وأنني من بلدته الأصلية زكريا التي هجر أهلها عنها
بقوة السلاح عام 1948م، وأنه كان يهديني معظم مؤلفاته حتى

الأخير منها وهو (بوصله نحو القدس) الذي أصدره قبل وفاته بشهر، وكنت على تواصل معه، وأجالسه كثيراً ناهلاً من علمه الزاخر، وفكره المنير، وكنت قد أجريت معه مقابلة في برنامجي المدرسي (المدرسه مصنع الرجال) كأحد خريجي مدرسة ذكور الدهيشة عام 1961م في شهر نيسان من العام 2007م، وسأستهدي بها في كتابة موضوعي هذا عن الدكتور عبد الرحمن العزيز على قلوب الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية .

بطاقة شخصية

عبد الرحمن أحمد عطا الله عباد العيسة من مواليد قرية زكريا المنكوبة والمدمرة عام 1948م، في 5/5\1945م ومتزوج وله من الأولاد خمسة، وهم بالترتيب حسب الميلاد: إيناس، وفادي، وأحمد، ومحمد (المعتقل في سجون الاحتلال منذ 13 عاماً والمحكوم 28 سنه) وأنسام⁽¹⁾، تنتقل في السكن، فسكن زكريا، والرملة، والدهيشة، وبيت جالا، والقدس. ولقد من الله عليه بزوجة صالحة مكافحة صابرة وهي ليلي الأنصاري التي وقفت إلى جانبه وساندته، وكان لها بعد الله سبحانه وتعالى فضل كبير في ما وصل إليه من مكانة علمية وتربوية وفكرية.

المسيرة التعليمية

درس في مدرسة الرملة من 1951م إلى 1955م، ثم في مدرسة مخيم الدهيشة من 1955 إلى 1961م، ثم بيت لحم الثانوية من 1962م إلى 1963م، ورابطة الجامعيين في الخليل

سنة 1964م، وحصل على التوجيهية المصرية سنة 1964م، ودبلوم معهد المعلمين في سبلين بلبنان سنة 1966م، وبكالوريوس في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية سنة 1977م، ودرجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة القديس يوسف اليسوعية سنة 1982م، ودرجة الدكتوراة في اللغة العربية وآدابها من جامعة القديس يوسف سنة 1990م، ونال درجة الأستاذية (البروفيسور) سنة 2010م.⁽²⁾

طفولته

عاش عباد طفولة صعبة ومريرة، طفولة يتم وحرمان، حيث توفي أبوه وهو لم يتجاوز السنة السادسة من عمره، وعندما هجرت العصابات الصهيونية معظم أهالي قريته زكريا بقوة السلاح، والقتل، والإرهاب في 15\5\1948م، وبقي القليل منهم في القرية، وكان هو ممن بقوا، حتى تم طردهم وتهجيرهم عن القرية في شهر تشرين الأول من العام 1950م، فسكن الرملة أربع سنوات، ثم انتقل إلى مخيم الدهيشة ليعيش يتيما في بيت أحد أبناء عمومته، وأجمع كل من عرفه على أنه كان منذ طفولته مطيعاً، ومحبا لكل الناس، ومتواضعاً، ومتسامحاً، ويحب الخير للجميع، ويساعد كل من يطلب المساعدة، أو كان بحاجة لها من دون طلب، وييسر الأمور ولا يعقدها، وبالإضافة إلى أمه كانت زوجة ابن عمه قد احتضنته، وعاملته بلطف. ووقف ابن عمه إلى جانبه دائما محاولا أن ينسيه يتمه، وظروف حياة المخيم البائسة والفقر المدقع الذي يحياه كل سكان المخيم خاصة في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. أحب القراءة والكتابة منذ سني حياته الأولى، فتراه إما

يقرأ، أو يكتب، فامتلاك ثقافة أدبية، وعلمية واسعة منذ نعومة أظفاره، وامتلاك أدوات الكتابة الإبداعية، والقدرة على تطوير اللغة.(3)

المؤتمرات والاعمال التي شارك فيها والمناصب التي تقلدها

البروفيسور عبد الرحمن عباد استاذ متخصص في اللغة العربية والأدب العربي، ولم يبخل طوال حياته ببعثاته المتواصل في مهنة التعليم خدمة لأبناء وطنه، فعمل مدرسا للرسم الهندسي في مدارس وكالة الغوث، ومعلما للغة العربية والتربية الإسلامية، وأستاذاً في كلية العلوم التربوية التابعة لوكالة الغوث، ورئيساً لدائرة اللغة العربية والثقافة الإسلامية والعلوم الإنسانية فيها، والأمين العام لهيئة العلماء والدعاة في فلسطين، ورئيس تحرير أسبق لمجلة الإسراء، وعضو اللجنة التنفيذية لاتحاد المؤرخين العرب، وعضو المجلس الإسلامي الصوفي الأعلى في فلسطين، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء فلسطين، وعضو مجلس أمناء مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة .

شارك عباد في أكثر من مئة مؤتمر كما قال لي، منها خمسة عشر مؤتمراً في القاهرة والإسكندرية بإشراف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، قدم فيها خمسة عشر بحثاً منشوراً، وأحد عشر مؤتمراً من مؤتمرات مركز اللقاء، قدم فيها أحد عشر بحثاً منشوراً، ومؤتمر اللاعنف في الإسلام في جامعة هلسنكي باللغة الإنجليزية قدم فيها بحثاً منشوراً، وثلاثة مؤتمرات في إيطاليا حول الحوار بين الأديان، وأربعة مؤتمرات في الدوحة، وأربعة مؤتمرات حول أدب الأطفال في

فلسطين برعاية الاتحاد العام للكتاب في فلسطين ووزارة الثقافة الفلسطينية، ومؤتمرين حول ثقافة الحوار في أكاديمية القاسمي بباقة الغربية، ومؤتمرين في المجالس الحسنية في المملكة المغربية برعاية الملك الحسن الثاني، ونجله الملك محمد السادس قدم فيهما بحثين منشورين، وأكثر من عشرين مؤتمراً حول الحوار بين الثقافات والأديان في بلجيكا، وإسبانيا، وإيطاليا، وفرنسا، وقبرص، والسويد، والنرويج، وسويسرا، واليونان، وتركيا، والأردن، وألمانيا قدم فيها مجموعة من الأبحاث المنشورة. وألقى مئات المحاضرات في فلسطين والوطن العربي، والكثير من دول العالم كأميركا، وجنوب إفريقيا، والدول الأوروبية.(4)

مؤلفاته وبحوثه

يعتبر عباد واحدا من علماء الدعوة الإسلامية والبحث في الفكر الإسلامي والتربوي، وأحد الباحثين والكتاب المتميزين في أدب الأطفال، وفي إعداد المناهج الفلسطينية وتصميمها في اللغة العربية والتربية الإسلامية خاصة الصف التاسع، وقد أبدع وتميز في كل مجال كتب فيه، وحري بنا في هذا المقام أن نشير إلى أن الكثير من أعماله ترجمت إلى لغات عدة ومنها، الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والتشيكية، والتركية، والعبرية. وقدمت حول مؤلفاته بعض رسائل الماجستير (جمهورية بني كلب) بالعبرية وأطروحات دكتوراة (أدب الأطفال) بالإسبانية، وله أكثر من ستين مؤلفا لعل أهمها: جمع الشمل، وذاكرة البرتقال، وذاكرة الزيتون، وذاكرة النخيل، وذاكرة العصافير، وذاكرة الوطن، وجمهورية بني كلب،

ورواية الهمج، ونموت ولا نرحل، وأحلام اللوز، ورحلتي عبر الجسور، والعائلة الكريمة، ومن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والقصة والأقصوصة الفلسطينية في أدب مصطفى مرار، والأدب في مدينة الناصرة، والشعر السياسي في الأدب الأموي، وفن الكتابة والتعبير، والعز بن عبد السلام، والفائزون، واللاعنف في الإسلام، وقضايا إسلامية معاصرة، والمغفلون النافعون، ومذكرات خروف، والتجريب والتجديد، وذاكرة المكان، وأبو مسلم الخرساني، وعمر بن الخطاب في القدس، وصلاح الدين الأيوبي، وأقدس مدينة في التاريخ، والقدس قبلة القلوب، وبوصلة نحو القدس.

وله مئات المقالات، والأبحاث الأدبية، والفكرية، والتربوية، والإسلامية نشرها في عدة صحف ومجلات فلسطينية، وعربية، ودولية منها: نماذج تاريخية من التسامح الإسلامي، ودور المسلمين في إنقاذ القدس، ودور المرأة في المجتمع، وازدواجية المعايير في المواقف الدولية وبخاصة القدس، ومفهوم الوطن في الإسلام، والإسلام والعولمة، والقدس في العقيدة الإسلامية، والحوار في القرآن الكريم، والمسيح في القرآن الكريم، وأدب الأطفال، وتشجيع القراءة في المدارس الأساسية، وحقوق الطفل في الإسلام، ودور العلماء العرب في تطوير التربية، وأدب الاختلاف، وقدم برامج متعددة عبر الفضائيات العربية، والفلسطينية خاصة برنامج (البعد الأول) الذي جاء في ثلاثين حلقة من إنتاج شبكة معاً الإخبارية سنة 2014م بثتها الشبكة في رمضان سنة 2014م، وأعادت بثها في رمضان 2015م.

الجوائز التي حصل عليها

- حصل الدكتور عباد على عشرات الجوائز وشهادات التقدير الفلسطينية، والعربية والعالمية، أهمها:
- جائزة فلسطين الأولى للآداب سنة 1989م .
- الشهادة التقديرية للعلماء المتميزين من الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات سنة 1997م.
- وسام القدس سنة 2004م .
- وسام منظمة التحرير الفلسطينية .
- وسام الصداقة من البابا شنودة .
- وسام التميز والإبداع في مجال الثقافة والعلوم والفنون من الرئيس محمود عباس سنة 2015م.

أسلوبه الأدبي والفني

لقد قام الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عباد بتأليف حوالي سبعة وستين مؤلفاً موزعة على النواحي الأدبية، من نقد، وبحث، ودراسة، والرواية، والقصة، والأقصوصة، وأدب الأطفال، وأدب الرحلات، وغيرها، وكان للقدس نصيب الأسد من مؤلفاته، حتى الأيام الأخيرة من حياته ظل وفيها لها، مدافعاً عنها، وهذا ما لاحظناه في مؤلفه الأخير (بوصله نحو القدس) الصادر في نيسان 2015م.

تميز دكتورنا بدقة تحليلاته، وعميق استنتاجاته، ورؤيته الثاقبة للأمور، وواقعيته، وربط الفلسطيني بترائه، ووطنه، وكتابات تعكس الحياة الأدبية، والسياسية للمجتمع الفلسطيني،

وترى في مؤلفاته طلاوة العبارة وعمق الاستبصار، ونبيل الهدف، وجودة التصوير، وتلمس فيها الصبر، والعناء، والجهد الكبير. ففي أطروحته الدكتوراة (الحركة الأدبية الفلسطينية في الناصرة 1990م) التي قضى ثماني سنوات في إعدادها، واتسمت بالتنوع، والشمولية، والتشعب، فقال فيها الدكتور وليم الخازن رئيس الجامعة اللبنانية (إنها عمل موسوعي لا يستطيع النهوض به شخص بمفرده، وإنها تحتاج إلى جهد مؤسسة حتى تؤتي أكلها على أطيب وجه، ولكن الدكتور عباد تمكن بما عهد عنه من مثابرة وجد من إنجاز هذا العمل الذي اعتبره واجبا وطنيا يخدم به وطنه.⁽⁵⁾

ليس غريبا أن يمتلك الدكتور عباد ناصية اللغة، ويعمل على تطويرها بما يخدم أهدافه السامية، وقد لازمه القلم منذ نعومة أظافره، فعندما تقرأ له تجد صدق التجربة، والمحبة للدين، واللغة العربية، والإنسان، والوطن، والقضية الفلسطينية، والأمة العربية، والإسلامية، والبشرية جمعاء، ف أظهر الإسلام بصورته الصحيحة التي تليق به، ففي كتابه (اللاعنف في الإسلام) الصادر عن هيئة العلماء والدعاة في فلسطين سنة 1996م، يبين أن الإسلام ليس دين تطرف كما روج له بعض المستشرقين، بل دين محبة، وتسامح، وحق، وعلم، ونور للبشرية فيقول: (فقد كان الرسول (ص) وأصحابه يتلقون الأذى ويتعرضون للتعنيف بنوعيه الجسدي والنفسي، ويقابلون ذلك بالصفح والمغفرة والصبر، وقصة الرسول (ص) مع أهل الطائف (قبيلة تثقيف) بالغه الدلالة على هذا الموقف، وتعد واحدة من أعظم محطات الصبر والاحتساب في السيرة النبوية، كذلك ما حصل بعد معركة بدر، ويوم فتح مكة، وولاية أبي بكر، وما بعده من الخلفاء الراشدين)⁽⁶⁾. وتبدو في طرحه المنطقية، والوسطية، وفن الحوار، وفهم الآخر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والحكمة، والموعظة الحسنة، فيطبق قول الله

تعالى: [وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْنُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ] (آل عمران : 159)، فجعل من الرسول (ص) قدوة له في حياته، وخطابه، وحواره، وسلوكه.

لقد أبدع الدكتور عباد في فن القصة القصيرة، والأقصوصة عند الأطفال وتميز على مستوى فلسطين، والوطن العربي في هذا المجال، وله إنتاج وفير في القصة الطفلية الفلسطينية أبرز فيها القيم التربوية الوطنية، والدينية، والاجتماعية، والإنسانية التي يجب على الأطفال التحلي بها، وتصوير مكابدة الشعب الفلسطيني ومعاناته، ومواقف وشخصيات إسلامية لها تميز في تاريخ القدس بشكل خاص، والتاريخ الفلسطيني بشكل عام، فأحب الدكتور عبد الرحمن عباد الأطفال بصفاء قلوبهم، وبراءة وجوههم، وصدق ابتساماتهم، فكان يقول دائما علينا أن نحسن صناعة هؤلاء الرجال (يقصد الاطفال) بالحرص على تغذية عقولهم بمنظومة القيم التربوية بكافة مجالاتها. فركز في قصصه على الإيثار، وحب العدل، وتقدير العلم والعلماء، وكراهية الظلم ومن يتملقه، والمحبة بين الأقارب، ونبذ الخلاف لأنه فيه هلاكهم، والدفاع عن الحق، والحرص على العمل وإتقانه، والعمل الجماعي، ومقاومة الاحتلال، والدفاع عن الوطن، والعمل على بنائه، واحترام المخلوق لقدراته وهيئته التي خلقه الله عليها، والاعتزاز بالنفس وصون كرامتها، والتألف بين الشعب الواحد على أرض فلسطين من مسلمين ومسيحيين، والرفق بالحيوانات، والثبات في الوطن، وعدم الهجرة، وبر الوالدين والمعلمين، وتعليم مهارات تقنيه وفنية هامة في حياة الناس، وقيم ومبادئ كثيرة جدا نتعلمها ونتمثلها في قصصه للأطفال.(7)

ومن الخصائص الفنية في قصصه التي قدمها للأطفال: بناء الحدث على أسلوب السرد الذاتي، وأسلوب الحوار، وتوظيف الرمز والإيحاء، ففي قصته (جدتي الزيتونة) يرمز للجدّة الزيتونة ذات الجذور العميقة في الأرض إلى الشعب الفلسطيني ذي التاريخ العميق في وطنه، وتحكي كل قصة حدثاً واحداً يتسم بالوضوح والواقعية، واللغة فصيحة سهلة، ملائمة لمستوى الأطفال اللغوي والمعرفي، ومناسبة لمستوى الشخصيات الاجتماعي، والنفسي، والفكري، واستخدم التصوير الفني الجميل كقوله في قصه (المعركة) كانت الشمس تميل نحو الغروب نائرة شعرها البرتقالي على الأفق. والغيوم تتهاذى في مشيتها نحو الشرق ... والطيور تغني في ملكوت ربها.⁽⁸⁾ وتعبّر الكثير من قصصه خاصة مجموعة (ذاكرة العصفافير) عن معارف علمية ذات علاقة بالطواهر الطبيعية، والمعاني المجردة بأسلوب واضح بطريقة السرد المباشر والحوار.⁽⁹⁾ فكتب الدكتور عبد الرحمن عباد للأطفال، والكبار، والمثقفين، والمتخصصين بأسلوب يحتفظ للغة بكل مقوماتها، كما يحتفظ بالوضوح، والابتعاد عن الألفاظ الغامضة، والمعاني المبهمة، فحرص على الأداء البليغ، بحيث يروق المتكلم، والكاتب، والمترجم، والسامع بعذوبة منطقته، فتلذّ العقول والقلوب لكتاباتّه، فلا يرتفع عن مدارك الناس بما يورد لهم من كلام واصطلاحات ومفاهيم.

لقد التزم عباد بالمعيار الرئيس لواقعية القصص التي يكتبها للأطفال، بخلوها من عناصر السحر، أو من ما فوق الطبيعة، فأثر الواقع الحسي والطبيعة الظاهرة على سباحات العاطفة، وهتافات الوجدان. وطرق باب القصص العلمية والخيال العلمي في أدب الأطفال في إطار القوانين العلمية والمبتكرات التكنولوجية وهذا غير شائع في أدب صغار الأطفال.⁽¹⁰⁾ ويستفيد الأطفال من قصصه العلمية، معلومات

علمية، ومفاهيم طبية كقصة (الأسرة السعيدة) فأبرز مفهوم مرض الثلاسيميا، وحامل المرض، والوراثة، وأشبعها بالصور التي توضح احتمالات حمل المرض، أو الإصابة به عن طريق الوراثة، وبنى الدكتور بعض قصصه للأطفال على عدة حوادث تتربط ترابطاً فنياً وعضوياً، ووقفها بين المواقف الجدية، والمواقف المرححة، وبين المواقف الجمعية، والمواقف الفردية.⁽¹¹⁾

وفاته

لقد عاش دكتورنا سبعين عاماً قضاها مكافحاً من أجل الوطن، ومن أجل شعبه، وأمته، ودينه، ولغته، وإنسانيته حتى أسلم روحه لبارئها مساء يوم الإثنين السابع من شهر شعبان عام ألف وأربعمئة وستة وثلاثين للهجرة، الموافق الخامس والعشرين من شهر أيار سنة ألفين وخمس عشرة للميلاد راضية مرضية محتسباً بإذن الله كل ما قام به عند الله سبحانه وتعالى، فكان هذا اليوم يوماً حزيناً على الشعب الفلسطيني بفقده شيخ العلماء والمفكرين الفلسطينيين في القرن الحادي والعشرين، وشيعه وبكاه الآلاف من أبناء شعبه وعائلته، وتلاميذه، ومحبيه، وأصدقائه، وزملائه. وكان المسجد الكبير في مخيم الدهيشة مكان لجوئه وعائلته من قرية زكريا، حيث صلى على جثمانه الطاهر الناس صلاة الجنازة وأم المصلين الدكتور الشيخ العالم صديقه عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى، وقد اكتظ بالمصلين ولم يتسع لجميع من حضر ووري جثمانه الطاهر في مقبرة محيط مسجد بلال بن رباح (القبة) الواقعة شمال بيت لحم، إنا لله وإنا إليه راجعون .

لم ينقطع عمل فقيدنا من الدنيا فترك أبناء صالحين يدعون له، وترك سبعة وستين مؤلفاً قيماً أثرى بها المكتبة الفلسطينية، والعربية، والإسلامية تتعلم منها الأجيال كل ما هو مفيد

وصالح، ومئات الأبحاث والدراسات، والمقالات الغنية بالفكر، والمعلومات، وصدقاته الجارية عرفها الكثيرون من خلال دعمه ومساندته لطلاب العلم والفقراء، والأيتام، فهذا هو عالمنا وكاتبنا المفكر الفلسطيني الكبير عبد الرحمن عباد العصامي، الهادئ، الواثق بنفسه، المتواضع، الصبور على المرض، الموسوعة العلمية المتنقلة التي تسير على الأرض، الدمث في أخلاقه، المستقيم في سلوكه، الوفي لأصحابه، وأصدقائه، وزملائه، وطلابه، الداعي دائماً للوحدة، والمحبة، والتسامح، عاشق وطنه وشعبه وقدس الأقداس، فإلى جنات الخلد يا فقيدنا الغالي، وألهم ذورك وشعبك وأمتك الصبر والسلوان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش

1. مقابلة مع الدكتور عبد الرحمن عباد، في 4/5\2007م.
2. مقابلة مع الدكتور عبد الرحمن عباد، مرجع سابق.
3. مقابلة مع الحاجة فاطمة عدوي جارة الدكتور عبد الرحمن عباد في زكريا والدهيشة في 23\6\2015.
4. <http://www.al-liqacenter.org/eng/aboutus/d.abbadcv.php>
5. الحركة الأدبية الفلسطينية في الناصرة (1990م) عبد الرحمن عباد، صفحة الغلاف الخارجي.
6. أنظر اللاعن في الإسلام (1996م) عبد الرحمن عباد، ص1-ص8.
7. موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني ج5، قصص الأطفال عند الدكتور عبد الرحمن عباد ص123- ص137، جميل حسني الكركي.
8. موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني مرجع سابق، ص130- ص134.
9. ذاكرة العصافير (1996م) عبد الرحمن عباد، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس.
10. أدب الأطفال دليل المعلم، وزارة التربية والتعليم ووزارة الثقافة الفلسطينية، ص24.

11. الأسيرة السعيدة (2000) عبد الرحمن عباد ، جمعية اصديقاء مرضى التلاسيميا في فلسطين . وانظر موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث ، مرجع سابق ص136.

من أدباء الداخل المحتل الاديب الفلسطيني محمد علي طه وأدبه الملتزم

المقدمة

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هدى، وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركته على صفوة خلقه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم، وعلى آله الطاهرين الطيبين، وصحابته أجمعين، ورحمة الله ومغفرته للتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

نشكر الله الذي جعلنا من سكان هذه الأرض المباركة، ونحمده الذي هيا لهذه الأرض رجالاً ونساءً يزودون عن حماها بأعز ما يملكون: الدم، والمال، والعرق، والفكرة، والقلم، والكلمة الحرة، ويعشقون الأرض كما النحل يعشق الزهر، ومن هؤلاء: الأديب القاص محمد علي طه ، الأديب الملتزم الذي لم يأل جهداً في الدفاع عن وطنه وشعبه بطريقته وأسلوبه الخاص. وسأتناول في مقالتي البحثية هذه الأديب محمد علي طه من حيث حياته ومؤلفاته، وأسلوبه الخاص، والالتزام في الأدب الفلسطيني بشكل عام، وانعكاس الالتزام على أدب أدبينا، وتحليل قصة "المغروسون في الأرض".

حياته وأدبه

محمد علي طه قاص وروائي ومسرحي وكاتب مقالة ساخرة، وهو كاتب بارز من كتاب القصة القصيرة الفلسطينية المحلية، ولد في عام 1941م في قرية ميعار في الجليل، وشرّد من قريته عام 1948م على يد العصابات الصهيونية⁽¹⁾، توجهت أسرته إلى لبنان، ثم عادت لتقيم في بلدة كابول القريبة من قريتها ميعار، أكمل تعليمه الثانوي في قرية كفر ياسيف، والتحق بجامعة حيفا لإتمام دراسته الجامعية، وحصل على اللقب الجامعي الأول البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ من جامعة حيفا عام 1974م، وعمل في تدريس اللغة العربية وآدابها في الكلية الأرثوذكسية لمدة خمس وعشرين سنة، وأسس مع عدد من الكتاب "اتحاد الكتاب العرب في الداخل المحتل عام 1987م، وانتخب رئيساً له عام 1991م خلفاً للشاعر سميح القاسم، وظهرت مجموعته القصصية الأولى: لكي تشرق الشمس" عام 1964م، وتعكس قصص محمد علي طه الأوضاع الجائرة التي يعاني منها الفلسطينيون تحت الاحتلال الإسرائيلي، وهو يبدي اهتماماً خاصاً بحياة الفلسطينيين في المخيمات، ويصور هذه الأوضاع بأسلوب واقعي، لكنه يستحوذ على القارئ للقيمة الجمالية التي يحملها.⁽²⁾

لقد شارك طه في الكثير من المؤسسات والقوى الوطنية الفلسطينية في الداخل المحتل، فكان من مؤسسي لجنة الدفاع عن الأراضي العربية التي أقرت إضراب يوم الأرض في 1976/3/30م، وانتخب في العام 1998م رئيساً للجنة إحياء ذكرى النكبة والصمود، وتعرض للملاحقة والاعتقال عدة مرات، وصادرت سلطات الاحتلال مجموعته القصصية (ورد لعيني حفيظة) وترجمت قصصه الى عدة لغات عالمية.

يعتبر محمد علي طه من الكتاب المكثرين والمجددين في الأدب العربي في الداخل الفلسطيني، ولم يتوقف تجده في يوم من الأيام، كما اتسعت المصادر التي اعترف ونسل منها، فيتبين لنا من مجموعته الأولى "لكي تشرق الشمس" تأثره بالكاتبين المصريين يحيى حقي، ومحمود تيمور، بينما في مجموعته الثانية "سلاماً وتحية" فبإمكاننا تلمس مصادر تأثير جديدة كنجيب محفوظ، ويوسف إدريس للذين أثرا في أسلوبه الفني شكلاً ومبنى، وفي مجموعته الثالثة "جسر على النهر الحزين" تأثر بـ محفوظ، وبألبير كامو، وصموئيل بيكيت.⁽³⁾

مؤلفاته

- كتب محمد علي طه في مجالات وأغراض متعددة في الأدب، وبلغت مؤلفاته أكثر من خمسة وأربعين مؤلفاً، أهمها:
- لكي تشرق الشمس. مجموعة قصصية، صدرت سنة 1964م.
 - سلاماً وتحيته. مجموعة قصصية، صدرت سنة 1969م.
 - جسر على النهر الحزين. مجموعة قصصية، صدرت سنة 1974م.
 - عائد الميعاري يبيع المناقش في تل الزعتر، مجموعة قصصية، صدرت سنة 1978م.
 - وردة لعيني حفيظة. مجموعة قصصية، صدرت سنة 1983م.
 - النخلة المائلة. مجموعة قصصية، صدرت سنة 1995م.
 - سيرة بني بلوط. رواية، صدرت سنة 2004م.
 - بالعربي الفصيح. مقالات ساخرة، صدرت سنة 1995م.
 - فساتين. مسرحية، صدرت سنة 2002م.

- أربعة كتب للأطفال ضمن سلسلة أساطير العالم للأطفال، صدرت سنة 1986م.
- الأميرة رشا. قصة طويلة للأطفال، صدرت سنة 1994م.
- ومن مسرحياته: حوض النعنع، وإضراب مفتوح، وسواق أخو أخته.⁽⁴⁾
- ومن إصداراته الأخيرة كتاب "نوم الغزلان" الصادر سنة 2017م، والذي يعتبر فصولاً على هامش السيرة الذاتية، ويشير إلى أن الإنسان الفلسطيني لا يستطيع أن ينام قرير العين، فيغمض عيناً، ويفتح عيناً، ليعرف ما يدور حوله، ولغة هذا الكتاب المتنوع في القضايا الاجتماعية والسياسية غاية في الجمال، وفيه إبداعات الانتماء إلى المكان، وفيه يتحدث عن الإنسان الفلسطيني المشرد، وما مر به الأجداد والآباء، والطفل الصغير الذي لا يفهم، ولا يفقه لما يدور حوله.⁽⁵⁾

الالتزام في أدبه

الالتزام لغة: لزم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً، ولازمه ملازمة ولزماً، واللزام: الملازمة للشيء، والدوام عليه، والالتزام الاعتناق، كذلك الفيصل جداً.⁽⁶⁾

الالتزام اصطلاحاً: مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الأديب، ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحاً وإخلاصاً وصدقاً واستعداداً من المفكر

ليحافظ على التزامه دائماً، ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الالتزام.⁽⁷⁾

أما سارتر، فقد عرف الأدب الملتزم فقال: مما لا ريب فيه أن الأثر المكتوب واقعة اجتماعية، ولا بد أن يكون الكاتب مقتنعاً به عميق الاقتناع، حتى قبل أن يتناول القلم، عليه بالفعل أن يشعر بمدى مسؤوليته، وهو مسؤول عن كل شيء، عن الحروب الخاسرة أو الرابحة عن التمرد والقمع، أنه متواطئ مع المضطهدين، إذا لم تكن الحليف الطبيعي للمضطهدين.⁽⁸⁾

ومن خلال قراءاتي وبحثي في قصص محمد علي طه وجدت صدقه والتزامه، فالأدب الملتزم هو الأدب الصادق، فكاتبنا تناول الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون، وهو كاتب جريء، يهاجم المخادعين والسياسيين وغيرهم في حال تقصيرهم، أو عدم القيام بواجبهم كما ينبغي، لهذا فالكاتب لا يستحق حمل القلم والكتابة به إن لم يقل الحقيقة بعيداً عن النفاق والرياء. فأديبنا جزء من الشعب الفلسطيني متفاعل بقضايا هذا الشعب وظروفه من التشريد، والقتل، ومصادرة الأراضي، والنفي، والحواجز، والقهر والظلم، فكل ذلك أثر في نفسية محمد علي طه، مما عكس على قلمه وكتاباتته بخروج الكلمات المفعمّة بالصدق المؤثرة في وجدان القارئ ونفسيته مباشرة، فأديبنا يشارك الناس همومهم، وتفاعل مع أحداثهم وظروفهم السياسية والاجتماعية، ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك إلى حد نسيان النفس أو إنكارها، وكتاباتته تقول أنه يعاني من أجل جماعته ومواقفهم، ولا يتخلّى عن مبادئه مهما عانى أو قدم من تضحيات في سبيل توصيل ما يتعرض له شعبه من ظلم وقهر وطغيان على أيدي المحتلين

المجرمين للعالم أجمع، ويبقى ملتزماً بالخط الوطني الثوري الذي يجسد روح المقاومة بكل الأساليب المتاحة حتى تحرير الأرض المغتصبة المحتلة واستردادها من الغاصبين المحتلين.

يسهم كاتبنا في التعبير عن الهوية الفلسطينية بإنسانيتها، وزمانها، ومكانها من خلال علاقة التواصل بينه وبين مقوماتها الوجودية، فيرصد مرحلة تاريخية ثورية في عمر هذه القضية والهوية، وتتجلى في قصصه ملامح الهوية الفلسطينية من خلال رصده المكان، والزمان، والإنسان مما يتصل بها من تاريخ وتراث، وتتخذ لنفسها حق الصدارة في الرؤية القصصية كآتم ما يكون عليه مبدأ الالتزام، ويغلب على قصصه العشق للأرض، وما يتجسد من عوامل ومقومات لهوية الإنسان الفلسطيني، وهو يصارع أزمة بقاءه ووجوده على ما تبقى من تراب، فطه الكاتب المنكوب في قريته عام 1948م، واللاجئ الغريب في وطنه، مشبع بالحس الوطني، ويرى من نفسه نموذجاً لمأساة فلسطين، ولهذا شغل هذا الموضوع شاغله، وعبر عنه من خلال عدة محاور أهمها: الإنسان، والمكان، والتراث، وتتجاذب هذه المحاور مع بعضها، وقد تتنافر، بحيث نراها مجتمعة أو منفصلة في القصة الواحدة.⁽⁹⁾

ويبدو الالتزام في أدب محمد علي طه من خلال تصريحه بأنه لن يفرط بالأرض فهي آخر ما تبقى من أرض السهل المصادرة كما بين في قصة "الاستثناء والقاعدة" وأبدع في الترميز لفلسطين من خلال بقرة حلوب مقدسة ورثها جده عمرو بن العاص، وطمع فيها الإنجليز والفرنح كما في قصته "عائشة تضع طفلاً حياً يقرأ لكم ما تيسر من سورة البقرة" ويبدو الالتزام كذلك في أدب طه من خلال رصد حركة النضال الفلسطينية في الدفاع عن الأرض

وحقوق العمال متجسداً في "فارس رتيبة" الذي يقوم بدور الوعي والمقاومة في قصة "وصار اسمه فارس أبو عرب" وتجلت علاقة الانتماء بالأرض بشكل مكثف في قصة "فارس هذا العصر" إشارة إلى أن طريق التنازل عن الأرض والعرض لمن يدخله الفلسطيني الصادق، كذلك يتجسد الالتزام الأدبي عند طه في الرغبة الجامحة في إزالة الحواجز بين أبناء الشعب الواحد الممزق بين طرفي الحدود، ورمزه للجنود بالأنظمة الحاكمة التي تظل غير مبالية لمعاناة العائلات، وهذا ما ظهر في قصته "الخط الوهمي" مشهد اللقاء في البوابة التي تفصل بين شطري مدينة القدس.⁽¹⁰⁾

تحليل قصة "المغروسون في الأرض"

هذه القصة من المجموعة القصصية "جسر على النهر الحزين" الصادرة سنة 1974م، تقع في إحدى عشرة صفحة من القطع الصغير، وتتحدث القصة عن رجل اسمه حسن أبو النعاج، أمنيته زيارة قبر والده، حيث كان يسخر منه جيرانه وسامعوه، ويقولون له: "لو أن قبر أبيك مثل قبر سيدنا محمد (ص) ما اجتهدت لزيارته بهذه الطريقة، واعتبر أصحابه وجيرانه هذا القبر رابع المستحيلات الثلاث إلى أن عرفوا الحقيقة، وتكشفت لهم أن أباه مات شهيداً مغروساً في الأرض، واقفاً في وحل أرض سهل مرج ابن عامر، وهو يحاول العودة إلى بلده التي هجره الأعداء الصهاينة منها عام 1948م بالقوة والإرهاب.

فعلى المستوى اللغوي عالج المؤلف القصة بأسلوب سردي يكاد يكون كاملاً، مستعملاً أسلوب الحوار، ليناقد قضية طرد جيش الاحتلال الصهيوني للمواطنين قهراً من أراضيهم، وقراهم عام 1948م ومحاولة العودة إليها، وبطل القصة ابن صاحب القبر

الذي لقي مصرعه قبل تحقيق الهدف، فالعودة حلم كل لاجئ أبعد عن أرضه وأهله. واستخدم الكاتب عنصر التشويق؛ لمعرفة أمر هذا القبر الذي أشغل الجميع، واستمر التشويق حتى نهاية القصة، ليتضح أمر هذا القبر وقصته، مما جعل من القصة قطعة فنية رائعة وناجحة دون أن تخسر شيئاً من مضمونها، ويظهر مفهوم الالتزام في هذه القصة في تناول الكاتب قضية هامة جداً يعاني منها شعبه، ولم تخرج عن قائمة تصنيف مواضيع ومفاصل الصراع اليهودي الصهيوني العربي المتمثلة في سبعة أبواب، وهي: 1- النزوح وتشتت العائلة، ومعاناة اللاجئين. 2- مصادرة الأراضي، ومشكلة الهوية الذاتية والنفس المتجزئة. 3- موضوع الحكم العسكري. 4- أحداث حرب سنة 1967م 5- أحداث حرب أكتوبر سنة 1973م 6- العلاقات بين العرب واليهود بناء على خلفية التقاء العرب في الداخل المحتل بالمجتمع اليهودي في دولة الاحتلال. 7- الغربية وإشكالية الهوية والتمزق النفسي.⁽¹¹⁾

يرصد كاتبنا معاناة الشعب الفلسطيني في قصته هذه بجوانبها المتعددة: الاجتماعية، والنفسية، والوطنية، والاقتصادية، والسياسية، والإنسانية، على المستويين الفردي والجمعي على السواء، ويدعو إلى ضرورة استمرار العمل من أجل إحداث التغيير المنشود، وضمن قصته الخيال الواسع والأسطورة، والرمز، ويصف الاحتلال ضمناً بواقع طارئ مشوه غريب غير طبيعي، مما يعكس الواقع النفسي على نفسية الكاتب التي تعاني القلق. ويبلغ الالتزام في القصة غايته من خلال أن القصة تعرض لهموم المجموع، لا الفرد فحسب، فيقول عن المستحيلات الثلاث: "الغول والعنقاء والخل الوفي" لا تتسرعوا، فالعجلة من الشيطان: أولى تلك المستحيلات، هل سلمت أرض أحدكم؟ وثانيها: هل سلمت عائلة

دون أن يكون أحد أبنائها لاجئاً؟ وثالثها: هل سلم أحدكم من سالم موظف ضريبة الدخل؟ والمعجزة الرابعة التي أضافها: هل زار حسن أبو النعاج قبر والده وحقق أمنيته؟ فهذا تجسيد وترميز للواقع الفلسطيني في داخل فلسطين المحتلة وأراضي الضفة. ولغة القصة سهلة بسيطة والترميز فيها واضح إلى حد كبير، وخلت من المفردات العامية التي عادة ما يطعم طه قصصه بها، وتخلو القصة من التعقيد، وأكثر فيها من استخدام التشبيهات الكنايات والاستعارات.

يظهر في مضمون القصة الأبعاد السياسية المتمثلة برفض الواقع الناتج عن الاحتلال البغيض الجاثم على صدور الناس، والمتحكم بمصائرهم، وطعامهم، وهوائهم، ووجودهم، لهذا أقول: أن طه قال ما أراد أن يقوله، وقد أفلح في توصيل ما أراد إلى حد كبير، بالأسلوب الواضح الخالي من التعقيد، الذي يميل إلى السطحية المحكمة أحياناً، فالقصة مبنية بشكل محكم، بأسلوب مرتبط بالمضمون والشخصيات من بدايتها حتى نهايتها، وكانت نهاية القصة مفتوحة.

عندما ينجح الكاتب في تصوير المكان في كتاباته، يشعر القارئ وكأنه يسمع الأصوات من طيور، وليل ساكن، وغيره ويشم رائحة التراب والنبات والوطن، هذا هو كاتبنا محمد علي طه الذي حمل هموم شعبه، وتحدث عن الإنسان الفلسطيني المتشرد المظلوم، وطرح قضايا هامة في ظل الحكم العسكري كقضية مصادرة الأراضي، وقانون حاضِر غائب الذي صودرت بموجبه الكثير من أراضي الفلسطينيين أصحاب البلاد وأسيادها، وظهر جلياً التزام الكاتب الوطني والديني والأخلاقي في كتاباته، ويبدو عليه التأثير والاقتباس من الدين الإسلامي من القرآن الكريم والسنة

النبوية، والأمثال الشعبية، والتراث الشعبي، وحمل قضية شعبه بقوة وصدق، ونجد في كتاباته الإصرار على مواصلة خطه ونهجه في توصيل رسالته بأسلوب أدبي فني جميل يجمع بين المتعة والفكرة، فيقدم مضمونه الذي يريده في إطار مؤثر جذاب يشد القارئ الذي يميل إلى أن يرى الفكرة تتحقق من خلال صراع الأشخاص والأحداث في حبكة قصصية نامية، تجعل الأمر أمامه كأنه تصوير حي لواقع الحياة التي يعيشها كل يوم، وما زالت النكبة مستمرة، وما زال، الظلم على الشعب الفلسطيني واقعاً ومتفاقماً، والشعب يزداد صموداً وقوة وثباتاً.

الهوامش

- (1) ويكيبيديا الموسوعة الحرة. أمكن الرجوع إليها في 2019/6/4م
- (2) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، د. سلمى الخضراء الجيوسي، ص125.
- (3) بالعربي الفصيح مقالات ساخرة، محمد علي طه، صفحة الغلاف الأخير.
- (4) قناة مساواة [youtube.com/watch ? v=596MC12I4co](https://www.youtube.com/watch?v=596MC12I4co) أمكن الرجوع إليها في 2019/6/3م
- (5) تطور الرواية والقصة القصيرة في الأراضي المحتلة، حسين محمود حمزة، ص42، ص43.
- (6) لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص541-542.
- (7) الالتزام في الشعر العربي، أحمد أبو حاققة، ص14.
- (8) الأدب الملتزم، جان بول سارتر، ترجمة جورج طرابشي، ص44-ص45.
- (9) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، دياسين كتانة، انظر ص363-ص376.
- (10) تطور الرواية والقصة القصيرة في الأراضي المحتلة، مرجع سابق، ص11.
- (11) تطور الرواية والقصة القصيرة في الأرض المحتلة، مرجع سابق، ص9.

كيف يربّي اليهود الصهاينة أطفالهم في فلسطين

المقدمة

اليهود الصهاينة بسلوكهم وتصرفاتهم يثبتون أنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، وأعداء الإنسانية والناس جميعاً، وأعداء أنفسهم، بل أنهم كفروا بالله، وقتلوا الأنبياء، فباؤوا بغضب من الله، وعاثوا في الأرض فساداً بدعم بعض الناس لتحقيق أهداف ومصالح استعمارية لجهات ضيقة ومحصورة، فباؤوا بغضب من الناس هم ومن يعاونهم أو يتحالف معهم. فما زالوا يتبنون مخططات صهيونية مأكرة تتبى أهدافاً توسعية، وتكيد للإسلام والمسلمين وللحضارة الإسلامية كيداً مستمراً منذ عهد الرسول (ص) وصحبه إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. قال تعالى: [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا] (المائدة: 82).

علينا أن لا نستغرب ما يقوله الطيارون الصهاينة الذين يقصفون قطاع غزة، ولبنان، والضفة، وبعض أراضي العرب، ويقتلون مئات الأطفال، والنساء، والشيوخ، والمدنيين في بيوتهم بأنهم مرتاحون نفسياً وراضون عما يفعلون، وينامون مطمئنين؛ فهذا نتاج التربية والثقافة التي تلقوها، ومن فلسفة التربية في حكومة الاحتلال مذ كانوا صغاراً، والقائمة على الحقد والعنصرية، والتعالي على الآخرين، وأسطورة التفوق العقلي، وأن العرب يستحقون الموت، فهم مضحكون أغبياء، ويجب طردهم من فلسطين.

فواجب علينا أن نعرّف أبناءنا عقلية اليهود الصهاينة، وتاريخهم الإجرامي، وتبنيهم إلى مخططاتهم الفكرية، وأخلاقهم الاجتماعية الملتوية، ووسائلهم في إفساد شبابنا، وتدميرهم من خلال ضربهم في فكرهم وأخلاقهم وقيمهم، وعلى ماذا وكيف يربون أطفالهم؟

التربية لغة واصطلاحاً

التربية لغة: مأخوذة من الفعل "ربا" أي نشأ، ورباه نمّاه وغدّاه ونشأه، ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية. وتربّى تعني تنشأ وتغدّى وتتقّف.

التربية اصطلاحاً: عملية تهدف إلى مساعدة الفرد على اكتساب انماط السلوك المتوقع منه ممارستها في المواقف الحياتية المختلفة بحيث يصبح قادراً على تحقيق التكيف الإيجابي المثمر مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية، والثقافية، والطبيعية، تكيفاً يعود عليه وعلى مجتمعه بالسعادة.

الصهيونية

الصهيونية: حركة تدعو إلى إقامة مجتمع يهودي مستقل في فلسطين، وهي نسبة إلى جبل قرب أورشليم يسمّى: صهيون. وورد في الموسوعة العربية الميسرة في تعريف الصهيونية "حركة قصدت إلى قيام دولة يهودية على غرار الدولة القديمة التي قضت عليها روما، تزعمها تيودور هرزل دعا في أخريات القرن (19) إلى أول مؤتمر صهيوني دولي، والذي عقد في بال بسويسرا، وقرر تكوين منظمات صهيونية في

البلاد التي يوجد فيها عدد كاف من اليهود، وتطلعت الصهيونية إلى فلسطين لتكون مقراً لها".

التمييز العنصري ضد العرب في دولة الاحتلال

حدّد الكيان الإسرائيلي المحتل قبل نشأته في برامجه السياسية عنصريته "بالدولة اليهودية" وهي التسمية الرسمية لدولة الاحتلال ويعترف "موشي مينوّه" وهو يهودي معاد للصهيونية ، وصاحب كتاب " انحطاط اليهودية في عصرنا " الصادر سنة 1965م" بأن العقيدة الصهيونية كانت منذ البداية مكرّسة لاستعادة الوطن اليهودي بأي ثمن، وجعل فلسطين "غويم رين" أي خالية من الكفرة العرب" كذلك أجاب "حاييم وايزمن" أول رئيس لدولة إسرائيل عن سؤال للعالم اليهودي، "إلبرت آينشتاين" ماذا سيحل بالعرب إذا ما أعطيت فلسطين المحتلة لليهود؟ فأجاب وايزمن بقوله: من هم هؤلاء العرب الذين تتحدث عنهم؟ من المشكوك فيه أن تكون لهم أدنى أهمية. وبنفس الطريقة والأسلوب والعقلية تحدث الكاتب الصهيوني "بانيون ونيور" في كتاب له صدر في القدس يقول فيه: لا مكان في بلادنا إلا لليهود. إننا سنقول للعرب : تراجعوا وارحلوا، فإذا لم يوافقوا، وإذا ما حاولوا المقاومة، أرغمناهم على التراجع والرحيل بالقوة، وسنضربهم ونجبرهم على الرحيل. وقال الصحفي الصهيوني "يشعبا هون بن فورات" بأنه لن تكون صهيونية، ولن يكون استيطان، ولا دولة يهودية بدون طرد العرب ومصادرة أراضيهم. وصرّحت جولدا مائير" بأنه لا فلسطينيين، إنهم غير موجودين أصلاً".

والتربية والتعليم محور حديثنا أداة صناعة الإنسان الإسرائيلي موجهة بشكل متطرف ضمن الإطار الصهيوني لبرامج ومناهج التعليم والتربية في المدارس الإسرائيلية الذي يظهر من مناقشات أعضاء المؤتمرات الصهيونية والكنيست (البرلمان الإسرائيلي) فإذا كانت هذه نظرة اليهود للعرب، فماذا نعتقد من سلوكياتهم تجاهنا، وطريقة تعاملهم لنا، وكيف يؤسسون لهذه المنهجية في التعامل من خلال تعليم أطفالهم. فكل كتبهم في الموضوعات الدراسية المختلفة تبث سموم ونار الحقد والكراهية للعرب، وتحرض على قتلهم. فعلى سبيل المثال في مرحلة رياض الأطفال ودور الحضانة يلقن الأطفال الصهاينة الخوف من خطر الإبادة من العرب، ويتم تنمية الشعور لديهم بأنهم شعب الله المختار، أفضل الناس على الأرض، وكل العالم خلق لخدمتهم، وتوفير سبل الراحة والرفاهية لهم. وتنمية الروح العدائية والعنصرية ضد العرب من خلال لعبة "العربي المشنوق" وفي اللغة العبرية والرياضيات استخدام وتوظيف جمل تحرض على قتل العرب "اقتلوا العرب، العربي المقتول، بقتل العرب نتقرب إلى الله، يوجد عشرة عرب قتلنا تسعة، كم تبقى منهم؟" فأصبح يتصور الطفل الإسرائيلي أن يقتل عربياً في كل مرة يضغط فيها على زناد مسدسه. كذلك فاليهود الجبناء يستغلون الأحداث في العالم، ولا يصنعونها، فاستغلوا الثورة الفرنسية لتحطيم الرابطة الدينية، والخروج من "الجيتو" واستغلوا الداروينية، لنشر الإلحاد والإباحية، واستغلوا الثورة الصناعية للسيطرة على اقتصاد العالم، والديمقراطية لتوجيه السياسة الدولية، ونتائج ذلك كله تنعكس سلباً على العرب الفلسطينيين بشكل خاص، والعرب في الدول العربية بشكل عام.

إن المسالك العنصرية ليست غريزة، ولا هي استجابات آلية لفروق إنسانية، وإنما يلقتها الكبار من أعضاء طائفة بشرية للناشئين، فالكيان الصهيوني يعمل على تربية أطفاله من خلال مؤسساته بدءاً بدور الحضانة ورياض الأطفال تربية عنصرية انطلاقاً من فكرة "شعب الله المختار" لهذا فإن البروفيسور جورج بوكنان يقول: "إن فكرة الشعب المختار قد جعلت الشعب المختار يعتقد أنّ من حقه اتباع أية وسيلة لكي يبقى متميزاً عن غيره، ولأن ينظر هذا الشعب لنفسه على أنه هو الشعب المتميز وحده" ومن هذه المقولة نفهم أن هذا الشعب يستطيع القتل والمصادرة والتدمير من أجل أهدافه، ويعتبر نفسه فوق القانون.

إنّ العنصرية نابعة من صميم العقيدة الصهيونية، وترتكز على مقولة أساسية وهي ان الاندماج يعتبر ضياعاً للشخصية اليهودية، وبداية للزوال والقضاء على الدولة اليهودية، لهذا نلاحظ أن دفاع الحركة الصهيونية عن وجودها يتجه أساساً نحو صيانة الشخصية من الزوال، وترتب على ذلك ثلاث نتائج أساسية هي: الانغلاق العنصري، والتميز العنصري، والتفوق العنصري، فعملت دولة الاحتلال الإسرائيلي على تربية الاطفال تربية عنصرية تتفق مع صيانة الشخصية اليهودية من الزوال، وذلك عن طريق صهر السكان في بوتقة واحدة، وهذا أدّى إلى حقن الاطفال منذ نعومة اظفارهم بالحق والكراهية والتعصب العنصري، ورفض التعايش مع شعوب اخرى .

نظرة الطفل اليهودي إلى الإنسان العربي

الطفل الصهيوني اليهودي يغدّى دائماً وقبل كل شيء سواء في المدرسة أو البيت بأنه شيء ما، وأنه يعتز بكونه يهودياً، وما يزال طفلاً يشرب الأفكار عن عالم فيه نحن وهم. وفي مقال للصحيفة الإسرائيلية "تمارمروز" عن أدب الأطفال في إسرائيل تقول: "إنها إحدى الظواهر المفزعة في مجال أدب الأطفال في البلاد، وإن هذه الكتب تصدر بين حين وآخر يتلقفها الأطفال بحماسة بالغة، وهي تروي لهم كيف ينتصر اليهود الأبطال دائماً على العرب المضحكين الأغبياء الذين يريدون قتل اليهود لإشباع لذتهم الشخصية، ومن المذهل حقاً ما تراه الكاتبة في انجذاب الأطفال لمثل هذه الكتب والمسلسلات القصصية بكل ما تحتويه من أوصاف ورسوم كاريكاتيرية مفزعة وسادية وتكامل مذهل بالعرب الذين يوصفون دائماً بأنهم جنباء حقراء، وهذه الكتب للأطفال هي الإنتاج الوحيد الذي لا يخضع لأية مراقبة من الدولة".

وتقول الصحيفة الإسرائيلية "تسبورة شاروتي" حول كتب الأطفال الرسمية في إسرائيل فقالت: "بها يمكن تربية الأطفال اليهود على القسوة والكرهية والتعصب القومي المتطرف والاستهانة بحياة الناس والحق على العرب، وتربيتهم على التعالي والتسامي، وكرهية الشعوب المجاورة، وتطبع عشرات المطابع عشرات الآلاف من النسخ في موضوع قتلة اليهودي، والطفل اليهودي وهو ينتصر على العرب".

للعربي صورة احادية من صنف محدد في أدب الأطفال لليهود، وهو عبارة عادة صاحب حس ضيق، ويرتدي الملابس

التقليدية: السروال والعباءة والكوفية، وصفاته: كسول وسارق، وهراوي سطو وخداع وقابل دائماً للخيانة والغدر فمن خلال أدب الأطفال وتصريحات الكتاب الصهيانة، يبدو العربي لديهم سلبي للغاية متخلف غير حضاري، وغير اجتماعي، وغير أخلاقي، ويصور هذا الأدب الصراع بين العرب والصهيونية أنه صراع بين العدل اليهودي والوحشية العربية، ودائماً تنتصر الحضارة الإسرائيلية، فليس صعباً سحق العرب كما تصور ذلك العديد من قصص الأطفال كقصص "داني دين". لهذا ما نراه ونعيشه من قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ في غزة والضفة الغربية، ولبنان في عدوان الصهيانة المتكرر، خاصة في السنوات العشر الأخيرة وما سجله حقد الصهيانة في حروبهم مع العرب سنة 1948م و 1956م و 1967م و 1973م و 1982 و 2006م و 2008م و 2012م، و 2014م، ومن دفن للجنود المصريين بالآلاف وهم أحياء، ويكفي أن نقول أن الصهيانة الحاقدين قتلوا من الفلسطينيين من سنة 1948م حتى اليوم أكثر من (250.000) شهيد فلسطيني. كل ذلك يؤكد التربية العنصرية والحقد على العرب، وأنهم يتلذذون على سفك الدماء وعذابات العرب ودمارهم، ولكن هذا لن يطول فزوالهم وهزيمتهم هي قاب قوسين أو أدنى. قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل : [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا] (الإسراء: 56).

نماذج من أدب الأطفال اليهودي

تقوم القصص في أدب الأطفال اليهودي بدور بارز في تكوين شخصية الطفل الإسرائيلي وتربيته تتفق مع أهدافها وعنصريتها. وكيف تظهر الإسرائيلي بمظهر الشجاع البطل

الخيالي الذي ينتصر دائماً على العرب، وعادة ما يقوم الأطفال بتمثيل أدوار في الروضة بأسلوب قصص، كلها تدور على العرب، وأمجاد إسرائيل وتضحياتهم، وغالباً ما تعرض إسرائيل قصصاً خيالية بعيدة عن الواقع مبالغاً فيها. وسنتحدث باختصار في هذا المقام عن سلسلتين قصصيتين للأطفال ترجمهما قسم الدراسات الإسرائيلية في وزارة التربية والتعليم بالأردن:

السلسلة الأولى: قصص من صفنا منها قصة "الدودة في الردن" وجوهر هذه القصة يدور حول كيفية وصول الأطفال اليهود في دمشق إلى أرض إسرائيل، وتهدف هذه القصة إلى غرس ما يأتي:-

- 1- أن حياة اليهود في غير إسرائيل حياة بؤس وشقاء، وملاحقة مستمرة.
- 2- غرس الحقد على سوريا وتشويه سمعتها .
- 3- تعاطف اليهود فيما بينهم، وإبراز المحبة والودّ حيث يتظاهرون بأنهم شعب واحد.
- 4- التنويه بأن كل يهودي وهو يقوم بأي عمل، يفكر في إنقاذ اليهود من شتاتهم، ونقلهم إلى إسرائيل .
- 5- اليهودي أهم وأقوى وأذكى إنسان على الأرض، ودمه أنقى وأصفى وأعلى الدماء.
- 6- ذكر التضحيات الكثيرة في الوصول إلى أرض إسرائيل .

السلسلة الثانية: قصص داني دين، والتي يقوم جوهرها على السخرية بالعرب الذين تصيرهم على درجة من حماقة بعكس الأبطال اليهود المعروفين بجرأتهم. فتتحدث داني دين عن جهاز التجسس، وداني دين بطل إسرائيل، وداني دين في حرب الأيام الستة، وداني دين في جهاز الاستخبارات، وداني دين في

الطائرة المخطوفة. فمثلاً قصة داني دين في جهاز التجسس تصوّر اكتشاف شبكة تجسّس تعمل لحساب مصر يتولّى "داني دين" القيام بالمهمة السرية لمطاردة الجواسيس المصريين، ثم الكشف عن جميع أفراد شبكة التجسس المصرية في البلاد. وقد استغلّت هذه القصة لتحقيق الأهداف الآتية:

- 1- غرس الحقد والعداوة نحو الدول العربية عامّة، ومصر خاصة .
- 2- تعريف الأطفال الصهيونية بجهاز الأمن العام الإسرائيلي، وترغيبهم في العمل في هذا الجهاز لمصلحة الوطن .
- 3- بذر الشكّ في نفوس الأطفال الإسرائيليين حتى يحذروا الغرباء، حتى ولو كانوا ينتحلون أسماء عبرية ويتحدثون العبرية .
- 4- الاستهزاء بالعرب خاصة المصريين وبمخابراتهم الذين يقعون في يد البطل الإسرائيلي .
- 5- إبراز العبقريّة اليهودية في تدمير شبكات التجسس المصرية وخططهم، وزرع الثقة والشعور بالأمن في نفوس أبنائهم .
- 6- تعريف الأطفال اليهود أن الشرطة السرية يمكن أن تنتكر بأزياء عمال البناء، وعمال التنظيفات ومصلحي الكهرباء، وبائعى الصحف .
- 7- الاستخفاف بالعرب ووصفهم بالغباء، والسطحية، والجهل، والجبن، والأنانية، والحسد، والغيرة، والتنافس، والصراع فيما بينهم .

منابع التربية الإسرائيلية

الأطفال هم مرآة المجتمع، فمنهم يستطيع أي مجتمع أن يرى كيف يمكن أن تكون عليه صورته مستقبلاً، فالطفل وإن كان ابن الرجل بيولوجياً، إلاّ أنه يعتبر أبا الرجل من الناحية

السيكولوجية، بمعنى أنّ الدعامات والقواعد الأساسية التي يبنى عليها التنظيم العام لشخصية الكبير، إنما توضع في السنوات الأولى من حياة الصغير، لذلك يسمى البعض السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الطفل بالسنوات التكوينية، وهي التي ركزت عليها التربية والتعليم الإسرائيلية في تعليم أطفال الصهاينة، فبدل أن تنشئهم على الحب، والتسامح، والإنسانية، تنشئهم على الحقد، والقتل، والفساد، والتلذذ في قتل الأطفال الفلسطينيين والعرب. لهذا فتركز التربية العنصرية الإسرائيلية على عدة مصادر من أهمها:

1- التوراة المحرفة: تستغل التوراة المحرفة في تحريض اليهود على الشعوب الأخرى وإيهامهم بحقهم التاريخي في العودة إلى فلسطين. ويعبر "بن غوريون" عن الضوء الأحمر الذي يعتقد أن التوراة أعطته لليهود بمصادرة الأراضي العربية واغتصابها بقوله: "لقد أمنا طوال آلاف السنين بنبوءات أنبيائنا وأن الصهيونية تستمد جذورها من مصدر أبدي وهو الوعد الإلهي وقد كرر "بن غوريون" نفسه هذا المفهوم في حديث له أمام تلاميذ مدرسة عسكرية عام 1949م فقال: "سنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل، فنحن لم نحزّر سوى جزء واحد من بلادنا وإننا ننتظر الوقت الذي يتم فيه إنقاذ أرض الآباء والأجداد" يقصد هنا الأرض الواقعة ما بين النيل والفرات (مصر وسوريا وفلسطين ولبنان والأردن والعراق) فإسرائيل من خلال المناهج والبرامج المقدمة للأطفال تركز على الفصول التي تتحدث عن أهمية الحرب والعنف في التوراة، لتنمية الروح العسكرية، وتنمية عدم بشاعة القتل لدى اليهود إذا كان ذلك في سبيل قيام دولة إسرائيل وحمايتها، ويقول البروفيسور "الشيعاهو ليفوفيتش": "إن دين إسرائيل وليس الدين اليهودي هو السبب في تقسيم وإفساد الأمة" أمّا "وليم ستاينسبرغ" أستاذ العهد القديم في جامعة "ديوك" فيقول حول إساءة اتخاذ التوراة: "إننا لا يمكن أن نتصور تشويها

للإنجيل أقبح من استخدام نصوصه في تبرير طرد الفلسطينيين من ديارهم وأرضهم".

2- التلمود: التلمود كتاب مقدس عند اليهود، ويسمى بالقانون الشفوي، إذ يدعي الصهاينة أن الله أنزله على النبي موسى شفويًا لكي يكون دستوراً لإسرائيل في علاقاتها مع الأمم الأخرى، وقد جعل له ذلك مكانة تفوق التوراة. فالتلمود وجدت فيه الحركة الصهيونية أرضية خصبة لإذكاء الروح العدائية لدى الأفراد البسطاء من اليهود؛ لما يحتويه من أدونات بالقتل، والاعتصاب، ونهب ثروات الأمم الأخرى، وأن أرض إسرائيل ليس لها حدود، فعليها التوسع والتمدد بلا نهاية كلما ازدادت امتلاءً وكثافة، وهذا ما يسمونه بأرض إسرائيل الكبرى.

3- الفكر العنصري الاستعماري: ويرتكز على أسبقية الحضارة، وحققها في السيادة، والبقاء على حساب الشعوب الأخرى، ويتضح هذا من خلال التوجيهات العنصرية للتربية الإسرائيلية المترجمة من الواقع العملي عن طريق المناهج، والمقررات الدراسية التي تقرضها وزارة المعارف، والثقافة الإسرائيلية.

4- أسطورة التفوق العقلي: عمدت إسرائيل إلى بث أسطورة تفوق الشعب اليهودي على بقية شعوب العالم ضمن الدعاية التي تقوم بها لإقناع اليهود في مختلف الدول بأن من واجبهم التجمع والعودة إلى أرض الميعاد، ويتم تربية الطفل اليهودي منذ نشأته تربية عنصرية.

نستنتج من هذا البحث كيف عملت الصهيونية على تعميق الوجود الإسرائيلي، وترسيخه على الأرض العربية، عن طريق التربية الإسرائيلية؛ لتكوين مجتمع عنصري موحد من أشتات اليهود الذين تجمعوا على أرض فلسطين، وهو هدف أساسي لتحقيق بناء الدولة الصهيونية، فإسرائيل تعتبر دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمدارس هي المؤسسات الأولى التي

بوساطتها تتم عملية التكوين، فزرعت فيهم كراهية العرب، والاستهانة بهم، وقتلهم كلما سنحت الفرصة لذلك، وجعلت من المجتمع الصهيوني المحتل مجتمعاً عسكرياً دموياً من الطفولة حتى الشيخوخة، منطلقين من خرافات توراتية كتبوها بأيديهم، فيقولون نحقق كلام الرب لموسى التوراتي حين قال له الله: "متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوب كثيرة من أمامك: الحيتيين، والجرجاشيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم، فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، هكذا تفعلون بهم: تهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتقطعون سواريتهم، وتحرقون تماثيلهم بالنار، لأنك أنت شعب مقدس".

المراجع

- 1- إسرائيل ذات الدولار الزائف، ألفرد ليتنل، ترجمة عمر الديرواي، دار العلم للملايين، بيروت، 1965 .
- 2- التربية العنصرية والتعصب الصهيوني في إسرائيل، رسالة ماجستير غير منشورة، وائل أمين القاضي، جامعة عين شمس، 1979.
- 3- التلمود كتاب إسرائيل المقدس، عبد المنعم شمس، القاهرة، 1968م.
- 4- رواية بن غوريون للتاريخ، سيد نوفل، القاهرة، 1962م .
- 5- فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي في فلسطين، محمد مختار المفتي وأحمد محمد زبادي، دار الإبداع للنشر والتوزيع، عمان، 1992م .
- 6- قضايا الدين والمجتمع، أسعد رزق، معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1971م.
- 7- اللاهوت العربي وأصول العنف الديني، يوسف زيدان، دار الشروق، مصر، 2009م .
- 8- مدخل إلى التربية، عزت جرادات وآخرون، المكتبة التربوية المعاصرة، عمان، 1983م .
- 9- الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، دار الشعب، 1987م .

المعلم الفلسطيني ودوره العظيم في حياتنا

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن، وخلق الإنسان، وعمله البيان،
والصلاة والسلام على النبي المصطفى معلمنا وقائدنا وشفيعنا،
وقدوتنا، وعلى آله وصحبه، ومن استنَّ بسنته إلى يوم الدين،
وبعد؛

إن الكتابة عن المعلم الفلسطيني في هذه الأيام تعني الكثير
للمعلم، وللذين يقدرونه ويقفون إلى جانبه، وينصفونه؛ لتساهم
في ضرورة استعادة مكانة المعلم، وتعزيز ثقته بنفسه، خاصة
أن حظه في المجتمع ضعيف جداً، ولا يتبوأ المكانة التي
يستحقها بين أبناء شعبه؛ لذا أثرت كمعلم فلسطيني دخلت في
عامي السابع والثلاثين في التدريس المدرسي والجامعي
(2022م) أن أكتب عن المعلم الفلسطيني في يومه الذي يكون
في 12/14 من كل عام، ولهذا اليوم قصة سأسردها في مقالي
هذا إن شاء الله، فكل عام ومعلمنا الفلسطيني بألف خير.
سأتناول في المقال أيضاً أهمية التعليم لدى الفلسطينيين، وأقوال
وقصائد قيلت في المعلم، ونظرة الدين الإسلامي إلى المعلم،
وحال معلمنا الفلسطيني هذه الأيام.

المعلم لغة واصطلاحاً

- المعلم لغة: من يتخذ مهنة التعليم، ومن له الحق في
ممارسة إحدى المهن استقلاً، وكان هذا اللقب أرفع
الدرجات في نظام كالنجارين والحدادين.⁽¹⁾

- المعلم اصطلاحاً: هو القائد التربوي الذي يتصدى لعملية توصيل الخبرات والمعلومات التربوية، وتوجيه السلوك لدى المتعلمين الذين يقوم بتعليمهم.⁽²⁾

أهمية التعليم لدى الفلسطينيين

الشعب الفلسطيني شعب مثقف، متعلم، يعشق العلم والدراسة، ويقدر العلم والمتعلمين؛ ولهذا يعتبر التعليم في فلسطين جانبا مهما من جوانب حياة الفلسطينيين، خاصة بعد النكبة عام 1948م، والنكسة عام 1967م، وتشتيت الفلسطينيين، وجعلهم يعيشون في ظروف صعبة للغاية لم يشهد التاريخ مثيلا لها، وتشريدهم خارج فلسطين، وإجبارهم بالنزوح عن أراضيهم، وتركها للعصابات الصهيونية، وفقدانهم الكثير من أملاكهم، فأصبح التعليم ضرورة ملحة، وحاجة ماسة لهم؛ بسبب فقدان مصادر الرزق الأخرى المتمثلة بالزراعة والصناعة لدى شريحة عريضة من الفلسطينيين. ونجد أن العائلة الفلسطينية تضحى بالغالي والنفيس من أجل تعليم أبنائها فلذات أكبادهما، وما يؤكد ذلك نسبة المتعلمين العالية جداً لدى الشعب الفلسطيني خاصة من الفقراء، والحاصلين على شهادات عليا في كافة التخصصات المختلفة، وهذا كله بفضل الله تعالى، ثم بفضل المعلمين الذين يضحون بشبابهم وصحتهم لتعليم أبنائنا جيلا بعد جيل، وزراعة الأمل في نفوسهم. ودول العالم مجتمعة تشهد بكفاءة الفلسطينيين المتخصصين العاملين في كافة المجالات، والتخصصات. والمدارس في فلسطين ثلاثة أنواع: المدارس الحكومية، ونسبة الطلاب فيها 73%، ومدارس وكالة الغوث، ونسبة الطلاب فيها 21%، والمدارس الخاصة، ونسبة الطلاب فيها 6%.

نظرة الإسلام إلى العلم والمعلمين

لقد حثّ وشجع الإسلام على تلقي العلم، والاهتمام به، وطلبه في كل الظروف والأحوال، وعلى مدى العمر كله، وطلب الاهتمام بالعلماء، وتقديرهم، ورفع شأنهم، وإنزالهم مقاماتهم، ودرجاتهم التي يستحقونها بما أوتوا من علم ومعرفة. قال تعالى: [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] (الزمر:9)، والعلماء هم أكثر الناس معرفة بالله، وخشيه منه. قال تعالى: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] (فاطر:28)، ولأهمية العلم وضرورته في حياة الناس، كانت أول آية نزلت في القرآن الكريم على سيدنا محمد (ص) تحثّ على العلم والمعرفة والتدبر، قال تعالى: [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ] (العلق:1) وللعلماء والمعلمين أجر عظيم عند الله تعالى. فقال (ص): "من علّم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل"⁽³⁾ كذلك تستغفر وتدعو للمعلم كل المخلوقات، فقال (ص): "معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر".⁽⁴⁾

فالإسلام أعطى المعلمين حقوقهم، وحثّ على احترامهم، وتقديرهم، والاهتمام بهم، واعتبر العلم نوعاً من الجهاد في سبيل الله، والذي هو قوام الإسلام، وبالتالي يكون المعلم أحد دعائم هذا القوام الأساسية، فالمعلم مرفوع ومأجور عند الله تعالى، ووارث لأعلام النبوة، ومغبوط من أهل الإيمان والصلاح، وموروث لكثير من الخير يمتد به أجره بعد موته. فالإسلام يرى أن سر تفوق المجتمع علمياً هو المعلم الذي يكفل التقدم والتميز، والذي لا يأتي إلا من خلال المعلم، فمنحه الإسلام الكرامة؛ لأن المعلم بلا كرامه ينتج وطناً بلا مستقبل.

قصة يوم المعلم الفلسطيني 12/14

يحمل يوم 12/14 حالة رمزية وطنية نضالية تعود جذورها إلى محطة نضالية انطلقت منذ عام 1972م، عندما تعرض عشرات المعلمين للقمع والتنكيل على أيدي سلطات الاحتلال الصهيوني؛ لدورهم الوطني المتمثل بحماية العملية التعليمية في الضفة الغربية، والمطالبة بحقوقهم، وصولاً إلى يوم 1980/12/14م، حيث إضراب معلمي القطاع الحكومي التابع للإدارة المدنية، والذي استمر (75) يوماً، وكان قد سبقهم في الشهر نفسه معلمو وكالة الغوث الدولية، وبالتحديد في 1980/12/1م بإضرابهم الشهير، والذي استمر (81) يوماً، وعرف إضراب المعلمين في القطاعين: الحكومة ووكالة الغوث بإضراب الكرامة وانتزاع الحقوق، وشلت العملية التعليمية في فلسطين، وكنت حينها في الصف الأول الثانوي (العاشر)، وكنت أحد المؤسسين الفاعلين في اللجان المساندة والداعمة لإضراب المعلمين، وألقيت مجموعة من الكلمات في مؤتمرات ولقاءات تضامنية مع المعلمين في بيت لحم والقدس والخليل. وأعلنت وزارة التربية والتعليم، ومديرية هيئة تطوير مهنة التعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية سنة 2015م عن جائزة مسابقة معلم فلسطين في هذا اليوم إحياءً للذكرى. أما أول احتفال بهذا اليوم كان في الذكرى السنوية الأولى على بداية الإضراب (1981/12/14م) حيث أقيم احتفال مركزي في مدينة القدس حضره المئات من المعلمين والطلاب وممثلي الأطر والتنظيمات والمؤسسات الوطنية، تم من خلاله إعلان يوم 12/14 من كل عام يوماً للمعلم الفلسطيني، يحتفى بالمعلم فيه، ويتم تكريمه بما يليق به، وبمكانته في المجتمع، والدور

الكبير الذي يقوم به، ويبدو لأن قطاع معلمي الحكومة يزيد بثلاثة أضعاف وأكثر عن قطاع معلمي الوكالة تم اختيار يوم 12/14 بداية إضراب معلمي الحكومة يوماً للمعلم الفلسطيني، وليس 12/1 بداية إضراب معلمي وكالة الغوث. وكنا قد سبقنا العالم في هذا المجال، بتخصيص يوم للمعلم، حيث فيما بعد تم تخصيص يوم 10/5 من كل عام يوماً للمعلم العالمي، وكان أول مرة قد احتفل به يوم 1994/10/5م، وهو بمثابة إحياء لذكرى توقيع التوصية المشتركة الصادرة عن منظمة العمل الدولية، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في عام 1966م والمتعلقة بأوضاع المعلمين، وأصبحت جميع دول العالم تحتفل بالمعلم في 10/5، ولكل دولة أيضاً يوم خاص بها تحتفل بالمعلم فيه، فعلى سبيل المثال لا الحصر: مصر تحتفل في 12/21، وأفغانستان في 5/1، والأرجنتين في 9/11، والبنان في 3/7، وكولومبيا في 5/15، والبرازيل في 10/15، ولبنان في 3/3، والتشيلي في 10/16.

مقولات وقصائد شعرية قيلت في المعلم

من خلال خبرتي في التدريس المدرسي والجامعي، والتي وصلت إلى (37) عاماً وثقت فيها أكثر من مئة مقولة قيلت في المعلم: وأكثر من (20) قصيدة، ولعل أهمها:

- المعلم ناسك انقطع لخدمة العلم كما انقطع الناسك لخدمة الدين. (أحمد أمين)
- تقوم الأوطان على كاهل ثلاثة: فلاح يغذيه، وجندي يحميه، ومعلم يربيه. (جبران خليل جبران)

- يمتلك المعلم أعظم مهنة، اذ تتخرج على يديه جميع المهن الأخرى. (نجيب محفوظ)

- لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً. (فيصل الأول).

- المعلم المتواضع يخبرنا، والجيد يشرح لنا، والتميز يبرهن لنا، أما المعلم العظيم فهو الذي يلهمنا. (ويليام آرثر وارد)

- أيها المعلم سنكون خيوطاً في يديك، وعلى نولك فلتنسجنا ثوباً، إن أردت فسنكون قطعه في ثوب العلا المتعالي. (جيران خليل جبران)

- التكنولوجيا هي مجرد أداة، أما فيما يخص تحفيز الأطفال وجعلهم يعملون معاً، فإن المعلم هو الأهم. (بيل غيتس)

- وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة، ووراء كل تربية عظيمة معلّم متميّز. (محمد أحمد رشيد)

ونظم كثير من الشعراء عشرات القصائد في المعلم، عدت لأبرز ثلاث قصائد منها، وهي: قصيدة الإمام الشافعي، والتي مطلعها:

تصبر على مرّ الجفا من معلم فإنّ رسوب العلم في نفراته⁽⁵⁾

وقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي، والتي مطلعها:

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا⁽⁶⁾

وقصيدة إبراهيم طوقان التي عارض فيها قصيدة شوقي، والتي مطلعها:

شوقي يقول وما درى بمصيّبيتي قم للمعلم وفّه التبجيلا⁽⁷⁾

مسؤولون وقادة وزعماء عالميون يشيدون بالمعلم

يتنبأ المعلم في الدول المتقدمة مكانة رفيعة جداً، لهذا يتم اختياره بدقة، وعلى أسس نفسية، وشخصية، وعلمية، وتربوية دقيقة، فلا يهم فقط الدرجات العلمية، اذ ينصبّ الاهتمام الأكبر على قدرته على التعامل مع الطلاب، والتأثير فيهم، والتعامل مع متطلباتهم في المراحل العمرية المختلفة، لأنّ المعلم حجر الأساس في المجتمع، فان صلح المعلم صلح المجتمع، ونما وتطور، وكان قوياً منيعاً. فنجد في العالم من القادة، والرؤساء، والشعراء، والفلاسفة من ينزل المعلم منزلته، ومكانته التي يستحقها، ويشيد بدوره في تقدم المجتمع وتطوره، فهذا الشاعر العربي الكبير نزار قباني يتغنّى بالمعلم ويقول:

فضل عظيم عليّ يشابه فضل السحابة
فمنه تعلمت علم الكلام وعنه أخذت أصول الكتابة

وهذا امبراطور اليابان هيرو هيتو والمعروف في اليابان باسم شووا تينو، وهو الامبراطور رقم (124) حسب ترتيب الخلافة اليابانية التقليدية، وحكم ما بين (1926-1989) عندما سئل عن أسباب تقدم دولته في هذا الوقت القصير، فأجاب: بدأنا من حيث انتهى الآخرون، وتعلّمنا من أخطائهم، ومنحنا المعلم مكانة عالية، وراتب الوزير⁽⁸⁾ نعم، فموقع المعلم في اليابان كما هو معروف يأتي بعد الامبراطور مباشرة.

كذلك انظروا إلى المجتمع الألماني المعروف بعظمائه، وفلاسفته، والعقلانيين الكبار الذين استفادوا من الحضارة الإسلامية، وعرفوا قيمتها وأهميتها في العلوم والمعرفة كيف أنزلوا المعلم منزلته ومقامه، فهي هي أنجيلا ميركل رئيسة

وزراء المانيا ترد على احتجاجات القضاة على زيادة رواتب المعلمين الحكوميين سنة 2012م، ومطالبتهم ان تتساوى رواتبهم برواتب المعلمين، فقالت لهم، كيف أساوي مرتباتكم بمرتبات من علموكم وجعلوكم قضاة، ولولاهم لما كنتم على ما أنتم عليه، فهم من صنعكم، وأعدكم للحياة. ويقول المناضل المعروف بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس الأسبق عن أستاذه الشاعر الشهيد المعلم عبد الرحيم محمود: " كان بالإضافة إلى التعليم زميلا لنا في الساحة والشارع، وكان ناصحاً، وموجهاً، ومؤدباً لكثير من الشباب"(9) نعم، فالمعلم الناجح يكون مغناطيساً بشرياً، يحيط به طلابه إحاطة السوار بالمعصم؛ لحبهم له، ورغبته في الاستفادة من علمه، وخبراته، ويكون متواضعاً، وطيب القلب، وصادقاً، وعذب الكلام، وحلو المنطق واللسان، فيصل شغاف القلب، فيحدث التغيير والتقدم، ويحدث الثورات التي تنتصر.

حال المعلم اليوم

يبدو أن حال المعلم اليوم يتلخص في قول الشاعر:
وأسعدت الكثير وأنت تشقى وأضحكت الأنام وأنت تبكي

نتساءل لنعرف حال معلمنا الفلسطيني في هذه الأيام: هل يحب المعلم مدرسته ومهنته؟ هل يذهب المعلم إلى عمله وهو راغب مرتاح؟ هل ظروف معلمنا النفسية جيدة؟ هل نصاب المعلم من الحصص يمنحه استراحة المحارب من أجل التخطيط السليم للعملية التعليمية؟ هل عدد الطلاب في الصف الواحد يسمح له بأخذ نفس من الهواء النقي؟ هل البيئة المدرسية والبناء المدرسي مريح للمعلم وصحته؟ هل يشارك المعلم في يوم

الاحتفال بيوم المعلم؟ هل راتب المعلم يكفيهِ حتى منتصف الشهر؟ هل يقدّر المجتمع العمل الذي يقوم به المعلم؟ هل الوزارة تعمل على جعل المعلم قادراً على مواكبة التطور العلمي والتقني، واستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة؟ هل يحظى المعلم بمكانة مرموقة في المجتمع؟ هل ينظر طلاب اليوم إلى معلمهم نظرة احترام وتقدير؟ هل الكتب المدرسية تناولت المعلم الفلسطيني ضمن موضوعاتها؟ هل ما يدرسه المعلم في الجامعة يتفق والواقع الذي يجده في مهنته؟ هل يستمع الطلبة إلى شرح المعلم، ويفهمون ما يقول؟ هل يتعامل مسؤولو التربية والتعليم والوزارة مع المعلم بشكل حضاري يحفظ له كرامته؟ هل يلقى المعلم تشجيعاً وحوافز تعمل على تطويره؟ هل يستطيع المعلم القيام بكل الأعباء والمهام والمسؤوليات المطلوب منه القيام بها في وقت واحد؟

لقد تركت الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها لكم؛ ليحكم كل منا بنفسه على حال معلمنا الفلسطيني في هذه الأيام من جميع الجوانب. كل عام ومعلمنا الفلسطيني بألف خير، فهو شعاع العلم، وينبوع المعرفة، وشجرة الظل التي تؤتي أكلها خير الثمار، وهو البلب الذي ينشد ويغني بكل لطف ورقة، وغيث الحقول العطشى، وشمعة تبيد الظلام، وشمس الحق والحرية، وقمر الجمال والروعة. بارك الله فيكم معلمينا، وأسعدكم، وأمد الله في أعماركم، وأبعد عنكم كل سوء ومكروه، فأنتم عنوان التحرير وبوصلة النصر والعودة، ولا ننسى مقولة بسمارك: "لقد انتصرنا على أعدائنا بمعلم المدرسة". وما قاله الشاعر زياد المنيفي:

فتحية منّا لكل مدرس ما دامت الأجيال في تعليم

الهوامش

- 1- المعجم الوسيط، مادة علم، ص624.
- 2- المعلم الناجح، د. عبد الله العامري، ص13.
- 3- صحيح الجامع، جلال الدين السيوطي، حديث صحيح، رقم 6396، أخرجه ابن ماجه.
- 4- الترغيب والترهيب، الحافظ عبد العظيم المنذري، حديث صحيح، 80/1.
- 5- ديوان الشافعي، تحقيق د. مجاهد بهجت، ص60.
- 6- ديوان أحمد شوقي، الجزء الأول، ص180.
- 7- ديوان إبراهيم طوقان، ص148.
- 8- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، هيروهيتو، أمكن الرجوع اليه في 2021/9/3م.
- 9- ديوان عبد الرحيم محمود، تحقيق وتقديم حنا أبو حنا، ص31.

القضاء العشيري في فلسطين

المقدمة

الحمد لله الذي أمر بالإصلاح والقسط، والحكم بالعدل، ومخاصمة المعتدي الظالم، والصلاة والسلام على من صلى عليه الله، وملائكته، والمؤمنون، محمد عليه أفضل الصلاة) وأتم التسليم، وعلى آله وأصحابه، ومن استن بسنته إلى يوم الدين.

كثيراً ما يتحدث الناس عن المشكلات التي تحدث في مجتمعنا الفلسطيني، وكيف تتم معالجة معظمها عشيرياً (يقولون خطأ شائع خير من صواب ضائع، فالصحيح كما قلنا عشيرياً، ليس كما يعتقد الكثيرون عشائرياً؛ لأن النسب يكون للمفرد، والنسب للجمع في اللغة العربية محظور، ولكن الدارج على السنة عامة الناس النسب للجمع (عشائري) لكن القاعدة الصرفية تقتضي النسب للمفرد فقط). وأحياناً لا تعجب الحلول الكثير من الناس، ويعتبرون أن القضاء والصلح العشيري في الكثير من حالاته يشجع ارتكاب الأخطاء، والاستهتار بحياة الناس وحقوقهم ويقولون: المشاكل تحل على فنجان قهوة والتسامح من شيمة شعبنا، وهذا ما نلمسه خاصة في قضايا حوادث السير التي تحصل مع شباب يقودون باستهتار سيارات مشطوبة، وليس بحوزتهم رخص لقيادة السيارات. فأثرت في هذا العدد ان اكتب عن القضاء العشيري في فلسطين مستجلباً بداياته، وتاريخه، وتطوره، وأهيمته، وإيجابياته، وسلبياته.

مفهوم القضاء والعشيرة

القضاء لغة، الحكم، وأصله قضاي، لأنه من قضيت، وأصله القطع والفصل:

والقضاء: الخلق كقوله تعالى: [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ] (فصلت: 12) أي خلقهن، والقضاء بمعنى البناء. وقضى الشيء قضاء: صنعه وقدره ويأتي القضاء بمعنى الأمر والحتم، كقوله تعالى: [وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهَهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا] (الإسراء: 23) وللقضاء معان كثيرة، منها: عهد، وانتهى، وأتم، والموت، وغيرها.⁽¹⁾

● العشيرة لغة: عشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون وقبيلته. وفي التنزيل: [وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ] (الشعراء: 214) وتجمع على عشائر.⁽²⁾

● ورد في الموسوعة العربية الميسرة أن العشيرة وحدة اجتماعية ينحدر جميع أعضائها من جد ينتسبون إليها في خط واحد، هو خط الذكور (في العشائر الأبوية) أو خط الإناث (في عشائر الأمومة).⁽³⁾

● والقضاء مجموعة المحاكم القائمة في بلد من البلاد، خصصها المشرع للنظر في المنازعات، أو مجموعة الأحكام الصادرة من جهة قضائية.⁽⁴⁾

الجدور التاريخية للقضاء العشيري الفلسطيني

يرجع نظام القضاء والإصلاح العشيري الإنساني بشكل عام إلى زمن بعيد؛ لضرورة وجود روابط وضوابط تحكم السلوك الإنساني، فمع وجود الإنسان تكون المشاكل والخلافات. فقام قابيل بقتل أخيه هابيل. وسنّ حمورابي قديماً شريعته وقوانينه المعروفة باسمه، واعتمد القانون الروماني القديم على العرف والعادة، وفي العصر الجاهلي ساد حكم العشيرة والقبيلة؛ فاتفق شيوخ القبائل على نقاط وأحكام اعتبرها جسوراً مبنية متعارفاً عليها؛ لحسم الخلافات التي تعرف بالجسور العشيرية الموروثة. ومن القضاة في العصر الجاهلي هرم بن سنان، وحارث بن عوف اللذان قاما بإصلاح ذات البين بين

قبيلتي عبس وذبيان بعد المعارك الطويلة التي دارت بينهما، والتي عرفت باسم داحس والغبراء. لم يقتصر الأمر في الإصلاح في العصر الجاهلي على الرجال، بل كان للنساء أيضاً نصيب كبير، فمن النساء اللواتي اشتهرن بصواب الحكم، ورجاحة العقل في فصل الخصومات بين الناس: هند بنت الحزن الإيادية، وحزام بنت الديان.⁽⁵⁾

في العصر الإسلامي حكم الناس بكتاب الله وسنة رسوله، وإن لم يجدوا الحكم فيهما، اجتهدوا برأيهم في حل المشكلة قياسياً على مضمون الكتاب والسنة، وقد نزلت على رسول الله (ص) الآيات التي تحت على الحكم بالمعروف مع الأخذ بالعرف والعادة. قال تعالى: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] (الأعراف: 199)

وفي عهد تركيا تشكل مجلس إدارة شؤون العشائر في فلسطين يضم فريقاً من الموظفين والمشايخ، منهم: اكد الوحيدى، وحمدان أبو حجاج، وأبو شتان العزازمة، وحمد أبو العدوس، وغيرهم⁽⁶⁾ فتركت الحكومة التركية للفلسطينيين أحكامهم وقضاياهم، ولم تعارضهم إلا فيما يختص بالخراج والضرائب، وكان الحاكم البدوي والشيوخ المشهورون يحلون القضايا بين الناس خاصة المتعسرة على القضاء الحكومي. وفي أواخر العهد التركي، تم تعيين الشيخ عيسى بن عمرو مسؤولاً لملف العشائر في جنوب الخليل، فعند إلى وضع قضية دم في كل بلد (منقح دم) وهو الجهة المسؤولة عن حل مشاكل القتل، وانتهاك العرض، وخلافات الأرض، وتعامل معهم الناس بثقة أكثر من المحاكم الرسمية الموجودة في ظل الدولة العثمانية نظراً لسرعة حل النزاعات وأخذ الجاه والوجه.⁽⁷⁾

وفي عهد الإنجليز ساد العنف والشدة لتصفية الغزو واختل النظام في مناطق العشائر، واستطاع النفوذ الإنجلو فرنسي في بلاد الشام إخضاع القبائل بقوة مستعينا بالأعراف، وشكلت

بريطانيا مجلس الدموم سنة 1919م في بئر السبع، و نصت المادة (45) من دستور فلسطين المنشور بتاريخ 1922/9/1م على أن للمندوب السامي أن ينشئ بأمر منه محاكم منفصلة لبئر السبع، ولأي منطقة عشيرية حسب ما يرى مناسباً. ويجوز لهذه المحاكم أن تطبق العادات العشيرية إذا لم تكن منافية للعدل الطبيعي أو الأدب⁽⁸⁾. وصدر قرار بتشكيل محاكم العرف والعادة وقضاتها، وشكلت لجنة لهذا الغرض برئاسة الحاج سليم حجازي، وعقد اجتماع سنة 1941م بدعوة من عبد الله بن عمرو العملة في ديوان آل العملة حضره جميع وجهاء وشيوخ عشائر قضاء الخليل ليحل اللوائح بدل الخصام، و أن تكون جميع المشاكل قبل هذه التاريخ (حفار و دفان) أي إهدام وإردام ومنتهية وبذلك يكونون بنعمة الله إخواناً.⁽⁹⁾

وفي العهد الأردني بقيت اللجنة المشكلة منذ زمن الانتداب البريطاني سارية المفعول، وعملت الحكومة الأردنية على توسيعها لتعيين قضاة في كل قرية لحل المشاكل كل حسب اختصاصه (قضايا الدم، والعرض، والأرض، ...) وكانت سلطة محاكم العشائر تحكم البراءة أو الإدانة عملاً بنص المادة (17) من قانون محاكم العشائر، أما توقيع العقوبة فيعود للمتصرف، أو المحافظ، وهو الذي يحدد مقدارها، وفي حالة عدم الالتزام يأخذ المحافظ عطوة من أهل المجني عليه تسمى عطوة أمنية.⁽¹⁰⁾

أما في زمن الاحتلال الإسرائيلي كان الناس يحلون مشاكلهم باللجوء إلى رجالات الإصلاح والقضاة العشيريين حسب العرف والعادة، حيث رفضوا التعاطي مع هذا الاحتلال الغاشم الظالم وأجهزته الأمنية التعسفية، وتم تشكيل لجان لوضع نظام خاص للعادات العشيرية، تتفق مع الشريعة الإسلامية بتاريخ 1985/1/14م. وأما عن العلاقات بين المستوطنين الصهاينة والفلسطينيين فلا يؤخذ فيها أي نوع من العطاوى، وجرت محاولة من قبل أحد قادة المستوطنين في قلب

مدينة الخليل بأخذ عطوة عشيرية على خلفية استشهاد المواطن طلال البكري من الخليل برصاص مستوطن، ودفع فراش عطوة بقيمة نصف مليون شيكل، ورد المواطنون وعائلة الشهيد بالسخرية على هذا العرض.⁽¹¹⁾

وفي ظل الانتفاضة الشعبية (1993-1987م) تم تفعيل اللجان المختصة بالإصلاح وتوسيعها، وتشكيل لجان فرعية للإصلاح في الضفة والقطاع، وهذه اللجان جهاز بديل ليكون بمثابة القانون العام والملزم لكل فئات المجتمع الفلسطيني، واستطاعت اللجان وبجدارة أن تكون بديلاً عن محاكم الاحتلال وشرطته، وكانت هذه خطوة عملية تطبيقية لتكريس الشعب سلطة الشعب، وسحب البساط من تحت الاحتلال، بما يتلاءم مع توجيهات الانتفاضة المباركة في مواجهة سلطات الاحتلال الصهيوني بإيجاد جهاز شعبي وطني للحفاظ على وحدة وتوازن البيئة الاجتماعية بحسب الإمكانيات المتاحة.

وفي ظل السلطة الوطنية الفلسطينية ثم تأسيس مكتب لإدارة العشائر، كجهاز من أجهزة السلطة، والذي يهتم بعشائر فلسطين في الداخل والخارج، ويتبع هذا المكتب للرئيس مباشرة، وكان المرحوم موسى أبو غيث مستشاراً للرئيس لشؤون العشائر، ثم أخوه الدكتور غيث أبو غيث، وعقدت عدة مؤتمرات للقضاء العشيري، وكان المؤتمر يخرجون بتوصيات، أهمها:

1. تشكيل مجلس عشيري في الضفة الغربية وآخر في قطاع غزة يتبعان هيئة الرئاسة مباشرة.
2. إعادة النظر في الأحكام والقضايا العرفية، وإلغاء الرزقة، وهي أجرة القاضي في مقابل القيام بالقضاء في مسألة ما بين الناس.
3. اقتصار الجلاء (الترحيل) على الجاني، لأن المسؤولية الجنائية فردية، وإصدار مرسوم رئاسي بهذا الأمر.

4. رفع مذكرة إلى المجلس التشريعي حول قضاء العرف والعادة، للأخذ به كرافد مساند بجانب القوانين المعمول بها في الضفة والقطاع.
5. فلسطين القانون مع الأخذ بعين الاعتبار العرف والعادة.
6. تأكيد أهمية رجالات الإصلاح وقضاة العرف والعادة، في إحلال النظام، والأمن دون تلقي أية رسوم تذكر.⁽¹²⁾

لماذا يلجأ الناس إلى القضاء العشيري؟

يقول القاضي العشيري أحمد حنيح عن سبب لجوء الناس في فلسطين خاصة، والوطن العربي بشكل عام إلى القضاء العشيري، هو كون المجتمع الفلسطيني، والمجتمعات العربية قبائل عشيرية لها عادات وتقاليد وأعراف تربت عليها؛ لتلبي حاجاتهم وطموحاتهم، وإن القضاء العشيري يوفر درجات عالية من الحماية والأمن للمتخاصمين بوجود كفلاء العشائر، فيستطيع المتخاصم أن يختار قاضيه بنفسه، كذلك القدرة على سرعة الحل، وتوفير الوقت والجهد والمال والحكم الذي يصدره قاضي العشائر يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا كله يحقق الدماء، ويمنع تفاقم ظاهرة العنف في المجتمع.

المصطلحات والمفاهيم العشيرية للمطالبة بالحق

في القضاء العشيري الكثير من المفاهيم والمصطلحات تستخدم في التعامل في هذا المجال، للإصلاح بين الناس، وأهمها:

1. العطوة: وتعني الفترة الزمنية التي يمنحها أهل المجني عليه للجاني وأهله، وذلك بعد وقوع الجناية مباشرة، فيتوسط في العطوة أهل الخير (الجاهة) وجوهرها هدنة تؤخذ بين المتخاصمين يعقدها وجهاء القوم، بحيث تمنع الاعتداء من كلا الطرفين على بعضهما البعض مكفولة بوجهاء يضمنون عدم الاعتداء. وتؤخذ العطوة في الدم،

والعرض، والطوشات، والتهديد، أخذ مال الغير، والبوق، والسرقة ... أما أنواع العطوة فهي:

أ. العطوة الأمنية: وهي التي تأخذها الجهات الأمنية مع أشخاص من العشائر الأخرى، ولا يشترط بها أن يكون فيها أي شخص من الخصم.

ب. عطوة الاعتراف: وهي العطوة التي يعترف بها الخصم بالجرم الذي ارتكبه.

ج. عطوة قص وخص (وتمسى عطوة التفتيش): وهي العطوة التي تؤخذ من أجل الوصول إلى الحقيقة من طرف الجاهة لإحقاق الحق.

د. عطوة الإقبال: وهي آخر مرحلة في حالة تقريب وجهات النظر بين الخصم وأهل المجني عليه للوصول إلى الصلح النهائي.

2. البدوة: هي تكليف المعتدى عليه من الوجهاء الذهاب إلى أهل المعتدي؛ ليقوموا بإطلاع أهل المعتدي عما اقترفوه، وجوهرها التذكير والتحذير والإنذار.

3. بيت الملم: هو البيت الذي يجمع فيه طرفا الخصام، ويقدم كل منهما حجه أمام صاحب البيت، ويحكم بينهما، ويشترط في صاحب البيت النزاهة: والحياد، وعدم التحيز لأي طرف، وكذلك الأمانة في نقل الكلام.

4. فراش العطوة: مبلغ من المال متعارف عليه، يدفعه الوسطاء لأهل المعتدى عليه من مال المعتدي، ويعتبر هذا المبلغ رمزاً على بداية خطوات قائمة على التفاهم والتفاوض والتصالح، ويدفع فراش العطوة في قضايا الدم والعرض، وقيمتة محددة بألف وخمسة وعشرون ديناراً.

5. لبّاس الثوب: مفهوم استخدم في عهد الاحتلال الصهيوني، وهو عرف عشيري تداوله بيه الناس في منطقته الخليل بعد العام 1967 م، ولا يعمل بهذا المصطلح في الأردن،

وسائر الدول العربية، وكان يسمى قديماً بقائد الجاهة التي تحضر لإجراء الطيب، فهو ملزم بكل ما تقوم به الجاهة، ومقام الغريم، ويجوز للخصم أن يلزم شخصاً آخر غير قائد الجاهة ليدافع، أو يلتزم بما يحكم به القاضي، أو ترتضيه الجاهة.

6. الجاهة: مجموعة من الناس يتوجهون لبيت المعتدي عليه، ويتم وضع كفيل على ما تتفق عليه الجاهة، وتطلب عطوة بين المتخاصمين، على كل خصم؛ ليكفل عدم وقوع المشاكل.

7. الحجة: هو شخص يقوم بتقديم سير وتفاصيل القضية من البداية إلى النهاية أمام القاضي، ويكون المحتج مكلفاً من أحد طرفي النزاع.

8. الجلوة: وهي رحيل أهل المعتدي (الغريم) من مكان سكنهم إلى منطقة أخرى قد تكون داخل، أو خارج المحافظة لمنع الصدامات والتوتر.

9- البشعة: وهي تسخين قطعة من الحديد على النار إلى حد الاحمرار، ووضعها على لسان الغريم للتثبيت من براءته.⁽¹³⁾

القضاء العشيري في ضوء الشرع الإسلامي

يستند القضاء العشيري في حل ومعالجة الكثير من القضايا إلى الشريعة الإسلامية، ولكن في بعض الأمور والمشاكل يخالف الدين، فيجيب البروفيسور حسام الدين عفانة أستاذ الشريعة في جامعة القدس عن سؤال يتعلق بالحكم الشرعي فيما يسميه القضاء العشيري فراش العطوة والجلاء، فيقول: حكم فراش العطوة في الشرع أنه أكل لأموال الناس بالباطل؛ لأنه في حالات كثيرة لا يحسب هذا المبلغ من شروط الصلح، أو الدية، وبالتالي يكون من غير عوض، وهذا غير

جائز شرعا، يقول الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ] (النساء: 29) وأما إذا اعتبر مبلغ فراش العطوة جزءا من الدية، أو من المبلغ الذي يدفع عند إجراء الصلحة بين الطرفين فيجوز ذلك. أما الجلاء أو الجلوة في الشريعة الإسلامية أمر باطل لا يجوز، وهي ظلم واضح؛ لأن الشريعة الإسلامية تقرر أن كل إنسان مسؤول عما يفعل، ولا يحاسب شخص سواه على ما فعل، قال تعالى: [وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى] (الأنعام : 164) وفي الجلاء ظلم يتضمن إخراج الناس من بيوتهم وترحيلهم عنها وإلحاق الضرر بهم من غير جريمة ذنب ارتكبوه، وليس لهم علاقة بالجريمة، فلماذا يعاقبون على شيء لم يفعلوه؟⁽¹⁴⁾

كذلك حكم الشرع فيما يسمى باليمين والخمسة في القضاء العشيري أنه وسيلة محرمة لا يجوز التعامل معها لمخالفتها أدلة الشرع المعتمدة بشكل عام، وليست من طرق الإثبات المعتمدة في القضاء الشرعي. فإذا حلف الخمسة، وهم لم يحضروا الحادثة، فشهادتهم شهادة زور، وهي من كبائر الذنوب. قال تعالى: [وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ] (الحج: 30) وقد ثبت في الحديث عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: كنا عند رسول الله (ص) فقال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله متكئا فجلس، وما زال يكررها حتى قلنا يا ليتنا سكنا).⁽¹⁵⁾

وبعد أن تعرضنا في هذه العجالة في دراسة القضاء العشيري الفلسطيني، خلصت إلى الأمور الآتية:

- 1- يقوم الصلح والقضاء العشيري على مبادئ أساسية أهمها: أن الله يأمر بالصلح بين الناس والعدل في الإصلاح، والتسامح، والعفو عند المقدرة، والصلح سيد الأحكام، واكسر عظم ولا تكسر عادة.

- 2- قلة ما هو مكتوب عن القضاء العشيري، وما يتعلمه المصلحون والقضاة في هذا المجال تعلموه بالاستماع، وبشكل منقول مشافهة وبالتوارث.
- 3- تطور القضاء العشيري بما يتوافق والأحكام الشرعية الإسلامية بشكل كبير، باستثناء بعض القضايا والأعراف، مثل اليمين وخمسة، والجلوة، وغيرها من الأمور يتعارض القضاء الشرعي الإسلامي فيها مع القضاء العشيري.
- 4- هناك تنسيق دائم ما بين الأجهزة الأمنية في السلطة الوطنية الفلسطينية والقانون القضائي الرسمي من جهة، والقضاء العشيري من جهة أخرى؛ لخدمة المجتمع، وحفظ الدماء، والإصلاح بين المتخاصمين.
- 5- أحكام القضاء العشيري زاجرة ورادعة إذا ما استخدمت وطبقت بشكل صحيح، بعيدا عن التحيز، والعصبية القبلية، والمنافع الشخصية.
- 6- هناك احترام للمواثيق والعهود التي تبرم بين العشائر والعائلات من خلال رجال القضاء العشيري.
- 7- ضرورة اهتمام الإعلام الفلسطيني، ووزارة التربية والتعليم، والمؤسسات المدنية والاجتماعية من خلال التوجيه التربوي، في محو الكثير من المفاهيم التربوية، والاجتماعية الخاطئة التي غرست في نفوس الصغار والكبار، والتي نحتاج لسنوات طويلة لإزالتها، وإبعاد ثقافة الحزبية والعنصرية.
- 8- أن الدعاوى في القضاء العشيري تنجز بشكل سريع، بعكس الدعاوى المرفوعة لدى القضاء الرسمي والتي تحتاج إلى سنوات كثيرة لتحل، فهناك قضايا في المحاكم لها عشر سنوات. ويقول القضاة العشيريون عن حل هذه القضايا أنه لا يستغرق معهم حلها شهر، أو شهرين.
- 9- علينا أن نفرق بين القاضي العشيري، والمصلح بين الناس، فالمصلحون ورجال الإصلاح كثيرون، لكن القضاة المتمرسون في القانون العشيري قليلون، فالمسألة ليست

سهلة، وليس كل من أصلح بين اثنين متخاصمين أصبح قاضياً، فالقاضي يحتاج إلى خبرة، وتأسيس، ودربة، وتعليم.

الهوامش

- (1) لسان العرب، ابن منظور، ج 15 باب الباء فصل القاف، من ص186- ص189، دار صادر.
- (2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، باب العين، ص602، دار المعارف.
- (3) الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، ص1213.
- (4) الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص1385- ص1386.
- (5) الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين، إدريس جرادات، ص22.
- (6) مجلة التراث والمجتمع، محاكم العشائر في قضاء بئر السبع، عارف العارف، العدد (17) كانون الثاني 1985م، ص53.
- (7) الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين، مرجع سابق، ص24- ص26.
- (8) مجلة التراث والمجتمع، مرجع سابق، ص59.
- (9) الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين، مرجع سابق، ص30.
- (10) مقابلة الكاتب مع القاضي العشيري أحمد عبد الفتاح حنيحن، الخميس 2015/1/1م، في مكتبه بلحول.
- (11) الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين، مرجع سابق، ص34.
- (12) انظر الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين، مرجع سابق، ص35- ص39.
- (13) القاضي العشيري أحمد حنيحن، مقابلة 2015/1/1م، مرجع سابق.
- (14) <http://www.hebron-times.com/viewdetails.php?ptd=4233>
- (15) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث 2654، ص550 طبعة مكتبة الإيمان.

الفهرس

2	الإهداء
3	تصدير - كلمة مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي-
5	المقدمة
9	السيرة الذاتية للكاتب
16	قريتي زكريا المنكوبة والمهجرة
23	الفالوجة المنكوبة والمهجرة
32	جراش المنكوبة والمهجرة
43	عجور المنكوبة والمهجرة
56	مغلس المنكوبة والمهجرة
67	ديرابان المنكوبة والمهجرة
78	راس أبو عمار المنكوبة والمهجرة
93	القدس في عيون الشعراء
	القدس والأقصى في منهاج
104	اللغة العربية الفلسطيني
119	القدس في قلب كل مسلم
131	غزة المنبعثة من تحت الركام
143	بيت لحم مدينة وتاريخ
152	مدينة الخليل والحرف التقليدية
	قضية اللاجئين الفلسطينيين أعدل
158	وأصدق قضية عرفها التاريخ
	اللاجئون الفلسطينيون وحقوقهم
167	في القانون الدولي
	الفلسطينيون (71) عاماً من اللجوء
174	والمجازر والعذاب، وماذا بعد؟

188		الضحية ويكرم المجرم القاتل
200		تجربة اعتقال في سجون الاحتلال
207		الأسرى وأدب السجون
220		أسرانا في القلوب
231		من علماء فلسطين البروفيسور عبد الرحمن عباد العيسة
243		من أدباء الداخل المحتل محمد علي طه وأدبه الملتزم
253		كيف يربي اليهود الصهاينة أطفالهم في فلسطين
265		المعلم الفلسطيني ودوره العظيم في حياتنا
275		القضاء العشيري في فلسطين